رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسح في اللغة

رواية أبي الحسين عبدالله بن محمد
بن سفيان النحوي المتوفي سنة ٣٢٥ هـ

تحقيق الدكتور
عادل هادي العبيدي

دار دجلة
www.dardjlah.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التَّفسُّح في اللُّغَة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التَّفَسُّحُ في اللُّغَة

رواية

أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي

المتوفى سنة **325** هجرية

تحقيق

الدكتور عادل هادي العبيدي

الطبعة الأولى

2011

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2010/5/1707)

410

النحوي ، أبي الحسين عبد الله بن محمد .

التفسح في اللغة / أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي، تحقيق عادل هادي العبيدي . عمان: دار دجلة 2011.

(320) ص

ر.أ: (2010/5/1707).

الواصفات:/ اللغة العربية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الطبعة الأولى 2011

دار دجلة
ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس:0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-170-2 : ISBN

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح باعادة اصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in a retrieval system. Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

الإهداء

إلى /

زوجتي أمّ الحارث

لقاء صبرها

أولادي الأعزاء

حارث

وهمّام

وتمّام

ومحمّد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مـن أيـن أبـدأ في القـريض وأمـدحُ ... ولأيِّ بـابٍ مـن كتابـك افـتَحُ؟
ولأي أسـلوبٍ جميـلٍ شـائقٍ.. ... ولأي فـصلٍ مـن فـصولِكَ أشـرحُ؟
في كلِّ سطرٍ من سطوركَ حِكمـةٌ.. ... تـزِنُ العقـولَ الثاقبـاتِ وتـرجَحُ
إنَّ التوسُّـع في الكـلامِ سـياحةٌ ... .. تـتلاقَحُ الأفكـارُ فيـه وتجمَـحُ
لُغـةُ التَّفـسُّح للعقـولِ رياضـةٌ.. ... والـضّادُ يجمـعُ في اللغـاتِ ويطـرحُ

تقريظ المحقق

د. عادل العبيدي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

مقدمة.....9
المبحث الأول: المؤلف 11
المبحث الثاني: الكتاب.....15
أولاً: اسم الكتاب.....15
ثانياً: الكتاب في كتب التراجم وسبب اختيارنا هذا العنوان له 15
ثالثاً: أهمية الكتاب 16
رابعاً: منهجي في التحقيق 17
خامساً: وصف المخطوط 18
مقدمة المؤلف 21
روافد البحث 289

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

مقدّمة

إنَّ اللغة نظامٌ دقيق له ضوابط وأصول تحكمه وتجري أساليب التعامل معه على قواعد العرب التي قعّدوها ووضعوا أصولها وأبانوا أحكامها بعد طول استقراء وتتبع للكلام العربي نظمه و نثره، وهو الذي بنوا عليه قواعد العربية الكلية ثم خلصوا إلى أنَّ اللغة العربية "أوسع من أنْ يحاط بها".

فالعربية لغة التصرف والمجاز، وهذا ظاهر في أعلى نصوصها الفصيحة والبليغة المعجزة، وشعراؤها أمراء الكلام يُصرِّفونه أنّى شاؤوا، والعربي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرّف وارتجل. ولمّا كانت اللغة لغة التَّوسُّع والمجاز، فالتَّفسُّح إذن ضربٌ من ضروب المجاز ولونٌ من ألوان التصرف في التعبير الذي وجدناه ماثلاً بجلاء في كتاب "التَّفسُّح في اللغة" لأبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي المتوفى سنة خمس و عشرين وثلاثمائة، وهو مخطوط وصفناه في محلّه من البحث، وذكرنا دواعي تحقيق مقدمته، فأهمية هذا الكنز اللغوي تتأتى من كونه النسخة الفريدة في العالم، فضلاً عن أن الكتاب هو الوحيد المتبقي من مؤلفات الرجل، إذ إنَّ له اثني عشر كتاباً كلها مفقودة وبقي "التَّفسُّح في اللغة" يتيماً، فوددت أن أكون كافل اليتيم.

أمّا موضوع الكتاب الموسوم بـ"التَّفسُّح" فالمراد به التَّوسُّع في التعبير لمعنى يريده، فأنت ترى الشاعر يعطف مرفوعاً على منصوب ولا يبالي بذلك فإذا سئل عن سرّ ذلك قال: على ما يسؤوك و ينؤوك، علينا ان نقول وعليكم أن تتأوّلوا، فالعربي لا يعدل من تعبيرٍ إلى تعبير إلاّ ويصحبه عدولٌ من معنىً إلى معنى.

والذي يبدو أنَّ الكتاب من كتب "المجاز اللغوي" فقد جاء الكتاب زاخراً،

ينثال انثيالاً بالمجازات والاتساعات اللغوية والأدبية.

وقد تصدى هذا الكتاب لكثير من الردود على الطاعنين في العربية وعلى جاحدي فائدة الإعراب فيها، فقد ردّ المؤلف – رحمه الله – مزاعم هؤلاء بنصوصٍ من التنزيل وبشواهدَ من عيونِ الشعر العربي، فألفيتُه يذكر مواطن التَّوسُّع والمجاز في كل آيةٍ يذكرها أو بيتِ شعرٍ يوجهه.

وبعد:

فكتاب التفسّح لا كالكتب، بل هو بحثٌ جمّ الفوائد، كثيرُ المنافع، متعددُ الوجوه، كتابٌ يتردّدُ فيه النحو والصرف والإعراب والقراءات واللهجات، فضلاً عن الفصاحةِ والبلاغةِ والبيان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبحث الأول

المؤلف

اسمه وكنيته:

عبد الله بن محمد بن سفيان[1] وكنيته أبو الحسين[2].

ألقابه:

تعددت ألقاب الرجل فهو النحويّ[3] البغدادي[4] الخزّاز[5] ولكن الشائع منها، والأكثر دوراناً بين كتب التراجم التي ترجمت للمؤلف هو النحوي، ويبدو ان هذا اللقب جاءه من عنايته بالنحو خاصة.

أما البغدادي، فلقب جاءه من نشأته في بغداد، وتلقيه العلم عن بعض علماء اللغة والأدب من أهل بغداد.

أما لقبه الثالث: (الخزّاز) فيُظن أنه لقب لأبيه أو جده من بيع الخزّ، تلك الألقاب الثلاثة هي التي ذكرتها المصادر التي ترجمت له ولم نقف على لقب آخر

---

(1) الفهرست 128، معجم المؤلفين 6/ 120.

(2) صفحة العنوان من المخطوط، وانظر: الفهرست 128 والبداية والنهاية 11/ 118 وبغية الوعاة 2/ 55، ومعجم المؤلفين 6/ 120 وفيه: (أبو الحسن)

(3) الفهرست 128، تاريخ بغداد 10/ 123، انباه الرواة 2/ 130، نزهة الألباء 180، المنتظم 6/ 290، الكامل في التاريخ 8/ 339 النجوم الزاهرة 3/ 263.

(4) هدية العارفين 6/ 445 .

(5) الفهرست 128، والصاحبي 100 وتاريخ بغداد 10/ 123 والمنتظم 6/ 290 وانباه الرواة 2/ 130و البداية والنهاية 11/ 188، وبغية الوعاة 2/ 55 .

أجمع عليه من ترجموا له، إلا إننا وقفنا على إشارة للخطيب البغدادي[1] يلقبه (الورّاق) وهي حرفة معروفة عمل بها كثير من العلماء.

شيوخه:

عاش أبو الحسين في عصر ازدهرت فيه الثقافة وازدحم فيه طلاب العلم وكثرت حلقات الدرس، إذ كانت بغداد آنذاك قبلة الطالبين ومركزاً للإشعاع الفكري ولا سيما في القرنين الثالث والرابع، فبرز علماء كبار من أمثال ابن قتيبة، والمبرِّد، وثعلب، وابن دريد، وابن مجاهد، والطبري، وسواهم من العلماء الأفذاذ الذين اثروا الفكر العربي والإسلامي بمؤلفاتهم وأبحاثهم الرصينة. ومع كثرة العلماء في ذلك العصر، إلا ان ابا الحسين لم يأخذ العلم إلى من ثلاثة علماء سمَّتهم لنا المصادر وهم:

1. إسماعيل بن إسحاق القاضي، المتوفى (282هـ).
2. محمد بن يزيد المبرد، المتوفى (286هـ).
3. أحمد بن يحيى المشهور بـ(ثعلب) المتوفى (291)هـ.

فهؤلاء الثلاثة هم الذين تواتر النقل على تلمذته لهم.

تلاميذه:

لم تذكر المصادر غير اثنين من تلاميذه هما:

1. عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح ؛ ذكره الخطيب البغدادي[2]
2. أبو الحسين أحمد بن علي الأحول، ذكره ابن فارس[3]

---

(1) انظر تاريخ بغداد 10/ 123

(2) انظر تاريخ بغداد 10/ 123، وابناه الرواة 2/ 131 .

(3) الصاحبي 100 .

مؤلفاته:

بعد طول تتبُّع واستقراء لجميع المصادر التي ترجمت لابي الحسين النحوي، تبين أن له مؤلفاتٍ في اللغة والنحو وعلوم القرآن وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن كتب التراجم لم تذكر لنا كل مؤلفاته، فقد انفرد كتابه (التَّفَسُّح في اللغة) بذكر مصادر لم تذكرها المصادر التي ترجمت له، ويبدو أن جميع مؤلفاته مفقودة وليس موجود منها سوى كتاب (التَّفَسُّح) هذا الذي نحقق مقدمته، وتلك هي المؤلفات:

1. أخبار أعيان الحكام[1].
2. أعياد النفوس في العلم[2].
3. إقامة الألفاظ على حدودها[3].
4. البصائر[4].
5. رمضان وما قيل فيه[5].
6. السّراري الذهبيّات والمسكيّات[6].
7. الفصاحة[7].

---

(1) الفهرست 128، إنباه الرواد 2/ 135.

(2) الفهرست 128، إنباه الرواة 2/ 135.

(3) مخطوط التفسح في اللغة، ورقة (39/ و).

(4) مخطوط التفسح في اللغة، ورقة (39/ ظ).

(5) الفهرست 128، إنباه الرواد 2/ 135.

(6) إنباه الرواد 2/ 135، الفهرست 128.

(7) مخطوط التفسح في اللغة، ورقة(23/ ظ).

8. المختصر في العلم العربية[1].

9. المختصر في النحو[2].

10. المذكر والمؤنث[3]

11. معاني القرآن[4].

12. المقصور والممدود[5].

وفاته:

أجمعت المصادر[6] التي ترجمت لأبي الحسين النحوي، انه قد توفي يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ربيع الأول سنة خمسٍ و عشرين و ثلاثمائة.

---

(1) الفهرست 128، ونزهة الالباء في طبقات الادباء 181 .

(2) بغية الوعاة 2/ 55، وطبقات المفسرين 248 .

(3) الفهرست 128، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 181.

(4) مخطوط التفسخ في اللغة، ورقة 64/ و.

(5) الفهرست 128 ونزهة الألباء في طبقات الأدباء181، وبغية الوعاة 2/ 55 وطبقات المفسرين 248.

(6) تاريخ بغداد 10/ 123، ونزهة الألباء 181، انباه الرواة 2/ 131 والمنتظم 6/ 290 و معجم المؤلفين 6/ 120 .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبحث الثاني

الكتاب

أولا: اسم الكتاب

حمل الكتاب في صفحته الأولى اسماً طويلاً بعنوان:

(كتابِ التَّفَسُّح في منثور اللغة و منظومها وإعراب القرآن الشاهد بذلك لها)

رواية

أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي

ثانيا: الكتاب في كتب التراجم وسبب اختيارنا هذا العنوان له

ورد ذكر كتاب (التفسح) في كتب التراجم وعدد من مصادر العربية الأخرى بعنوانات مختلفة، ولكنها أكثر إيجازاً واختصاراً من عنوان المؤلف نفسه، فمما ذكر منها:

الفسيح في علم اللغة و منظومها[1]، وعلم اللغة ومنظومها[2] والتفسح في منثور اللغة ومنظومها[3] وتفسيح اللغة[4]، والفسيح في اللغة[5]، والتفسخ في اللغة[6].

---

(1) الفهرست 128، وطبقات المفسرين 248.

(2) أنباء الرواة 2/ 135.

(3) شرح أبيات المغني 4/ 229.

(4) خزانة الأدب 11/ 58 .

(5) هدية العارفين 6/ 445 .

(6) خزانة الأدب 1/ 26، 5/ 391، 9/ 532، 11/ 58.

ولقد آثرنا انّ يكون الأخير عنواناً لكتابنا للأسباب الآتية:

1. طول عنوان المؤلف الذي يتنافى مع مضمون الكتاب القائم على الإيجاز والاختصار والتوسع في التعبير والتفسح فيه.
2. إجماع مَن ترجموا للمؤلف على اختصار وإيجاز هذا العنوان الطويل.
3. الوثوق بما نقله (عبد القادر البغدادي ت 1093هـ) عن المخطوط الذي كان بحوزته، الذي لا يبعد أن يكون هذا المخطوط بنفس العنوان الذي أثبته البغدادي وهو (التفسح في اللغة).

ثالثا: أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في كونه أقدم المؤلفات المستقلة في هذا الموضوع - على ما نعلم - إذ لم نقف على مؤلَّف آخر يتكلم على الاتساعات العربية بكتاب مستقل غيره.

فالتفسح معناه التوسع في التعبير، وهذا المصطلح لم يضع القدماء له حداً ولم يوضِّحوا بصورة دقيقة حقيقة هذا المصطلح، إذ بقي عائماً على الرغم من وجود إشارات متفرقة له في بطون الكتب، فيصرِّحون بالتَّوسَع تارة ويلمِّحون به تارة أخرى ولكنهم، كانوا يردّدون ويذكرون أنَّ هذا التوسع (في اللغة أوسع من أنْ يحاط به)[1]، على أن اول من ذكر مصطلح التوسع هو سيبويه (ت 180هـ) في كتابه، فكان أول من أصّل لمفهوم التفسح والتوسع وبقي إلى ان جاء ابن جني

(1) انظر: الأصول في النحو2/ 266، والخصائص2/ 310، وانظر: كتابنا التوسع في كتاب سيبويه/ 9.

(ت392) فرفد هذا المصطلح بأمثلة وشواهد من كلام العرب أودعها كتابه "الخصائص".

رابعا: منهجي في التحقيق

حققتُ النَصَّ وفق الخطوات الآتية:

1. ضبطت النصَ ضبطاً دقيقاً، وأشكلت ما يُشكل وما لا يُشكل منه ولكني بريء من تبعات الحاسوب الذي يمتنع في بعض الأحيان عن إخراج الحركات، وتزيين الكلمات بها.
2. خرَّجتُ الآيات القرآنية الواردة في النص، وكذا الحديث النبوي الشريف.
3. خرَّجتُ كلّ بيت شعري ورد ذكره، ونسبته ما استطعت الى قائله، وذكرتُ بحره الشعري.
4. شرحت غوامض الكلمات التي وردت، بالرجوع إلى كتب المعجمات اللغوية الأصيلة.
5. اجتهدت في إظهار بعض الحروف الرابطة المطموسة التي يختل الكلام من دونها، كالفاءات، والواوات، وغيرهما.
6. سرت على الطريقة الحديثة في علامات الترقيم و ضبط الكلمات.
7. رددت الأقوال والآراء، التي لم تنسب؛ إلى أصحابها، مع ذكر المصدر ان توفر.
8. أدخلت أرقام المخطوط الأصل داخل النص، فرمزت لوجه الورقة بالرمز (/ و) ورمزت لظهر الورقة بالرمز (/ ظ) والفراغ الذي قبل

الخُطيط هو مكان رقم الصفحة من المخطوط وحصرت ذلك بين قوسين.

9. ترجمت لجميع الأعلام من النحاة واللغويين والشعراء.

10. خرّجت النصوص التي أحال عليها المصنف وقابلتها بالمصادر المحال عليها متى توفرت.

خامساً: وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخةٍ فريدة مصورة عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة في مكتبة جامعة "ييل" الأمريكية برقم "429". وليس هناك مَن أشار إلى وجود هذا المخطوط غير الأستاذ" كوركيس عواد" في كرّاسه "جولة في دور الكتب والأمريكية"[1] الذي نشر سنة 1951م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

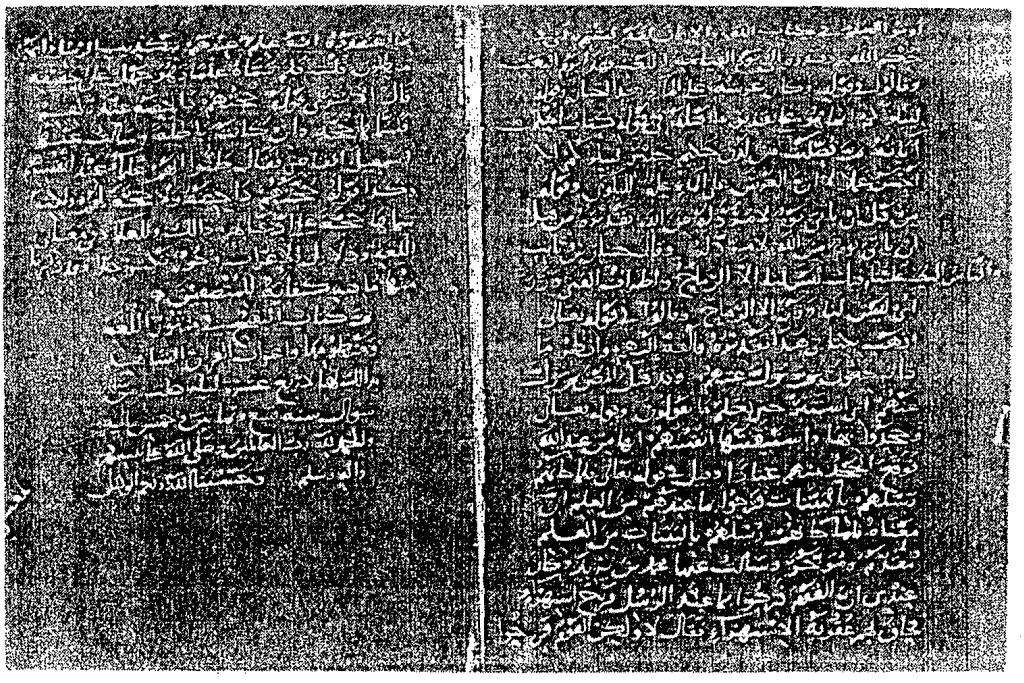

الورقة الأخيرة من المخطوط

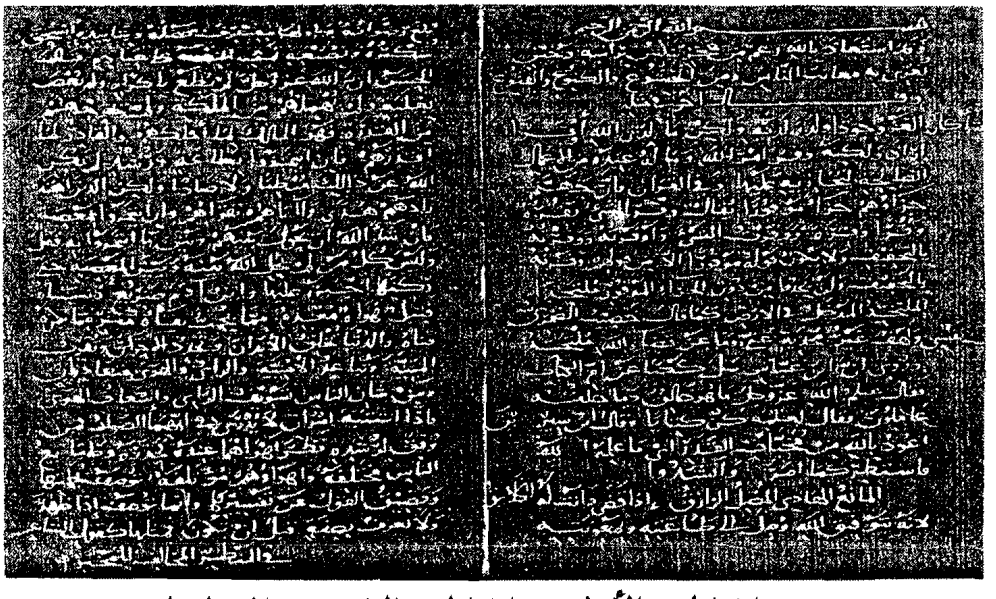

نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من المخطوط

يقابل ورقة (61/ و) من المخطوط، وصفحة 142 من الكتاب

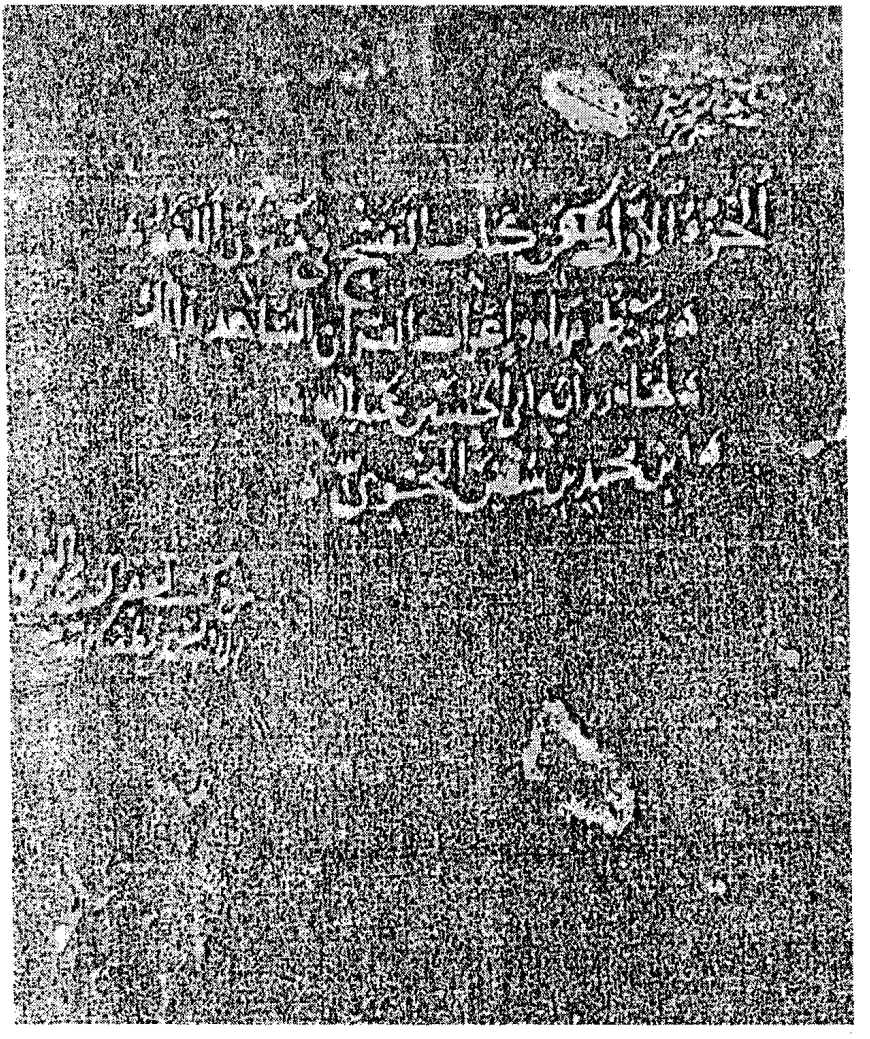

صفحة العنوان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

(3/ و) الحمدُ لبارىءِ النَّسَمُ[1]، ذي الجود والكرم، البادىء بالنِّعَم الدّالِّ بالتعليم والقَلم، وبالعقّل والفهْمِ على انْتزاع بوادعِ الحِكَم، دلَّ الله بها من اختاره من خير الأممِ العالمين، بأنَّ الحمدَ فريضةٌ واجبةٌ، وتركَهُ خطيئة مُحيطة إذ لا تُحصى نِعمُه ولا تُوازى مِنَنُهُ.

حَمْدُه، مُبتدِئاً بالحمْدِ إظهاراً لشكره واستدامةً لنعمتهِ، حَمْداً لا يعرفُ كلُّ المخلوقين قَدْرَهُ، ولا يُحصيهِ لجلالتهِ غيرهُ، وأؤمنُ به إقراراً بوحدانيته، وأُكْبِرُه خضوعاً لعظمتهِ، وأتوكَّلُ عليه مكتفياً بمعونتهِ على إيضاح الحججِ البالغات في إيقاظ الراغبين عن معرفةِ حقيقةِ العربيّةِ المفضَّلة على جميع اللغات الزاعمين أنَّ اللغة المؤيَّدة بالأعراب السالك بالأفهام من ذوي الألباب، إلى غوامضِ الأسْلابِ ليس بشديدِ الأشراق، ولا واضحِ الأئتلاق، ولا المعبِّرون عن عِلَلهِ بِحُذَّاق، وأنَّ العربية روايةٌ مستفادة، فأصولها ليست بمنقادة، وأنّ الكلامَ لم يُعرَبْ لعلةٍ ولا لمنفعةٍ، وأنَّ المعاني في القرآن تستغني بالألفاظ عن الإعراب، وأنَّ من تكلَّفَ في شرح أصولها في تباب.

وهذا لا يكونُ من حكيمٍ ولا من ذي فَهْمٍ عليم، أنْ يتكلَّف مؤونةً شديدةً لغيرِ منفعة رشيدة. فمن زَعَم منهم أنَّ الله تبارك (3/ ظ) وتعالى ألْهَمَهُمْ الكلام على هذا الأعراب لا لمنفعةٍ، فقد وصِفَ الله، تبارك و تعالى بغير صفتهِ. وقد

(1) جمع نَسَمَة وهي النَّفَس، والنَسَّمة: الإنسان وتعني النَّفَس والرّبو، وفي الحديث: "تكلّبوا الغُبار فمنه تكون النَّسَمَةُ". انظر الصحاح مادة: نسم.

قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم/ 4) أي: بلسان قومِ الرسول، كالتوراة بالعبرانيه والأنجيل بالسريانية والقرآن بالعربية.

فاللغاتُ في الأمم مختلفات، وبعضُها أوسعُ في التصرّفِ من بعضٍ، ولا تُعْلَم لغة أوسع تفسّحاً و أدقُّ تصرفاً من العربية. ولا أغمضُ مَسلكاً ولا أخصرُ إيجازاً، ولا أقدحُ للأذهان إفهاماً. ألا ترى في القرآن: ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ (البقرة/ 137).

كلمة واحدةٌ تشتمل على ثلاثة أسماء: الياء الله عزّو جل، والكاف الثانية للنبي، (ﷺ)، والهاء والميم للكفّار[1].

فالفصاحةُ في العربية وافرةٌ غريزة، والرغبةُ في ملتمسيها ضئيلةٌ عزيزةٌ لأنها تشتملُ على ثلاثة أنحاءٍ: على كلام مشطورٍ ومنثورٍ، وعلى كلّ شِعْرٍ بجواهرِ من الحِكَم منظوم، وفصولِ آياتِ العجزُ من الأثيانِ بمثلها معدوم

فصلى الله على نبّيه الذي استَنقَذَنا به من الهَلَكَة وانْتاشَنا[2]، ببركته من الضّلالة، وهدانا بيُمنْهِ من الحيرة باللغة التي شَرفها الله - عزَّ وجل على جميع اللغات، وأنارَها لعباده بالموضِحات من الآياتِ المُبينات المُنْزَلات، فيها بيانُ ما

(1) أصل هذا الكلام سؤال وجّهه الرشيد إلى المفضل الضبّي بحضرة الكسائي قال المفضل الضبي قال لي الرشيد: كم اسمٍ في (سيكفيكهم الله) ؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولّهما أسم الله تبارك وتعالى لا اله إلاّ هو، والثاني اسم النبي (ﷺ) والثالث: اسم الكفرة، فالياء والكاف المتّصلتان بالسين، لله جلّ وعزّ، والياء والكاف، المتّصلتان بالهاء لنبي الله، والهاء والميم للكفرة. انظر مجالس العلماء 30.

(2) أي: أنقذنا واستخرجنا.

أمَرَ به ونَهى عنه ورغَّبَ فيه وحذَّرَ منه. فوجبَ للمتمسِ عِلْم القرآن باللغة، وليسَ بمطبوعٍ عليها(4/ و)، أنْ يُعانَ بمعرفةِ الأعراب الجاري على:

لِسْنٍ كريم منهمُ مُكرَّم مُعلَّم آيَ الهُدى، مُعلِّم
مُباركٍ للأنبياءِ خاتَم[1]

فنذكر أولاً عِلَة النّطق بها، وذلك أنَّ كلامَ العرب، و إنْ كثُر الأتساعُ فيه، محظور بحروفٍ معدودة معروفة، ومحصور بأوزان معلومةٍ تلحقُها الأفهامُ، ويشتملُ عليها إعرابٌ يتفقّه به ذوو الأذهان، ويُسرعُ بالبرهان إلى توحيد الله المنّان. والكلام كلّهُ ثلاثة أقسام: اسمٌ موضوع على جسمٍ أو هيئة شخص أو عَرَضٍ فالجسم: رجل، فرس. و[هيئةِ][2] الشخص: قائم، راكب. والعرض: سواد، بياض.

والقسم الثاني: أفعالٌ دالّة على زمانِ حركة المُسَمَّينَ، من حالٍ وآتٍ وماضٍ كقولك: يأكلُ. و: سيأكلُ. و: قد أكلَ. وهذه الأفعال منها ما يلتبسُ بالاسم بنفسه، كقولك: خاط فلانٌ فراشاً. لأنَّ الخياطة وقعتَ على الثوب.

---

(1) البيتان من الرجز وهما للعجّاج كما في ديوانه 299،

واليَسْن: بكسر الأول وتسكين السين : الكلام، واللغة، يقال لكل قوم لِسْنٌ، قال المتنبي:

تجمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأمَّةٍ فما يُفهمُ الحُدّاثَ إلّا التَّراجِمُ

انظر: معجز أحمد 3/ 427.

(2) زيادة يقتضيها التقسيم.

ومنها مالا يلتبسُ بالاسم إلاّ برباطٍ، كقولك: نَام فلانٌ على فراشٍ. ولا تقلْ: نَامَ فراشاً. لأنَّ النوم فعلُ النائم في نفسه، فقولُك: على - حرف [1]: هو الموصِلُ الفعلَ إلى الاسم[2]. فكذلك الأعراب يوضِحُ المُرادَ به.

فالكلمة لا تكون أقلَّ من حرفين: حرفٌ للابتداء، وحرف للوقوف، إلاّ أن يكونَ موصولاً بأطراف الكَلِمَ، مثل: (كاف) إياك، [و] هناك، فإذا تمَّت الكلمةُ بحرفين انطلقَ بها (4/ ظ) اللسان، ما لم يكنْ الحرف الثاني (واواً) أو (ياءً) نحو(فمٌ، فماً، فمٍ)، والأصلُ) فو) كقول أميّة [3]:

* وما فاهوا بهِ لهُمُ مُقيمُ[4] *

---

(1) هذا القسم الثالث من أقسام الكلام.

(2) نسب البطليوسي هذا الحدّ إلى المبرد، وليس في المقتضب ولا في الكامل. انظر الحلل في إصلاح الخلل 75.

(3) أبن أبي الصّلْت ابن ربيعة بن عوف بن عقدة بن ثقيف، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ألحقه ابن سلاّم بشعراء الطائف، وقال: هو أشعرهم. وكان قد قرأ الكتب المتقدّمة، ونال شيئاً من علم أهل الكتاب وأخبار دينهم ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بانّ نبيّاً يُبعث قد أظل زمانه، ويَؤمّل أن يموت ذلك النبي، فلمّا بلغه خروج رسول الله(ﷺ) وقصّته كَفَرَ حسداً له، لمّا أُنشد رسول (ﷺ) شعرهُ قال: "آمَنَ لسانهُ وكفَرَ قَلبهُ". وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر، ويرثي من قُتل فيها.

وانظر: طبقات فحول الشعراء 1/ 262، 2/ 993، و الشعر والشعراء 280، وجمهرة أشعار العرب 515.

(4) هذا عجز بيت، صدره:

* وفيها لحمُ ساهرةٍ وبَحرٍ *

=

فلو أعربوا (الواو) لا فقالوا: لَهُ فوٌ واسعٌ. لصارتْ في اللفظ كأنها(فُنْ) والنون للتنوين وهو ساكن، وكانت النون ساكنةً، واجتماعُ ساكنين يُبطلُ حياةَ النطق. فمن الحكمةِ أبدلوا(الواو) ميماً ليتمكَّنَ الأعراب[1]: وإذا جاوزوا الحرفين ردّوا (الواو) لأمكانِ ذلك لهم وقد يُضافُ في بعض اللغات، ولا تُرَدُّ الميم إلى (الواو) أتساعاً، كقول الشاعر:

* بينَ فمِ البئرِ وبينِ المُستقى[2] *

وأحسنُ نَظْمِ الحرفين أنْ يكونا مختلفين، نحو: قد. و: عن. و: هل. و: قطّ.

فأما (دَدِ) فلا تستعملُه العرب إلاّ في حكايةٍ مُشتقّةٍ من الأسماء الأعجميّة نحو: (صَصَهْ)[3] اسم هندي. وإنّما (دَدِ) حكاية صوتِ الأصابع، وليس بعربيةٍ مَحْضة، ثم سُمّيَ كُلُ لَعبٍ ولهْوٍ(دَدِ)، فقال الشاعر[4]:

=

وهو من بحر الوافر، والساهرة: الفلاة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات/ 14)، والبيت في: شعره 272، وجمهرة أشعار العرب 1/ 130.

(1) وعن مثل هذا سأل سيبويه الخليل عن رجلٍ اسمه (فو) فقال: "إنّ العرب قد كفتنا أمر هذا الاسم فقالوا في الإفراد: فَمٌ، بأبدال الميم مكان الواو، حتى يصير على مثال تكون عليه الأسماء، ولكنّه افترض بعد ذلك لأنه من الهاء، قالوا: أفواه، كما قالوا: سوط وأسواط، أي أنّه لو لم يرد في جمعه: أفواه، كما يقولون: سوط وأسواط". الكتاب (بولاق) 2/ 33 -34، وانظر: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 81.

(2) هذا شطر بيت من الرجز.

(3) ذكر أنه هو الذي وضع الشطرنج لشهر أم ملك الفرس. ينظر معجم الأدباء 7/ 136.

(4) الطِّرِمّاح بن حكيم الطائي، من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، ولد في الشام ونشأ بها، ثم انتقل الى الكوفة، واعتقد مذهب الشُراة الأزارقة من الخوارج، اشتُهر

=

واستَطْرَبَتْ ظُعْنُهم لَمّا احزالَّ بهم مع الضحى ناشِطٌ من داعياتِ دَدِ[1]

ثُمّ تَتّسع الألفاظ بزيادةِ الأَسماء على حرفين، فتحتملُ الإعرابَ الذي جعله الله دلائلَ على معرفته و قبولِ أمرِهِ ونَهْيه. فقد جَمعت اللغةُ حُسْنَ نظمِ الألفاظ و جمالَ حِلْية الأَعراب، وبهدايتها خَلَصَ ذوو الألباب إلى معرفتهم بما كَنَزَ الله لعباده المخلَصين من نِعَمٍ هم صائرون(5/ و) إليها، ومن نِقَم تِحلُّ بالمُعرِضين عنها وعن التوقّفِ عليها، كما قال ربيعة بن الحارث[2]:

يا أهلَ مكّةَ خلّوا اللاتَ واتّبعوا محمداً خيرَ مَنْ يَمشي على قَدم

من يأتهِ يكنِ الأسلامُ شيمتَهُ حتى يَحُلَّ بدارِ العزِّ و الكَرَمِ[3]

لأنَّ الناسَ، من قريشٍ و غيرِهم، كانوا ثلاثةَ رَجْلَةٍ[4] لّما أُنزِلَ عليهم القرآن، منهم: الرجلُ أراد الله به خيراً، لعلمِهِ بانقياده للتّقى، فَوَفَّقَهُ الله لِطُرق

=

بالهجاء، وكان صديقاً للكميت، اختُلف في سنة وفاته، فقيل توفي سنة 125 هـ وقيل: 112هـ.

(انظر: الشعر والشعراء 358، جمهرة اشعار العرب 987، والمؤتلف والمختلف 219، والموشح 208، ومعجم الشعراء المخضرمين والامويين 221 – 222.

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 157، ومعنى آحزَأَلَ: ارتفع.

(2) ابن مرة بن زهير بن جشعم بن بكر بن حبيب بن كعب، وهو قائد معدّ يوم السُّلاّن، (ت سنة 23 هـ)، خزانة الادب 2/ 166، وانظر: الإصابه 1/ 506 والاستيعاب 2/ 490.

(3) البيتان من البحر البسيط.

(4) جمع (رَجُل). والمراد بال (رَجْلَةِ)هنا، الأصناف، لأن الناس في عصر النبي كانوا أصنافاً ثلاثة، منهم: كافرٌ مكذّب، وآخر مؤمن مصدّق و ثالث: شاكٌّ مرتاب لا يدري كيف هو. انظر تأويل مشكلة القرآن 211.

منارهِ فاهتدى. ورجلٌ لم يُعْط ذلك فوكِلَ إلى اختيارِ نفسه ذات الهوى، فَضلَّ وغوى وما اهتدى، فبقي متذبذِباً بين الحيرة والرّدى، يقول:لستُ من الفئةِ المؤمنةِ ولستُ من الفئةِ الكافرة، فقال له بعضُهم:

إذ أنْتَ لم تُؤمنْ ولَم تكُ كافراً فأينَ – إذنْ- يا أحْمقَ الناس تَذْهبُ

وما الدَّهْرُ إلا ليلةٌ ونهارُها وما المرءُ إلاّ مؤمنٌ أو مُكذِّبُ[1]

فجعل الليلَ والنهارَ تمثيلاً لضياء الإيمان وإظلام الكُفْران ورجلٌ ثالثٌ لم يُنْعَمْ عليه بعِلْم الأوّل، وأنْ يُبتلى بجهل الآخر، فقال: ما قَبِلَهُ اللهُ مِمّنْ قالَه إيماناً به، كلٌّ من عند ربّنا تسليماً له. إذ اتّبع قومٌ ما تَشابَه منه ابتغاءَ الفِتْنةِ بتأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران/ 7)، فاتّبعوا بزيغِ قلوبهم ما وقع في القرآن من ألفاظ جاءت على سَعةِ الكلام، وعلى تَفسُّحِ اللغة في افتنانِ النظام، فضاقَتْ عن(5/ ظ) فَهْمها قلوبُ العوامّ، فكانوا بعِلمِها كطَغامٍ نيام، كما قال طَرَفَة[2] – في ذي الحيرةِ منهم:

---

(1) البيتان من بحر الطويل.

(2) ابن العبد بن سفيان بن معد بن مالك، وطَرَفة، بالتحريك، واحد الطَرْفاء وهو الأثل، وبها لُقّب طَرَفة بن العبد، واسمه عمرو، وهو أشعر الشعراء بعد امريء القيس. قال الشعر صغيراً ونبغ فيه وعُدّ من فحوله وهو دون العشرين، عدّه ابن سلاّم في الطبقة الرابعة. صاحب المعلقة المشهورة:

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهْمَدِ تلوُح كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليدِ

انظر: المؤتلف والمختلف 146، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات 132. طبقات فحول الشعراء 115، الشعر والشعراء 95، وجمهرة أشعار العرب 419، وخزانة الأدب 2/ 419.

الهَيبـــــتُ لا فـــــؤادَ لَـــــهُ والتَّبيـــــتُ ثَبتـــــهُ فَهْمُـــــهْ [1]

فأجازوا صفةَ الخالق – جل ثناؤه – مجازَ صفةِ المخلوق، ولم يَعْلموا أنّه مَن شَبَّهَ شيئاً من صفات خلقه بصفتهِ فقد أخرَجهُ من حدّ الكمال ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد/ 9) وخَرجَ المُشبِّهُ، لذلك، إلى حدِّ الكفر والضَّلال، فقال – جَلّ جلاله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (القصص/ 88) وقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن/ 27) فشبّهوا مَن لا يُشبِهُه شيءٌ بما تُشبهُه الأشياء في خلْقها وتبعّضها، فتوهّموا عليه جلّ وعزَّ – التبعيضَ والتصوير، كما توهَّم القرويُّ {طه} بلغتِه(رجلاً)، فقال القرشّي[2]:

إنَّ السَّفاهةَ طه من خليقتِكم لا قَّدسَ اللهُ أرواحَ الملاعينِ[3]

والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار/ 6-7-8)، والمُصوِّرُ لا يكون كالمُصوَّر، تعالى الله عن ذلك وقد قرأ بعضُهم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾

---

(1) البيت من بحر المديد، وهو في ديوانه 85، بتحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب.

(2) عبد الله بن جُدعان (بضم الجيم) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة القرشي، وهو من أجواد قريش في الجاهلية، خزانة الأدب 8/ 366.

(3) البيت من بحر البسيط، وهو في الأضداد لابن الانباري 404، والكشاف 3/ 48، ونقل الزمخشري قول بعضهم: انّ (طاها) في لغة عك - وعك كما في الصحاح: عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن – فيمعنى: يا رجل ولعلّ (عكا) تصرفوا في (يا هذا) كأنهم في لغتهم قالبون الباء طاءً فقالوا في (يا) (طا) واختصروا هذا واقتصروا على ها. ثم ذكر انّ البيت مصنوع.

(الحشر/ 24) بالنصب[1]، [بـ] معنى خلقَ المصوَّر[2]. وأحدُهم يقول لصاحبه: أكرَمَ اللهُ وجَهك. فإذا قُلْتَ له: ما تعني؟ قال: أردتُ أكرمَكَ اللهُ، ولم أُرِدْ وجهَه دون بدنه، بعضاً دون بعض. ولم يعلموا فضيلةَ اللغةِ، أنَّ معنى قوله تعالى و تقدّس: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص/ 88)(6/ و)أي: كلّ شيءٍ، غيرُهُ، من جميع المخلوقات هالكٌ، إلاّ هو. وقد قالَ في كتابه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة / 22-25) فالوجوه لا تَظنّ، وإنّما يعني بذلك أهلَها. كما تقول: جاءني وجوهُ القوم. وقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق/ 15-16) فالنّاصيةُ لا تكونُ كاذبةً ولا خاطِئةً وإنّما هو صاحبُها. ولذلك كَرِهتْ العلماءُ أنْ يُستَحْلَفَ أحدٌ بوجهِ الله مخافةَ – على العوامّ – الجَهالةَ بمعنى ما يلفظونَ به. وقد جاءَ في الحديث: (إذا حَلَفْتُم فآحْلِفوا بالله). حتى قال بعضُهم: الحَلِف بغير الله من أعظمِ الذّنوب. كما قال الزبيرُ لعُمَر: سَبقتُكَ والكَعْبةِ / فقال له عُمر: الكعبةُ رُبّكَ فتحلِفَ بها؟. وقال بعضهم: هو الشِّرْك الأصْغَرُ. ثمّ نَهوا بعد هذا عن الحَلِف بوجه الله، لَمّا خافوا على الحالفِ بذلك وعلى السامع له من الجهالةِ، فيتَوهَّما فيهِ غيرَ معناه.

وقد كان التشبيهُ فاشياً في بني إسرائيلَ لجهْلهِم بتعظيمِ خالِقهم جلّ عن غفلةِ راقدِهم، واللهُ – عزَّ وجلّ – قد جادَ علينا بالنِّعَم السَّوابغ وقَطَع العذْرَ

(1) قال العكبري: "المُصَوِّرُ" بكسر الواو ورفع الراء على أنّه صفة، وبفتحها على أنّه مفعول الباريء عزّ وجل، وبالجر على التشبيه بـ (الحسن الوجه) على الأضافة. وقال ابن خالويه: المُصوَّر في هذه القراءة يكون الإنسان. انظر: املاء ما منّ به الرّحمن، 259، القراءات الشاذة 154.

(2) قال ابن خالويه: المصوَّر في هذه القراءة يكون: الأنسان . انظر القراءات الشاذة 154 .

بالحججِ البوالغ، فاتَّعظ قومٌ بالقرآن الوازع، والنّور الساطعِ والعِلْم النافع، فبُشِّروا - لَّما آمنوا وصدَّقوا - بجنةٍ لا يَبيدُ (6/ ظ) نعيمُها ولا يضْمحلُّ حبورُها، ولا تَنْفدُ كنوزُها كقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة/ 17) وقد ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه/ 98) أي: أحاطَ به. وكذلكَ في أبتدائِه بالفضل على الذين استقاموا، كما رُويَ في الحديث: (أعَددْتُ لعبادي الصالحينَ مَالا عينَ رأتْ ولا أُذُنَ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشَرٍ، بَلْهَ ما أطْلعتُهم عليه)[1] أي: دَعْ ما أطلعتُهم عليه. وقال أبو زُبيد[2]:

* أُعْطيهُمُ الجهْدَ منّي بَلْهَ ما أَسَعُ *[3]

أي: أجودُ بإعطائي ما تنالُه يدي، فدَعْ كيفَ أصنُع إذا وَسعْتُ الكثيرَ. وضَلّ قوم عاجزون غافلون عن الاستبصار، فصاروا جميعاً إلى دار قرار، ومُقامٍ في جنَّةٍ أو نارٍ، وجعلَ اللهُ آخرين، لّما نافقوا في الدّرْكِ الأسفلِ من النار، وبئسَ

(1) صحيح البخاري 4/ 68 والفائق 1/ 127 واللسان (بله).

(2) المنذر بن حرملة الطائي، كان من المعمّرين، عاش مائة وخمسين سنة وكان نصرانياً ومات على نصرانيته، ألحقه الجمحي بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام، وكان من زوّار الملوك وخاصة ملوك العجم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومِهِ ولم يستعمل نصرانياً غيره. وكان مُغرًى بوصف الأسد بعبارات مهولة تُزعج السامع حتّى كأنه يشاهد الأسد في حضوره، مما جعل عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: "أسكت قطع الله لسانك، قد أرعبتَ قلوبَ المؤمنين". انظر: الشعر والشعراء 171، وخزانة الأدب 4/ 192-193، وكتاب الاختيارين 518.

(3) عجز بيت من البحر البسيط، صدره في شعره 109:

* حمّالُ أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً *

القرار. واللهُ واسعُ المغفرة، شديدُ النقمة فبهِ الحولُ عن معصيتهِ، ومنه العِصمةُ في لزوم طاعتهِ.

وللنطْق بـ(الوجه) مذهبٌ آخر على غايةٍ من الإفصاح والبيان، [هـو] أنْ يُعنى بـ (وجه الله) – عز و جل – جهةٌ لله فيما أمرَ بـهِ، حيثُ حُوِّلَتْ القِبلةُ، قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة/ 115) أي: جهة الله.

ومن ذلك: أنَّ رجلاً قال لمعاذ بن جبل: أسألُكَ بوجهِ الله إلاّ أعطيتَني. فقالَ: ويحَك ! (7/ و) سألْتني بالله – عزَّ وجلَّ – أو بوْجه الله؟ فقال الرجل: أوليسا واحداً؟ فقال: لا، إن سألتني باللهِ أعطيتُك للهِ، وأنْ سألتني بوجهِ الله تُريد الطريقَ إليه، فليس لك قِبَلي حقٌ. يعني بـ(وجه الله) جهتُه التي أمر بها. فـ(وجُه الله) – جَلَّ ثناؤه – في أحدِهما، إنّه: الله، جل جلال الله. والآخر: جهتُه التي أمَر بها، فقصدَ إليها. وقول إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾ (الأنعام/ 79) أي: جعلتُ جهةَ وجهي إلى عبادة ربّي. ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب/ 69)، يُقال رجلٌ وجيهٌ، أي: ذو وجاهةٍ. والوجْه: مُستقبلُ كلّ شيءٍ. هذا شائعٌ في اللغة، تقول: هذا وجّه الصواب. وجِهَةُ كلّ شيءٍ: نحْوه. [و] تقولُ: توجَّهوا إليكَ، ووجّهوا. كلٌّ يُقال، غيَر أنَّ قولك: وجَّهوا إليك على معنى: ولّو إليك وجوهَهم في الوقت دون الوقت. والتوجيهُ: الفعل اللازم. أي: جعلوكَ عمدتَهم في أمورهم. والوجَاهُ والتِّجاهُ: لغتان. والمواجَهةُ: استقبالُك بوجهِك وجْهَ الرجلِ بكلامٍ هزيلٍ أو جزيلٍ، أو بوجهٍ جميل كما قال الراجز[1]:

(1) عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، انظر: عيون الأخبار 2/ 167، والأخبار الطوال 178.

سَيْدَ قـريش مَـن مَـضى ومَـنْ غَبَـرْ أعـنى رسـولَ الله ذا الوجْـهِ الأَغَـرْ [1]

ويقال: أوجَهَهُ السلطانُ: إذا جعلَ له جاهاً. والجاهُ: المنزلـةُ الرفيعـة. كمـا قال امرؤ القيس[2]:

(7/ ظ) ونَادَمْـتُ قَيـصَر في مُلْكِـهِ فـأوْجَهني وركبـتُ البريـدا [3].

والله، عزّ وجلّ، لا تُدْرِكه الشواهد، ولا تَحويه المشاهد، بـل هـو الأحَـدُ الواحد لا تحجبُه السواتر، ولا تَراه النـواظر، ولا يَتنـاهي في الأوهـام إلى تحديـدٍ

---

(1) البيتان من الرجز، وهما في عيون الأخبار 2/ 167. وقال عُبيد الله بن عمر :

أنـا عُبيـد الله يَنْمِـيني عُمَـرْ خـيرُ قُـريشٍ مَـنْ مَـضى ومَـن غَبَـرْ

بعـد رسـولِ الله والـشّيخِ الأغَـرّ هَـلاّ عُبيـدَ الله في ذلـك نَظَـرْ

(2) ابن حُجر بن عمرو الكنديّ، وهو من أهل نجد من الطبقة الأولى، وذكر بعـض اللغـويين أنّ اسمه حُندُج، وأمرؤ القيس لقَبٌ له لُقِّبَ به لجماله، وذلك لأنّ الناس "قِسوا" إليـه في زمانه فكان أفضلَهم ويقال له "ذو القروح" لقوله: من البحر الطويل:

وبُـدّلتُ قرحـاً داهيـاً بعـد صـحةٍ فيـا لـك مـن نعمـى تحـولنَ أبؤسـا

كما يقال: "الملك الضِّلِّيل"، وذكر له ابن سلاّم مناقـب سـبق العـرب اليهـا واستحـسنتها العرب، واتّبعتْهُ فيها الشعراء، نحو: استسقاف صَحبُه والتَّبكاء في الدّيار، ورِقّـة النـسيب، وقَيّد الأوابد.

انظر: طبقات فحول الشعراء 1/ 55، الشعر والشعراء 41، وجمهـرة أشـعار العـرب 243، وخزانة الأدب 1/ 330 -331.

(3) البيت من البحـر المتقـارب، وهـو في ديوانـه/ 381، وقـد ورد مـع بيـتٍ آخـر في الـشعر والشعراء لابن قتيبة 51، وقد غلط محقّقا الكتاب فنسبا البيتين إلى البحـر الطويـل، وهـذا وهم منهما.

وتصوير، ولا يتمثَّلُ في الأفكار بتقدير، ولا تبلُغه المقاييس بالتبصير، جَلّ عنه شَبهِ الخليقة وقد عرَّفَهم الحقيقة، وجعلَ ألسنتَهم بها طليقة، ودلَّهم بالأبصار على سُنن الطريقة بلغات مختلفاتٍ على معانٍ مُشتبهات و واضحات، ليجعَلَهم في العلم طبقات، جرى بذلك القلم، وتمَّتْ به النِّعم.

فَمن زعَم أنَّ الخلائق – من العرب والعجم – أُعطوا قوةً وفهماً، فنطَقوا بالكلام اختراعاً وابتداعاً، وأعربت العرب الألفاظ بغيرِ انتظام على قَدْر ما فهموا من الأوضاع بينهم، فلقد حمَّلوا أنفسهم مؤونةً شديدةً لغير منفعةٍ رشيدة. فكيف يكون هذا وقد وجدِت العرب مجتمعة على إعراب واحدٍ؟ يقولون: فَعَلَ عبد الله. فَيجُرون جميعَ أمثاله عليه، فيقولون: قامَ عبد الله. و: قَعدَ عبد الله. فإذا قالوا: ما قامَ أو: ما ذهبَ عبد الله. قالوا: ما جلسَ أخوك. و: ما تكلَّمَ أبوك. ويفعلون ذلك بكلّ ما قالوا (8/ و) فيه: ما فَعلَ. وكذلك كل بابٍ من العربية.

فلو كانوا لمْ يضَعوه على قياسٍ به يُقتدى، ولا لمنفعةٍ يُهتدى بها لكثُرَ اختلافهم وفَسُدَ نظام كلامهم، ولا اضطرب المذهبُ الواحد في لغة الرجل الواحد، حتى يرفعَ ما ينصبُ غيره، وينصبَ ما يرفعهُ غيره، ويخفضَ في موضعٍ ثم يرفعُ في ذلك الموضع بعد ساعة.

وإنْ كان الأعراب لا يُنتفَعُ به ولا يَدلُّ على معنىً، فمتى تثبتُ حُجّةُ التأويل؟ ولو كان على غيرِ قياسٍ من العربيّ الأوّل ولم يَتْبَعْهُ الآخرُ، ما وافقَ الحجازيُّ التميميَ، والربعيُّ اليمانيَّ، وعسى أنْ يكونَ بينهم في المَحالّ والأوطان المسير البعيد الأقطار، ولم يلتقوا قطّ.

فإنْ قيل: فإنَّهم قد اختلفوا في بعض الأشياء، إنَّهم لم يختلفوا في الأصول وإنّما اختلفوا في بعض الفروع، فاختلفوا منها في الشّاذ القليل، وقد مَّيزت

العلماءُ السليمَ من العليل. وكيفَ يكون الأعرابُ روايةً كلّه بغير سَدادٍ؟ ويكون قياسهُ غير مُنقادٍ؟ ونحن إذا سَمعْنا: يَقومُ زيدٌ. قلنا: يجلسُ عمروٌ. وأنْ لم نكن سمعناه. وقِسْنا كلَّ ما كانَ على هذا المثال. وإنّما قالوا: ضَرَب أخاك. ليكون بينه وبين: ضَرَب أخوك - فصْلٌ، حتى يفهمَه السامعُ، ويعرفُ المعنى (8/ ظ) إذا هما اجتمعا. ألا ترى أنَّ الأعرابَ لو كان فيهما واحداً، فكانا جميعاً رفْعاً، فقلتَ: ضَرَبَ أبوك أخوكَ. لم يعلمِ السامع أيّهما الكافُ عن صاحبه. وكذلك: ما أحسَنَ أخاكَ، في التعجب. و: ما أحْسَنَ أخيكَ؟ في الاستفهام، يريد: أيُّ شيءٍ في أخيك حَسَنٌ ؟. و: ما أحْسَنَ أخوك، في الإنكار. لوكانَ إعرابُ هذا كلّه واحداً، لم يعلم السامعُ ما تعني. فأن قيل: قد يجيءُ من هذا ما لا يُلْبِسُ، فما دعاهم إلى إعرابه؟ فالجواب: إنّهم جَعلوا مجرى الكلام واحداً لئلاّ يختلف طبعاً أو إلهاماً، فلذلك قالوا: ضَرَبَني أخوك. و: ما ضَرَبَني أخوك. فالزموه الرفْعَ، وليس معه ما يلْتَبِسُ به، ليُعرَفَ من هذا النحو موجَبُه ومنفيُّه، لأنّه نفى ما أوجبَ، واللفظ واحدٌ و(ما) نافية لا تعملُ إعراباً- وكذا ما اشبهه.

وإذا سَمِعْتَ منصوباً مع مرفوع عرفتَ المعنى في فاعله و مفعولهِ بالعوامل، و(ما) النافية لا تعملُ إلاّ في المعنى. ولو لم يكن ذلكَ قد أوضحَ للسامع - قبلْ أنْ يَجْتمعا - لم يعرفْ معناهما إذا اجْتَمعا.

وأمّا قولك: ماتَ عدوُّ اللهِ. و: عاشَ عبد الله. و: تخرَّقَ الثوبانِ. وما أشبه ذلك فيما يقال فيه: إنّه (فُعِلَ) به في المعنى، فقد لُفِظَ به كما لُفِظَ بالفاعل[1]. وكلُّ ما لُفِظَ به فَدلَّ (9/ و) على معنى ما يُريدون فهو صحيحٌ في القياس،

(1) يريد: أنَّ ما هو فاعل في الظاهر هو في حقيقته مفعول به، إذ لا إرادةَ لعبد الله في موتهِ أو للثوب في تخرّقِهِ. وهذا من المجاز.

فصيحٌ في ألفاظ معاني الناس، ليكونَ كلامُهُم كُلُّ ضَرْبٍ منهُ على إعراب يوضِّحُ حقيقةَ الصواب وهو أخفُ عليهم وأهونُ من أنْ يتكلموا بما لم يُلفظْ إلا قليلاً. ولا إشكالَ على السامع فيما أدَّاهُ الكلامُ إلى الأفهام، ولا خللَ فيما دلَّتْ عليه حركاتُ الأعراب.

وأمّا قولهم: دعا زيدٌ رَبَّه. و: عَبَد زيدٌ رَبَّه. فإنما أرادوا أن يفصلوا بين العابدِ والمعبود، وبين الداعي والمدعو، وإنْ كانَ السامع قد يعرفُ العابد من المعبود، ولكنَّهم أجروه على كلامهم السائر، ويُقاس ما كان من نحو ذا على ما سمع منه، وإنْ كان الذي لم يَسمَعْ أكثر بأضعافٍ مُضاعفةٍ. وكفى بقولِ رسول الله (ﷺ): (أعْرِبوا القرآن يَدَ لَكم على معناه، وأعربوا كلامَكُم لِتُعربوا كتابَ اللهِ)[1]، روى ذلك محمد بن علي بن الحسين عن آبائه المرضيّينَ وقال (لولا كتابُ اللهِ ما باليتُ كيفَ تَكَلَمْتُ)، لانَّ مُرادَه التفهُّم لأمرِ الله ونهيهِ وفرضهِ ووعظهِ، مع ما يُكسِبُه من الجمال، كما قال عمر: عليكُم بالعربيّة فإنّها تُثبِتُ العقلَ وتزيدُ في المُروءةِ والكمال[2]. و: الأعراب حُلِيٌّ السان فلا تمنعوا ألسنَتَكُم حُليهَّا[3]. وقيل:

وإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلومِ أجلَّها ... فأجلُّها مِنْهَا مُقيمُ الألْسُنِ[4]

---

(1) الجامع الصغير 1/ 46

(2) طبقات الزبيدي 13 و معجم الأدباء 1/ 19 وصبح الأعشى 1/ 168.

(3) الكلمة لما لك بن انس كما في طبقات الزبيدي 13 وصبح الاعشى 1/ 169.

(4) البيت من البحر الكامل، وقبله:

النحو يبسطُ من لسان الألكنِ ... والمرءُ تُكرِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(9/ ظ) والقرآنُ الذي هو الدليل، مُقيَّد بالأعراب الذي به يُرجَعُ إلى معرفة الحلال والحرام، ويُحتَجُّ فيهما باللغة التي فضلها الله بـ[1] على غيرها من الكلام، مذكورة[2] بالبيان و الأفصاح و كثرة الفوائد والأيضاح.

والنحويون بالتقريب يَرشدون، وبالقياس يَهتدون، كما قيل:

مـــا في الأنـــام نظـــيرٌ كالمازنـــيِّ الأريـــبِ
إذا تباعَـــد عِلْـــم أتـــى بـــهِ مِـــنْ قريـــبِ[3]

وإنْ كان الأول قد تكلّمَ بلغات مختلفة الأوزان، فإنّما ذلك على قَدْر ما اعتادَتهُ ألسنتُهم. ولم يَخْرُجْ ذلك عن صوابِ مفهومٍ وقياسٍ معلوم، لأنَّ (العرب كالأشجارِ، وكلامهم لهم كالثمارِ، فهم بالبلاغةِ يُثمرون، والناسُ لألفاظهم يجتنون، وبكلامهم المُعرَبَ يَنطِقون وبفهمهم يَحتجُّون، وإلى معانيهم يصيرون وبها يَقْتدون)[4].

---

(1) أي الاعراب

(2) يعني اللغة.

(3) البيتان من مجزوء الرمل، وهما للجمّاز البصري يمدح بهما أبا عثمان المازني النحوي الصرفي المعروف وهما من قصيدة يقول فيها :

أعلـــمُ النـــاس بنحـــوٍ وبـــشعرٍ وغريـــبِ
وبأيـــامِ جميـــع النـــاسِ بكـــر بـــن حبيـــبِ

انظر: نور القبس 220، وأبو عثمان المازني 33.

(4) أصل هذا الكلام للإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) نقله المؤلّف وتصرّف فيه وهو موجود في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي 1/ 63.

ومع هذا [فـ] إنَّ الإعراب أدلّ على معنى اللفظ من سَماع اللفظ عارياً منه، وذلك(10/ و) أنَّ الفَهِمَ من المخاطبين إن سَمِعَ ثُمّ نسيَ، فأدارَ فِكْرَهُ فيما سَمِعَ كيفُ يكوِّنُ كلاماً مفيداً ليُدرِكَ ما فاته، ترفقَ ناظراً بقلبه - كما رويَ في التوراة: رأسُ الرفق الفكرةُ. ويقال: الفكرُ بحرٌ لؤلؤهُ الحِكْمةُ، ومرجانُه الفِطْنة[1].

- فلا ينظُر إذا كانَ قد سمعه منصوباً إلا فيما ينصب، فقد رمى عن نفسه مؤونة شديدة. فكذا لو سَمِعَ الحرفَ مرفوعا، لم ينظر فيما ينصب ويخفض. فكلُّ هذا قد عظُمتْ فيه منفعةُ الأعراب، ولم يذهب عن جملةِ الصواب، ألا ترى قول الله العزيز الوهّاب: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ (الطلاق/ 1) فظاهرهُ: إذا طلقتموهنّ فافعلوا الطلاق. وإنما المعنى: إذا عزمتم، لأنَّ بعد الطلاق لا يكون عليهما سبيل. فمَنْ لم يعرف تصاريف المعاني المتّفقات في اللفظ زَلّ عن الفهْمِ وعميَ عن بصائر الحظ، بأنّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - يفتحُ بالقرآن آذانَ السامعين، ويفتقُ به أذهانَ العارفين بطرقات معاني التنزيل، فيحكمون فيها بما تستحقُّ الفروعُ من حُكْمِ أصولها، وذلك سبيل الاستنباط بالأفهام من كتاب الله الحيّ القيّام[2]، لانَّ

(1) الكلمة في الفهرست 21 و البصائر والذخائر 2/ 1/ 252 ونسبها ابن النديم الى عبد الحميد (الكاتب)

(2) على وزن (فَيْعال) مثل: بَيْطار، وشَيْطان، وقد اجتمعت فيه الواو والياء، والسابق منها ساكن، فقلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء فصارت (قَيّام).

امّا (قيوّم) فعلى وزن (فَيْعول) من قامَ يقومُ، فلمّا اجتمعت الواو والياء وسُبقت الأولى بالسكون، قُلبت الواو ياءً وأُدغمتا. وهي من صيغ مبالغة اسم الفاعل وأصلها: قَيْوُوْم ثم صارت: قَيُّوم.

=

المُستنبَط بصحيح النّية موفَّق للعلم الذي هو مُستحقّ، ولمعناه مُستوجِب. ومَنْ ضَاق عن معرفة سَعة اللغة جعل (10/ ظ) معانيها ومعاني ما شاركها في مخارج ألفاظها واحداً، فيكثُرَ زَلله وتَبْطلَ عِلله.

فمعرفة اللغةِ العربية وإنزالُها منازلَها واجبةٌ على أهلِ العلم، وبهم أكثرُ الحاجة إلى فَهْم تصاريفها في وجوه مقاصيدهم. ألا ترى قول الصادق القادر سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء/ 1) فاللفظُ علمٌ للجميع في الظاهر، ثُمّ قال: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/ 1)، فَمنْ جعل معنى اللفظتينِ جميعاً عامّا. إذ كانتا مُرسلتينِ غيرَ منعوتتينِ بخصوصٍ ولابعمومٍ. فقد أعْظَم القولَ، لأنّها نَزلَتْ ونبيُّ الله (ﷺ) في الناس.

فقد وضّحَ أنّه لم يَدخلْ في المرادينِ بذلك، إذ لم يكن في غفلةٍ وهو المُحذَّرُ من الأغفال، ولا مِنَ المُعرضينَ عمَّنْ اغْتَّر بالأمهال، ولا كان النُجباء من أصحابهُ يُنسَبونَ إلى الغفلةِ والأعراض. قالَ عبد الله بن الزبعرى[1] حينَ استنارَ له الهُدى، وأفْلتَ من الضلالة و الردى:

=

وقد قرأ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعبد الله بن مسعود (اللهُ لا إله إلّا هو الحيُّ القيّام) في آل عمران/ 2.

وذكر الفرّاء انّ أهل الحجاز أكثر ما يقولون: الفَيعال؛ فيقولون للصوّاغ: الصيّاغ.

انظر: معاني القرآن 1/ 190، وإملاء ما من به الرحمن 1/ 106، والمبدع في التصريف 191، ومعجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم 227.

(1) ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب، شاعر مُفَلّق، كان مؤذياً لرسول الله (ﷺ) ثم أسلم واعتذر إليه، ثم مدحه، عدّه ابن سلاّم

=

إنّـي وَجَـدْتُكَ يـا مُحمّـدُ عِـصْمَةً للعــالمينَ مِــنَ العــذابِ الكــاربِ[1]

أي: الذي كَرَبَ، أى: دَنا واقتربَ مِمَّنْ لها قلبُه بالغفلةِ واللعبِ. وهذا بـادٍ ظاهُره، غَيرُ مَشْكِلٍ على الذي هو باصِرهُ.

وقال قوم: المعاني التي أنزلَ اللهُ بها كَتابَهُ الـذي هـو أصـلُ اللغـة وعمـودُ البرهان، (11/ و) وجَعلهُ احْتجاجاً على جميع الأديان، أربعة أشياءَ: إباحةٌ وحظْرٌ وأخبارٌ وأمْر.

واختلفوا في النُّطْقِ العربّي المُعَبِرِ عن هذه المعـاني، أهـو موضـوعٌ للعـرب طبْعاً أو إعلاماً أمْ قبلوه فكرةً وإلهاماً؟ وهل يجوزُ أنْ يكون ابْتُـدِىَء بـهِ ولم يَبْلـغْ النهايةَ فيُمكِن أنْ يزدادَ فيهِ على ما هو عليه حتَّى يتلاغى قوم فيما بينهم كلاماً؟

فقال قوم: ألهمهمَ اللهُ كلَّ لسانٍ أن يَنْطِقَ بما هَجَس في نفسِ صاحبه، على قَدْرِ قوَّة الطبائع وضعفها، لأنّ الله تعـالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (الرحمن/ 3-4) فاحْتملَ أنْ يكونَ علَّمهُ: أنْ يُبيّنَ لمثلهِ ما يُريد، ويَتبيّنَ من مثلهِ مـا يُريد، لأنّ البيانَ اسمٌ جامعٌ.

فإذا كانَ اللهُ - اللطيفُ بعبادهِ - قد علَّمهم هذا، فذاكَ عِلْمُ القَلـبِ، ولـو كان البَيانُ - هاهنا - يَخصُّ المنْطِقَ دون القلبِ، لكـانَ النـاسُ أجمعـون نـاطقينَ

=

ابن سلاّم من شعراء مكة قال: "وبمكة شعراء. فأبرعهم شعراً ؛ عبد الله بن الزِّبَعْـرَى بـن قيس.

انظـر: طبقـات فحـول الـشعراء 230، ومعجـم الـشعراء المخـضرمين والأمـويين 247، والأعلام/ 4/ 87، والبيان والتبيين 1/ 108.

(1) البيت من البحر الكامل.

بكلّ كلامٍ، ولكنّ الأنسان عُلِّمَ التمييزَ الذي به يستبينُ ويُبينُ، فكلّ شيءٍ بيّنهُ المُستبينُ فهو بيانٌ، كما أنّ كُلَّ شيءٍ تَبيّنتَهُ من مُبينٍ فهو بيانٌ. ولو كان إنما يُبيّنُ لغيرهِ ولا يَستبينُ من غيرهِ، لم يكنْ لَهُ عِلمٌ بالبيانِ، لأنّه لايعلم كيف يُبيّنُ وهو لا يستبينُ. فالألْسنُ تُعبرُّ عن(11/ ظ) الضَمائِر، وإنْ اختلفَتِ اللغاتُ و البصائرُ. فهذه عطيةٌ من اللهِ، وتفهيمٌ لكتابهِ المقرونُ بالأعراب، كالحُلِيّ على الأثرابِ، فكيفَ يجوزُ أنْ تُسلَبَ الحيلةُ التي هي دليلةٌ على مخابئ الفِطن ومنافعِ السُّنَن؟ وأولُ مَنْ فَهِمَ العربيةَ ونَطقَ بها عادٌ، ثُمّ تكلّمت بها ثمودُ، ثُمَّ طَسْمٌ وجديس والعماليقُ، وكُلّ لَزِمَ الأعراب بتحقيقٍ وتدقيقٍ. فَمنْ عرفِ النعمةَ في نُطقِ اللسان، كان – بفضلِ النعمةِ من اللهِ – في بيانِ الإعراب أعَرفُ، كما قالَ إعرابيٌّ لقومٍ سَمِعَهُم يّذكرونَ فَضْلَ العربيةِ: فِداكُم أبي و أميّ، أنتم حُضّان الشرف.

فَمَنْ أبصَر رتْقَ الكلام وفَتْقَه أدْرَكَ البلاغةَ في المَقالِ، ولا شيء أقعدُ بامرىء عن مكُرمَةٍ من صِغَرِ هّمة بأخمالِ سَنيّ طِلْبَتِه، وَمنْ غَلبَ على براعةِ المنطقِ فليُحِلْ على الصمتِ، فإنّه سبيلُ البُلغاءِ، ومَنْ غَلبَ على العلمِ فليُحِلّ على العملِ فإنّه سبيلُ العُلماءِ، ومَنْ لَمْ يكنْ لَهُ فَهمٌ فليلزَمْ زاويةَ السكوتِ، ولا ينبغي أنْ يدَّعي فَهْماً بقلبٍ مسبوتٍ، كما قيل في المَثل:

لا تدَّعي الفَهْمَ لِما لا تَفْهمُ إنْ كَنْتَ لم تَعْلَمْ فَقُلْ لاَ أعْلَمُ[1]

ولا عِلْمَ لنا بأنّ آدمَ وحوّاءَ ميّزا بينهما كلاماً كهذا التمييز من غير أنْ يكونَ الله – عزّ وجلّ – جَعَلَ (12/ و) فيهما إلاّ القوةَ على ذلك، وكان التمييزُ لهما والله هو الذي علَمَهُما أنْ يميزا ويُبّينا، فكيف كَان حالُ النُّطْقِ منهما، فهو

(1) البيت من الرجز لم أقف على قائله.

من تعليم اللهِ - جلّ ذِكرهُ -، كما علَّم عَبادَهُ صُورَ الخَطِ فصارتْ دالَّـةً لأَبـصارِ العيونِ، على مِثْل ما دَلّ عليهِ النطقَ المسموعُ، وزادَ نفعاً بانتشارهِ في الأخْبار عن كُلِّ مُطْلقٍ و ممنوعٍ، وكُلِّ تابعٍ ومتبوع.

قال الأصمعي[1]: سألتُ أبا مالكِ الغنويّ[2]، ما قولُ الشاعر:

فمـنْ يَـسمَعَ الـصوتَ لا يـسْتَجيبُ ومَــنْ يَــسْتجيبُ فَــلا يَــسْمَعُ ؟

فَقالَ: مَنْ يَسمَعُ فلا يَستجيبُ: الأُذُن، ولكـنْ يَعِـي، ومَـنْ يَسْتجيبُ ولا يَسمعُ اللسانُ، أنطقه اللهُ بالبيانِ.

والخطّ مُقيِّدٌ لنتائجِ الأفكارِ، ومُنزِّه لعيونِ النُّظَّار، ومُخبِرٌ عمَّنْ غـابَ عَـن الأَبصارِ، وذلك من هباتِ الواحد القَّهارِ، بما جَعَلَ في هذه الجوارحِ مـن القـدرةِ والاقتدار. والأعـرابُ مُـزِّينٌ للخطـوط نَظَـراً وخَبَـراً، ومعقـودٌ بجميعـهِ كَمَـلاً ومُشْتمِلٌ عليه دليلاً و رائضاً ولذلك قَالتِ الحكماءُ: الخطُّ قيّم الحكمةِ، صـورتُه

(1) عبد الملك بن قُريب بن أصمع بن مظهر أبـو سـعيد البـاهلي الأصـمعي إمـام في النحـو واللغة والأشـعار والأخبـار والمُلَـح، وكـان صـدوقاً في الحـديث وكـان يجـالس هـارون الرشيد، وقد جُمع بينه وبين الكسائي وهما عند الرشيد فقـال الأصـمعي للكـسائي مـا معنى قول الراعي :

قتلوا ابن عفّانَ الخليفة مُحْرِماً ودعــا فلــم أرَ مثلَــهُ مَخــذولا ؟

قال الكسائي: كان مُحرمًا ؛ كان في حرمة الإسلام، وقوله محرماً في كسرى يعـني: حُرْمـة العهد الذي كان له في أعناق أصحابه.

انظر: أخبار النحويين البصريّن 59– 60، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة 129.

(2) أبو مالك الغنوي، لم أقـف علـى ترجمتـه ولكـن عـدَّهُ المرزبـاني مـن الـشعراء المجهـولين والأعراب المغمورين، معجم الشعراء 513.

ضئيلةٌ، ومعانيه جليلة. وكذا قالتِ الرومُ: الخطُّ هَندسَةٌ روحانيةٌ، وإنْ ظهَرتْ بآلةٍ جسمانية[1]. وكذلك قَالتِ العربُ: الخَطُّ أصيلٌ في الروحِ، وإنْ ظَهرَ بحواس الجَسدِ[2]. وقالوا: الخطوطُ رياضُ العلومُ. ولا يمكِنُ أنْ يُعْمَل(12/ ظ) كلامٌ عربيٌ إلا من هذه الحروف التي في طَبْع الأنسان أنْ يؤديها وهو إذا ألَّفَ بعضها إلى بعضٍ، بينهَ وبينَ آخرٍ، على أي ترتيبٍ شاء، أحْدَثتْ لغةً، وإن كثُرَ مَنْ يتكلَّمُ بها صارتْ لاحِقةً بجميع اللغات، فهذا الذي يُوجِبُ الطبع. وليس يدْفَعُ أنْ يكونَ الله - جلّ ذِكرهُ - أرشدَ العباد لذلك، وإذا أرشدَهُم فهو عَلَّمهم إيّاه وهو دَلَّهم عليهِ وعلى معانيهِ وصورةِ مبانيهِ، قال الشاعرُ[3]:

تَرى حُلَلَ البيانِ مُنَشَّراتٍ تَبَخْتَرُ وسْطَها صورُ المباني[4]

فَاللفظُ مُخترَع للطائفِ المعاني، والخطّ مُخترعُ لصورِ المباني، دَالٍ على أوزانها، والإعرابُ حِلْيةٌ لها دالٌّ على مالكها من مملوكها، فمالكُها مرفوعاتُها لأنّهُنّ فاعلاتٌ، ومملوكُها مخفوضاتُها، ومنصوباتُها تتصرَّفُ بهنّ الفاعلاتُ في كلّ الجهاتِ، لُطْفٌ من مُدبِّر الأحياء والأموات، لأنَّ ا لخطوطَ صامتاتٌ، وكُلُّ صامتٍ فهو ناطقٌ من جهةِ الدلالةِ مُعْرِبٌ من جِهةِ صحّة الشهادة، على ما فيه من التمييزِ والحكمةِ التي نصبَها الله دليلةً على حقيقته كما جَعَل القرآن عَلَماً[5]

(1) هذه العبارة لاقليدس في أدب الكتاب 1/ 41، والفهرست 22.

(2) الكلمة باختلاف يسير في أدب الكتاب 1/ 41 والفهرست 22 منسوبة إلى النظام

(3) إبراهيم بن العباس الصولي (ت 243 هـ)

خزانة الأدب 3/ 63، 6,119.

(4) البيت من البحر الوافر.

(5) أي علامة.

لخليقتهِ. فهو يدلُّهم بضربين: بلفظٍ مُفسِّرٍ عن الشيء تصريحاً، وربّما دَلّهم بعبارةٍ عن غيرهِ (13/ و) فاستدلّوا بذلك استخراجاً للمعنى، ولفظُ القرآن هو الدليلُ فلذلكَ قيل: الاستدلالُ غيرُ النّص. ومثالٌ على ذلكَ قولُهُ - تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ (هود/ 7) فَعُقلِ وفُهِمِ أنّه: غيرُ سَفيهٍ، فلو أنّ قارئاً قرأ: "إنَّ إبراهيمَ غيرَ سفيهٍ" لكان مُبْدِلاً للفظ لا للمعنى، ولو قال قائل: "إنَّ إبراهيم لسفيهٌ" لكان رادًّا لخبرِ الله. فهذا هو الدليلُ الذي يكونُ نَصّاً على شيءٍ يدلُّ على معناه. وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات/ 101) أي: لا جاهلٍ. قال حسان بن ثابت[1]:

لا يَبْخَلونَ و إنْ حاولْتَ جهلَهُمُ ... في فضْلِ أحلامهم عن ذاكَ مُتَّسَعُ

إنْ كانَ في الناسِ سبّاقونَ بَعْدَهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهِم تَبَعُ[2]

---

(1) ابن المنذر الأنصاري وأمُّه الفُرَيْعة بنت خالد القيسي الخزرجية، يكنى أبا عبد الرحمن وأبا الوليد، وهو فحل من فحول الشعراء، قيل: إنّه أشعر أهل المَدَر، وهو أحد المعمّرين من المخضرمين عاش مائة وعشرين سنة: ستين في الجاهلية، ومثلها في الاسلام، وجعله ابن سلاّم في طليعة طبقة شعراء القرى العربية، وكان في جاهليته يفد على ملوك غسّان بالشام فيمدحهم، وفي اسلامه أضحى شاعر الرسول (ﷺ) والدعوة الإسلامية، عَمِيَ في آخر عُمره ومات في خلافة معاوية (سنة 54 هـ).

الشعر والشعراء 174، وجمهرة أشعار العرب 621، وطبقات فحول الشعراء/ 215، وتاريخ خليفة بن خياط 202، الأعلام 2/ 175، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين/ 102. الأنصاري، الشاعر الإسلامي المعروف كان يلقب بالحسام، انظر معجم ألقاب الشعراء/ 65، والمؤتلف والمختلف 89.

(2) البيتان من البحر البسيط وهما في ديوانه 152، والأول بلفظ (لا يجهلون وان حاولت جهلهم..) وفيها تقديم وتأخير، وهما من قصيدته المشهورة:

=

فكفى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود/ 75). فالله - عز وجل - فَضَّلَ بعضَ النبيِّينَ على بعضٍ، قال القائل[1]:

والقومُ أشْبَاهٌ وبينَ حُلومِهم بَوْنٌ كذاكَ تفاضُلُ الأشياءِ[2]

وفي حديث مرفوعٍ: (لا يكونُ العبْدُ من المتَّقينَ حتى يَدَعَ مالا بأسَ بِهِ، حَذراً لِما به البأسُ)، فهذا كلامٌ هو للِحلْم أساسٌ. وعلى ذلك قولُ الشاعر وهو سويُد[3]، أحدُ بلحارث بن كعب:

إنّي إذا مَا الأمرُ بيَّنَ شكُّهُ وبَدَتْ بصائِره لِمنْ يتأَمَّلُ

أدَعُ التي هي أرْفَقُ الخلاّتِ بي عِندَ الحفيظةِ للتي هيَ أجمَلُ[4]

=

إنَّ الذّوائبَ من فِهرٍ وإخوَتِهم قد بيَّنوا سُنةً للناسِ تُتَّبَعُ

قومٌ إذا حاربُوا ضَرُّوا عَدوَّهُمُ أو حَاولوا النفْعَ في أشياعِهم نَفَعُوا

(1) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، وعديّ يُنسب إلى الرقاع وهو جدّ جدّه لشهرته، هو شاعر مقدّم عند بني أميّة مدّاح خاص بالوليد بن عبد الملك، له بنت شاعرة تسمى سلمى، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، تعرض لجرير وناقضهُ في مجلس الوليد. ديوان المعاني 2/ 131، الموشح/ 190، وخزانة الادب 1/ 203، ومعجم الشعراء المخضرمين/ 283.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه/ 163.

(3) المراثِد الحارثي، والمراثد: جمع مرثد، وهو مصدر رثدتُ المتاع بعضه فوق بعض: أي: نضدته، ويقال له ايضاً "سويد المراثي" وهو سويد بن صُمَيع المرثدي من بني الحارث، وكان أخوه قُتِل غيلة فقتل قاتل أخيه نهاراً في بعض الأسواق من الحضر. انظر: البيان والتبيين 3/ 241، 2/ 186، وعيون الأخبار 1/ 286.

(4) البيتان من البحر الكامل، وهما منسوبان اليه مع بيت ثالث في البيان والتبيين 3/ 241 وبينهما قوله:

=

(13/ ظ) ومَن عاشَر الناس بغير تجربةٍ لم يعدمْ بوادر النّدمِ وجوائح[1] السَّدَم[2]، فقال بعض القائلين[3]:

[و] إنا وجدْنا الناسَ عودين: طيِّباً وعوداً خبيثاً لا يبضُّ[4] على العصْرِ

تَزينُ الفتى أخلاقُه وتَشينُهُ وتُذْكرُ أخلاقُ الفتى وهو لا يدري[5]

ومن جيّد القول:

فتىً كانَ عذْبَ الرَوْحِ لا مِن غَضَاضَةٍ ولكّن كِبْراً أنْ يكونَ بِهِ كِبْرُ[6]

=

وتَبّرأ الضعفاءُ من إخوانهم وألحَّ من حرِّ الصّميمِ الكلكلُ

وجاء البيتان في عيون الأخبار 1/ 404 -4-5 منسوبين إلى سُويد بن الصامت شاعر من أهل المدينة، اشتُهر في الجاهلية وأدرك الاسلام كان يلقبُ بـ (الكامل).

ونسب أيضاً إلى سويد بن أبي كاهل بن حارثة الذبياني الكناني اليشكري وهما في ديوانه 47. انظر: معجم الشعراء المخضرمين 199 – 200.

(1) واحدها: جائحه وهي الشدة

(2) السّدم: الحزن

(3) هو أبو البلاد الطهوي، عدهُ الجاحظ من خطباء بني غطفان، إنّه كان راوية ناسباً، البيان والتبيين 1/ 354.

(4) زيادة يقتضيها البيت من أجل إقامة الوزن.

(5) البيتان من البحر الطويل، وهما في البيان والتبيين منسوبان إلى أبي البلاد. البيان والتبيين 2/ 104.

(6) لابي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد في قرية جاسم من قرى دمشق في آخر خلافة الرشيد، ونشأ بمصر، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب من غير القصائد، مات سنة 232 هـ، والبيت في ديوانه 4/ 82، انظر: خزانة الادب 1/ 356.

وكذلكَ كلّ صامتٍ بالقدْرة هو ناطِقٌ بالخبرةِ، كما قال القائل[1]:

تَشكّى الكُميتُ الجرْيَ لَمّا جَهدْتُهُ ... وبيَّنَ لو يستطيعُ أنْ يَتكلّما[2]

ألا ترى أنَّ الحرب لا تَحاشى أنْ تقولَ – لكلِّ مُبين من الجَماد: قائلٌ ومتكلم، كقولهم:

فصبَّحَتْ والطيرُ لَم تَكلَّم ... جابيةً طُمَّتْ بسيل مُفْعَم[3].

وقد يكون كلامُ الطيرِ تسبيحاً، كما تأوّلوا قولَه – عزّ وجلّ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ (سبأ/ 10) أي: سبّحي معه﴿وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ (سبأ/ 10).

(1) عمر بن أبي ربيعة، أبو الخطّاب – عمر بن عبد الله – سمّاه به الرسول (ﷺ) وكان في الجاهلية يسمى (بَحِيرا) – بفتح الموحدة وكسر المهملة – ابن ابي ربيعة، وأسمه حذيفة، وكان يلقب بذي الرمحين – ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر مخزوم المخزومي لم يكن في قريش أشعر منه، كثير الغزل والنوادر والمجون، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسميّ باسمه، مات (سنة 93 هـ) وقد قارب السبعين وقيل عاش ثمانين سنة. خزانة الادب 2/ 32-22، ومعجم الشعراء المخضرمين/ 306. وانظر: شذرات الذهب 1/ 101، والموشح 201.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه/ 462.

(3) البيت من الرجز، وهو غير منسوب في معاني القرآن للاخفش 2/ 363، والخصائص 1/ 23.

وكلُّ مُسبِّحٍ ناطقٌ، لانَّ التسبيحَ لا يخلو من أنْ يكونَ خاصّاً في بعضِ الأشياء أو عامّاً في كلها، فإنْ كانَ خاصًّا، فذلك كَمنْ سَّبح الله مِنْ الملائكة والمؤمنين وسائرِ منْ يُسَبِّح مِنْ المحتملينَ للتسبيح الذي هو كلام باعتقادٍ، وإنْ كانَ عامًّا، فذلك على الشهادةِ لله - تبارك وتعالى - والدلالةِ عليه أنّهُ إلاهُها وخالقُها، لأنَّ الدلالة تعظيمٌ لله وشهادةٌ لقدْرتِه، ألا ترى قول القائل[1]:

(14/ و) وأجْهَشْتُ للتَّوبادِ[2] لّما رأيتُهُ وكبَّرَ للرحمنِ حينِ رآني[3]

فكبّر وسبّح، دل على قدرةِ خالقه. فأمّا قولهُ تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/ 44) فليسَ يعدو منزلتين: أنْ يكونَ خاصاً فيمن لا يَعلم أنَّ تسبيح الأشياء: دلالتُها على أنّ الله إلاهُها وخالقُها. أو يكونَ معنى ذلك: أنّكم لا تفقهونَ تسبيحهم كما لا تفهمون التسبيحَ الذي هو كلامٌ مسموعٌ، واعتقادٌ

(1) [illegible]

مرفوع، إلاّ أنْ يكونَ بلسانِكم ولغتكم التي خصّكم الله بها، أو يوفّقكم لفهم ذلك، كما علّم سُليمان منطِقَ الطير ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/ 284). وأبينُ ما سمِعتهُ أنّ أوّل ما كانَ من كلامِ العرب وغيرِهم من العجم. أنّ اللهَ - بارك وتعالى- ألْهَمهم ذلك[1] ليُعرفوا بهِ ويُنسبوا إليه، واللغات بكل لسانٍ إلهامٌ لكلّ أجناسِ الأُمم على حدّ ما ذكرْنا من بيانٍ وقياس.

وقالَ بعضُ العلماء:[2] إنّ الله - عز وجل- لّما جعلِ لهم ألسنةً ناطقةً وعقولًا فاتقةً، قوّاهم على أنْ ينطِقوا بالبيان فنطقوا، ووضعوا اللفظَ على وجوهٍ شتّى ليُفرّقوا بعضَ الأشياء من بعضٍ في اللفظ. وللعرب اتساعٌ في الحروف زائدة على عدَدِ حروف غيرهم.[3] وإنّما أدخَلت العرب الأعراب ليدلّوا بحركاتهِ على معاني طُرقاتهِ[4] إيجازاً للذكيّ وبياناً للغبيّ. فأي ذلك ما كانَ، فإنّه(14/ ظ) لم تكن جملةَ الكلامِ كلّه في وقتٍ واحدٍ ولكنْ كان منه شيءٌ قليلٌ استعملوه ثم زيدَ فيه عند حضورِ الحاجة إليه، وجاء الآخر واحتاج إلى ما لم

(1) يعنى بذلك اللغة

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمد الكوفي الدِّينَوري، لأنه كان قاضيها، النحوي اللغوي، كان ثقة فاضلاً، من مصنفاته: أدب الكاتب، وتأويل مشكل القرآن، مات سنة 276 هـ. انظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة 116.

(3) هذا الكلام مأخوذ معناه من كلام ابن قتيبة: "وألفاظ العرب مبنيّةٌ على ثمانية وعشرين حرفاً، وهي أقصى طَوقِ اللّسان، وألفاظ جميع الأمم قاصرةٌ عن ثمانية وعشرين، ولستُ واجداً في شيء من كلامهم حرفاً ليس في حرفنا إلاّ مَعدولاً عن مَخرجه شيئا". تأويل مشكل القرآن/ 14، وحروف العربية عند سيبويه تسعة وعشرون حرفاً، إذ عدّ الهمزة حرفاً.

(4) ينظر تأويل مشكل القرآن 11 وما بعدها.

يحتج إليه الأوّل، فأحدثوا ألفاظاً، وروى الآخر عن الأوّل، غيرَ أنَّ كلّ ما أحدثَ مَنْ جَاءَ بَعد الأوّلِ يُحدثهُ على مثل قياسِ الأوّل، لا يخالفهُ في قياسه إلاّ في تفخيم أو اختلاسٍ، ولا يجيءُ بحرفٍ سوى الحروفِ الأولى، وكلّهم يُحدِّثون أنّهم رَووا كلام آبائهم، ويحكونَ لفظَهم على حَدِّ ما وَضَعُه الأوّلون كلّهم، يخبرون بذلك وهم القدوةُ في الفصاحةِ قبلَ الأسلامِ. وأما اختلافُ اللغات فلأنّ ما أحدِث لهم في الأصل لم يحدُثْ بضربِ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ، ولكنّه أحدثَ على ضربينِ. عن رجل وعن رجلينِ، ثُمّ كان الذين يأتون من بعدُ يُحدثون أشياءَ عند حضورِ الحاجةِ إليها على حدّ أول الكلام[1]. فيجوز أنْ يكونَ الأول كانَ ضرباً واحدا في اللفظ، وأفهموا ضرباً من الكلام على لفظٍ آخر، والمعنى والعينُ فيهما واحدةٌ على حدِّ قياس ما رووا عن الأولين، واللغتان على القياس صحيحتان في المعنى، فهذهِ سبيلُ أهل البدو والمدَر، فالبدوي "عربي" اللسان، جَزلُ الألفاظ، قليلُ الحركات (15/ و) حَسَنُ الإشارات، قحٌّ من الأقحاح. والمَدَريّ مُتمكّن من نَجاحِ الأفصاح، فهْو بَليلُ الرّيق. بعيدٌ عن التشقيقِ والتشدْيق، حَسَنُ الطّلاوة، لَوذعيّ[2] المنطق، فيّهٌ شيِّرٌ أي: مُفوّهٌ بالبلاغةِ، حَسَنُ الشّارةِ بالأعراب الذي هو أصلُ القياس، وآلةُ فِطَنِ الناسِ، فصارَ هؤلاء[3] لفصيحِ اللغة أصولاً، ولِمَنْ[4] تلقّاهم أخْذاً عنهم لهم فروعاً.

---

(1) انظر: الخصائص 2/ 29.

(2) اللوذعي: الخفيف الذكي الظريف الذّهِن، الحديد الفؤاد، واللسان الفصيح كأنّه يلذع بالنار من ذكائه، البلغة في أصول اللغة 266، وانظر: ديوان الأدب 2/ 39. والفصيح الشديد الفصاحة، أساس البلاغة 563.

(3) يعني البدو.

(4) كذا في الأصل. ولعلهّا: ومَنْ. وهي الأنسب.

ولمّا نظر علي بنُ أبي طالب - رحمه الله ونضَّر وجهه - إلى الطبائع قد أختلَّت بملابسةِ العجم وإلى الألسن قد بدَأت في طرقات السّقَم، ألقى إلى أبي الأسود[1] حروفاً من العربية يطارحُ بِهُنَّ الحسن والحسين، فكانت كأعظم النِّعم والمَنَنِ، فتفسَّح فيها واتَّسع، ونفَع بها وانْتفعَ، وبانَ بها زيْغُ أهل البِدَع ثمّ أخذَه عن أبي الأسود يحيى بن يعمر[2]، وبعدَه ابنُ أبي إسحاق[3] فانتفعَ بعلمهم أهل العراق لُمدافعتِهم من لبَّسَ تأويل القرآن بالشّقاق والنفاق وبثّ أغاليطه في الآفاق والرفاق فأمّا من تلقّى من العلماء أخْذَ صحيحِ اللغة عن الفصحاء القدماء من أهل الأمصار والأقطار، فيقصُر عنهم الإحصاء والأعداد، فنذكر منهم من يكونُ

(1) الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلس بن نُفاثةِ بن عديّ بن الدُّؤل من سكان البصرة، والنسبة إليه دُؤَليّ كما يُنسب إلى نَمِرنَمَريّ فيُفتَح استشمالاً للكسرة، ويجوز تخفيف الهمزة فيقال: الدُّوَلي بقلب الهمزة واواً ؛ لأنّ الهمزة إذا انفتحت وكان قبلها ضمّة فتخفيفُها بقلبها واواً محضة. (أخبار النحويين البصريين 13-14).

(2) العدواني، وهو رجل من عدوان بن قيس عيلان من مضر، وكان عالماً بالعربية والحديث، لقي عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان من الفصحاء. أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، ويَعمر: بالفتح وقيل بالضم والأول أصح وأشهر سمّي بذلك تفاؤلاً بطول العمر، مات بخراسان سنة 129 هـ.
انظر: اخبار النحويين البصريين 22، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء 25، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 285.

(3) الحضرمي، أبو بحر عبد الله بن أبي اسحاق، كان مُلمّاً بالعربية والقراءة إماماً فيها وكان شديد التجريد للقياس. ويقال انه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو بن العلاء وهو أول من بَعَجَ النحو ومّد القياس، وشرح العلل.
انظر: أخبار النحويين البصريين 21، نزهة الألباء 26، البلغة في تاريخ أئمة اللغة 104، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 73-74.

فنذكر منهم من يكونُ النظيرُ لهم بهم مقيساً، كأبي زيدٍ وأبي عبيدةَ والأصمعي. فأمّا (15/ ظ) أبو زيد الأنصاري[1]، فحمل الأنسيّ من كلام العربيّ والوحشيّ، فأكثر من الجمعِ له، فأتعبَ النُّقاد.

وأمّا أبو عُبيدةَ مَعْمَر[2]، فإنّه بكثرة العلمِ يُذكر، لأنّه أخَذَ عن العربِ حقيقةَ العلم بأيامهم وأشعار فرسانهم، وما فخروا به من أنسابهم، وما تَعايروا بهِ من مثالِب أعدائهم، فاحتوى على الكثير من أخبارهم، وأحاطَ بجُملٍ من خفيّات أسرارهم.

وأما الأصمعي، فاختار ما اجتَمعوا عليه من بليغِ كلامهم، وأَطَّرحَ شواذ ألفاظهم، فهو نقيّ العلم، ثِقةٌ في حَمْل الفصاحة والبلاغة وصارَ بعنايته في الطلب ومُلاقاةِ العرب أقوى الرواةِ فيها علماً، وفي لطيف النحو أثقبَهم فَهْماً.

---

(1) سعيد بن أوس بن ثابت، كان عالماً بالنحو واللغة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه ابو عبيدة القاسم بن سلاّم، وأبو حاتم السجستاني، وكان ثقة من أهل البصرة، وكان سيبويه إذا قال: "سمعت الثقة" يريد به أبا زيد الأنصاري، وله كتب مصنّفة أشهرها كتاب النوادر في اللغة. مات سنة 215 هـ، أخبار النحويين البصريين 52، ونزهة الالباء 101، البلغة: 84-85 .

(2) ابن المثنّى التيمي البصري، منسوب إلى تيم قريش لا تيم الرِّباب وكان مولى لهم، ذكر الخطيب، أنه ولد سنة عشر ومائة في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، وقال عنه الجاحظ: "لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة وكان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها، وله في ذلك مصنفات، كمقاتل الفرسان، تحقيق محمد فؤاد سزكين. مات سنة (208هـ)، نزهة الألباء/ 84، البلغة في تأريخ أئمة اللغة 261.

والكلامُ المسموعُ المنقولُ فيهِ إفراطٌ وفيهِ تقصيرٌ وفيه اعتدال، فأمّا إفراطُه فَحمْلُ الهذَر مِنه والمُستغنى في الديانةِ عنه وعن الاشتغال بهِ عمّا تدعو الحاجة إليهِ، وأمَّا تقصيرهُ فالعِيُّ عن البيانِ المقبولِ بالحاجةِ إلى تفهّمهِ. وأمّا اعتدالهُ، فالبيانُ في إيجازٍ وإنجازٍ. وكَانَ الأَصمعيُّ في ذلكَ كما قِيلَ في المثَلِ:

لا يبعثُ الكلامَ أو يَختارُهُ لكي يقلَّ عيبُهُ وعارُهُ[1]

وكان يحيى بن يَعمَر عَدْوانياً وابن أبي إسحاق حضرمياً، وكانا بموضع من الإعرابِ والفصاحةِ والبيانِ، فهما (16/ و) نشرا معالمَ العربية فبرَع فيها أبو عمرو بن العلاء[2] والخليل[3] ومن تابَعهما، فهُما إمامانِ في النحو ودقائق

---

(1) البيت من الرجز (لم أقف على قائله).

(2) المازني التميمي، نحوي، عالم بالقراءات مشتهر بها وهو أحد القّراء السبعة، واختلف باسمه، فقيل زبان، وقيل ريّان، وقيل اسمه كنيته، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري، والخليل بن أحمد، وكان يونس يقول: "لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كلّه في العربية.." مات سنة 154 هـ في خلافة المنصور. إخبار النحويين البصريين 28، ونزهة الألباء 30، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 81.

(3) ابن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، سيّد أهل الأدب قاطبةً في علمه وزهده والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، وكان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر، وكان أول من حصر أشعار العرب، وكان يقول البيتين والثلاثة ونحوها في الأدب مثل ما روي عنه انه كان يقطّع العروض فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: "انّ ابي قد جُنَّ، فدخل الناس عليه وهو يقطّع العروض فأخبروه بما قال ابنهُ فقال له:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عَذرتَني أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتكا

=

مسالكهِ، فكانَ أبو عمرو في عصر بني أميّة والألسنُ شاميّة، ومات في زمن أبي جعفر والألسن عراقية.

وأمّا الخليل فأخذَ النحوَ من عيسى بن عُمَر الثقفيّ[1]، واستخرجَ مِنهُ ما لم يُسبَقْ إليه لدقّةِ فِطنته وحدّةِ ذهنه وصحيح قياسهِ وفكرهِ، يُسْمَع منه الشيءَ مقيساً، فتُلقى بهِ العرب، فيكونَ فيما استخرَجه رئيساً.

والكسائيّ[2] طرأ إليهم وأخذَ عَنْهمُ، وسَمِعَ من العربِ، فكانَ بما حَملَ عنهم أوثقَ بهِ مِمّا سَمِع، لصحّةِ الأذهانِ وعطيّةِ الرحمنِ.

=

لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ أنّكَ جاهلٌ فعذرتكا

(مات سنة 170، وقيل 175 هـ)، نزهة الألباء 45، والبلغة 79.

(1) البصري، كان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة، وقراءته مشهورة، وكان فصيحاً يتقعر في كلامه، ويعدل عن سهل الالفاظ إلى الوحشي والغريب، صنّف كتابين في النحو سمّي أحدهما "الجامع" والآخر "الاكمال" وفيهما يقول الخليل بن أحمد، وكان قد أخذ عنه: من الرَمل:

ذهبَ النحو جميعاً كلّه ... غير ما أحدث عيسى بن عمرْ

ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناس شمسٌ وقمرْ

قال الأنباري: وهذان الكتابان لم نرَهما ولم نرَ أحداً رآهما. مات سنة (149)هـ.

انظر: أخبار النحويين البصريين 31، ونزهة الألباء 28، والبلغة/ 179، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 75.

(2) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الأسدي الكسائي الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيّات، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة، ألف كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب العدد، وغيرها، ناظر سيبويه ببغداد في المسألة الزنبورية المشهورة، وهو =

وأمّا المازني[1] فأخذ من أبي عُمر الجَرْمِيّ[2] النحو فبرع فيه على نُظرائِه وكان الجَرْميُّ أغوصَ وأجودَ استخراجاً، وأصّح نيّةً ونُصحاً وتحرُّجاً، قال الشاعر فيهِ أو في مثلهِ:

=

المشهورة، وهو أحد القرّاء السبعة المشهورين، صحب هارون الرشيد ومات هو ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة في مكان واحد بالرّي فقال الرشيد: دفنّا الفقه والنحو في الرّيّ. وكانت وفاته سنة 189 هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار/ 72، وغاية النهاية في طبقات القراء 1/ 474 (العلمية).

(1) بكر بن محمد بن بقيّة، أبو عثمان، وقد اختلف المترجمون لحياته في أسمي أبيه وجدّه اختلافا كبيرا، والذي رجح ان المازني عربي أصيل النسب إلى مازن بن شيبان، وقيل اسمه: بكر بن محمد بن حبيب، قال المبّرد وقد سأله رجل مجنون: "أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت نعم معرفة شافية، قال: أتعرف الذي يقول فيه:

وفتىً من مازنٍ ... سادَ أهلَ البَصرةْ
أمُّهُ معرفةٌ ... وأبوه نَكِرةْ

قلت: لا اعرفه". له كتاب التصريف الذي شرح ابن جني، مات (سنة 249 هـ).
انظر: أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو 17-18، و أخبار النحويين البصريين 74، نزهة الالباء/ 140، غاية النهاية في طبقات القراء 1/ 162.

(2) صالح بن اسحاق النحوي، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وكان أبو عمر رفيق أبي عثمان المازني، وكانا هما السبب في إظهار كتاب سيبويه، قال المبرد: كان الجرمي أغوص على الاستخراج من المازني والأصمعي. وكان صاحب دين وإخاء وورع، وكان الجرمي يلقب بالنبّاح لكثرة مناظراته في النحو ورفع صوته فيها، فانّ النبّاح هو الرفيع الصوت. صنّف كتباً كثيرة منها مختصره المشهور في النحو، مات (سنة 225 هـ) في خلافة المعتصم. نزهة الألباء 114، وانظر: أخبار النحويين البصريين 72، البلغة/ 96.

وَيَنْثُـــر إنْ أجـــالَ الفِكْـــرَ دُرّاً ويَنثُـــرُ لُؤلـــؤاً مِـــن غَـــيرِ فِكْـــرِ[1]

ولِذلكَ قِيل: الأفكارُ بِحارٌ لؤلوّها عظيم الأَخطارِ. وكـان سـيبويه عَمْـرو وبن عُثمان[2] أكثرَ مِن الأخفش[3] فِطنةً وعِلْماً فَضُرِبَ بهِ المثلُ فقِيلَ:

---

(1) البيت من البحر الوافر وهو من قصيدة منسوبة إلى أحمد بن عبد السلام قالها في محمد بـن يزيد المبرِّد، وفيها:

رأيـتُ محمـدَ بـن يزيـدَ يـسمـو إلى الخـيراتِ في جـاهٍ وقـدْرِ

جلـيسَ خلائـفٍ وغـذيَّ مُلْـكٍ وأعلَـم مَـن رأيـتُ بكـلّ أمـرِ

وينثـر إن أجـال الفِكْـرَ درّاً وينثـر لؤلـؤاً مـن غـير فِكـرِ

أخبار النحويين البصريين/ 102 -103، بغية الوعاة/ 270.

(2) ابن قنبر، أبو بشر، مولى بني الحارث بن كعب، وسيبويه لقب لـه، ومعنـاه بالفارسية: رائحة التفاح، أخذ النحـو عـن الخليـل، وهـو أستاذه وعـن يـونس وعيسى بـن عمـر وغيرهم، كان غاية في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه، وكان يسمى (قرآن النحو).

قال المازني: مَن أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح.

أخذ عن أبي الحسن الأخفش، وكان أكبر سنّاً من سيبويه وقطرب، مات شابّاً بشيراز بعد المسألة الزنبورية التي ناظر بها الكسائي وخرج منها مخذولاً مظلوماً، قيل انّه مات غمّاً ولّما يبلـغ الأربعين عاماً.

أخبار النحويين البصريين 48، نزهة الالباء 54، البلغة 173.

(3) الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعد، من أكابر أئمة النحويين من البصريين وكـان أعلـم من أخذ عن سيبويه، وكان أسن منـه، ولم ياخـذ عـن الخليـل، وكـان الطريـق إلى كتـاب =

أطـالَ عَلينـا في الخِطـابِ كأنَّـهُ خليـلٌ وعمـروٌ في البلاغـةِ والنحـو.[1]

ثمَّ فُتِحَ للأخفش بعده بالحِكنةِ والسنِّ من قياسات (16/ ظ) النحو والتفقّه في مذاهبهِ ما فاقَ بهِ كلَّ ناظرٍ فيه وطالب له من أهل العراقين.وقيلَ في المازني لمّا أخذَ طريقته:

فتـىً قـامَ بـالقرآنِ والْعلـم يافعـاً وصـدَّرَ للأعـرابِ في مَبْلَـغِ العَـشْرِ

لهُ نَغماتٌ يبْتلِجْنَ علـى الدّجـى وأخفـى على الأوهـامِ من نَفَـسِ الـذرِّ

فيجعلُ ليلَ النحوِ صُبحاً وصُبحُه علـى دقّةِ الأذهـانِ في صَـنْعةِ الخَطْـرِ[2]

فَما قلناه في هؤلاء فمثله في نُظرائِهم ممَّن عُنِيَ بإصلاحِ ألسُنِ الراغبين عـن نفاسة الأعراب، وقلوب الزائغين عن دَرجات الصواب، والـتمسَ بـذاك جزيـلَ الثواب. وقد ذكرْنا من عظيم المنّةِ لله علينا بالعربيةِ الفصيحةِ، واللغـة الـصحيحةِ قبل الأسلام، وأنّها فيمن لا يسوغ الاحتجاج إلاّ بهم، على سائرِ الأيـام ومـرورِ الأزمنةِ. وقد وصَف الله - عزَّ وجلَّ - ما أنزله في كتابهِ بالاستقامةِ، أي يـستقيم

=

سيبويه، فالكتاب لم يَقرأهُ أحد على سيبويه، ولم يقرأه سيبويه على أحد، ولكـن لمـا تـوفي سيبويه قريء الكتاب على الأخفش، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمـي وأبـو عثمـان المازني. فكانا السبب في اظهـار أنـه لـسيبويه. ولم يـسند كتـاب سـيبويه إليـه إلاّ بطريـق الأخفش. كان أبرع اصحاب سيبويه، (مات سنة 215 هـ).

نزهة الالباء/ 107، البلغة 86.

(1) البيت من البحر الطويل، وقد أورده البغدادي في شرح أبيات المغني منثوراً 4/ 230.

(2) الأبيات من البحر الطويل، لم أقف على قائلها.

في الأفهام الذكيّةِ، والغرائز الرضيّةِ. وعلى الله المعونةُ فيما نَدَبَ إليه ودلّ عليه من الاقتداء بالسليقة الدالّةِ على فصاحةِ أهل البدو في القفار و مخالطة أهل المدرِ لهم في الجوار.

فأمّا أهل الحضَر فيخبرون أنّهم قد تركوا الاقتداءَ بالوحشيِّ من كلام الذين نُسِبوا إلى العربية القُدمى، وتركوا كلام أبائهم الذي كان على قياسٍ، وكان روايةً عنِ الأصلِ في التأسيس.

فليس ما أحدثهُ أهل الحضر من الكلام على (17/ و) قياسِ مَنْ مضى، بزعمهم لأنّهم لم يَفْصلوا بالحركاتِ بينَ المعاني والمباني، كما فَصلَ الذين نُسبوا إلى السليقة الأولى. فهذا فرقٌ بينَ أهل البدو وأهل الحضر.

وإنما نُسِبَ كلامُ أهل الحضر إلى العربية لأنّها حروفُ العرب وتأليفهم إلاّ أنّهم أزالوا شيئاً من الحركاتِ كأنّهم تكلّموا بكلام العرب[1] محذوفاً بعضُه وهو عَربيٌّ، فلا يُحتَجُّ بلغتهم. ولا تُؤخذُ الأسماء عن أهل الحضر وتُؤخذ عن أهل البدو، وذلك، لأنَّ أهل الحضر خالطوا كلامَ العجم ونقلوا عنهم: نحو: (سراويل) للواحد. وذا لا يكون في كلام العرب للواحد[2].

---

(1) هذا كلام مأخوذ عن ابن جني بتصرف، انظر: الخصائص 2/ 29.

(2) السراويل: في غالب كلامهم مفرد، وجمعه "سراويلات"، وفي اللسان: قال الليث: السراويل: أعجمية أُعربت وأُنثت، والجمع "سراويلات". قال سيبويه/ (2/ 16، 142، 342 بولاق) ولا يكسّر لأنه لو كسر لم يرجع إلاّ إلى لفظ الواحد، فترك" وفي الجمهرة (3/ 487): "قال أبو زيد: العرب تؤنث السراويل، وهي اللغة العالية، فمن ذكر فعلى معنى الثوب"، وفي اللسان، أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ (سراويل) "جمع" واحده "سروالة" ثم =

فلمّا كان أهل الحضر قد لابسوا العجَم لم تُؤخذ عنهم الأسماءَ، لأنه لا يؤمنُ منهم أنْ يؤلّفوا غير تأليفِ العرب، وأنْ يبنوا غير بنائِهم ويضَعوا الكلمةَ الموافقة في اللفظ لكلام العرب وهي أعجميّةٌ، فَيُؤخذ ذلك عنهم، لأنّ أصلَ كلامهم على غير قياسٍ ولا روايةٍ عن الأصل، فَطَرح الاحتجاجُ بكلامهم لِما يُتَخوَّفُ فيهِ من السَّقَم، ولم يُجعلوا أئمةً في شيءٍ من الكلام إذا خالفوا ما أُلهِمَتْهُ الفصحاء، فبطَل أن يُحتَجَّ بهم، قال الشاعر[1]:

(17/ ظ) لِسانٌ عراقيٌّ إذا ما صَرفْتَهُ إلى لُغةِ الإعرابِ لم يَتَصرَّفِ[2]

فأمّا ما يقَع في كُتبِ التفاسير من الاحتجاج ببعضِ أشعار المولّدين، فإنّما يُذكرُ ذلك تزييناً تابعاً، لا احتجاجاً قاطعاً. وكذا إعرابيٌّ إنْ أخطأ في كلمةٍ مخالفةٍ لِما سَمِعَ من جَميعِهم لم يُقْبل منه، وإنْ كان فصيحاً، لأنَّ هذا موضعُ تُهمةٍ أزالتْهُ عن صواب القياس. ونُقّاد الأخبار كنُقّاد الآثار، وإنّما يعلُقُ الفصيحُ بالكلمةِ من الخطأ كما يَعلُقُ الرجلُ الجاهلُ بالعربيةِ الكلمةَ الفصيحةَ مِن غَير

=

نقل عن الأزهري: "جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة قال: وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول "سروال" وذكر الجواليقي انّ(السّراويل) معرّبة.

(1) دِعْبل بن علي بن رَذين الخُزاعي الشاعر المشهور، أسلم يوم الفتح وشهد غزوات حنين والطائف وتبوك، وقاتل مع الإمام عليّ عليه السلام بصفيّن، كان ميّالاً لآل البيت فهو من الشيعة، وهو ابن عم أبي الشيص الخزاعي الشاعر المشهور (مات سنة 246 هـ).

(2) البيت من الطويل وهو ليس في ديوانه المحقّق(بتحقيق إبراهيم الأميوني) ولكنه في ديوانه الآخر/ 309.

عِلْمٍ مِنْه بها. وقد يَزِلُّ الفصيحُ في تأويل الكلمة، فهذا رؤبة[1]، يَشهُد لَه مَن مَال إلى تقريظهِ، أنه أفصحُ من معدّ بنِ عَدنان وقد يجيء في شعرهِ وشعر أبيهِ من الألفاظ المُستكرهة والمعاني المُتعسَّفة، ما لا يقَعُ على مثلِها الفصيحَ، كقوله:

* فارتاحَ ربّي فأرادَ رحمتي[2] *

والارتياحُ للمخلوقينَ دونَ الخالِق - عزّ وتعالى - وإنما يكونُ الزلَلُ فيمنْ خالطَ المتأخرين، فليس يَلزمُ من سَمِعَه أنْ يأخذ بالشاذّ ولا لَهُ إليهِ ملاذ، بل إلى الحقيقةِ المعاذ، إلاّ أنْ يجوزَ ذلك في القياس، فيكون له نظائر من كلام العرب، أو سَمِعَهُ من عِدَّةٍ كثيرة لا يقع في وهمهِ أنّ مثلَهم يجتمعُ على خطأ، فيقبله بعد (18/ و) التوثّق مِنَ الشكّ فيه. فقد بان أنّ التفقّه في عِلْمِ العربيةِ منزلةٌ جليلة خطيرة يُرغَبُ فيها ذُكْر أنّ الرجالَ، يَدفَعُ بمعرفتها دعاوى من نَسَبَ حروفاً كثيرةً في القرآن موافقةً لكثير من ألسنةِ الأعاجم في اللفظ والمعنى، ونحن نذكرُ جميعَ صنوف ما ذكروه من ذلك، في هذا الكتاب، إنْ شاءَ الله، ومن أينَ وقع اتفاقه.

---

(1) أبو العجّاج رؤبة بن عبد الله بن العجّاج بن رؤبة بن لبيد التميمي السعديّ يكنى أبا العجّاج، راجز من الفصحاء المشهورين، أخذ عنه أعيان أهل اللغة، يحتجّون بشعره، ويعترفون بإمامته في اللغة، قال ابن جني فيه وأبيه: "وقد كان قدماء أصحابنا يتعقّبون رؤبة وأباه ويقولون: تهضّما اللغة وولّداها وتصرفا فيها غير تصرّف الأقحاح فيها". وكانت فصاحة رؤبة وشهرته واسعة. وكان يشبّه بالحسن البصري في الفصاحة وعندما توفي قال عنه الخليل بن أحمد: "دفنا الشعر واللغة والفصاحة". مات سنة 145 هـ. الشعر والشعراء 363، خزانة الأدب 1/ 89، دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج 91-92، الخصائص 3/ 297. ومعجم الشعراء المخضرمين/ 150.

(2) البيت من الرجز، لا يوجد في ديوان رؤبة، وإنما في ديوان أبيه العجّاج/ 247.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ولقد فضّلَ الله مَن فقّههُ في النحو، بأنْ أبانوا العِلَل، وجَبروا الخَلَلَ وألحقوا إفهامَ أولاد العَجم بطبائِع العرب الذين لا كُلْفةَ عليهم في فَهْمِ ما يُتلى عَلَيهِمْ مِنْ كتابِ ربِّهِم، وسنذكرُ البارعَ مِنهم لئِلاّ يُرغَبَ عَنهم إنْ شاء الله.

فامّا اتساع اللغة في منثورها وفي الأشعار من منظومها فهُما ضربان من الكلام، كالآيتين المُعجبتين المعجِزتين لكثيرٍ من الناس. لهما أبنيةٌ معلومةٌ وأسجاعٌ موصوفة مفهومة.

فنظمَ قوم من المنثور ما فطنوا له من جيّد عيونهِ فسمّته العربُ شعراً، أي فُقِه لعلْمه وشُعِرَ لغامضه، كما قال الفرزدق[1]: (تكّلفتُ حُبُّ الشعر)[2] أي: فطنتُ للغامض منه.

وكتبَ أحمد بن الواثق[3] بخطّهِ إلى محمد بن لمنثور من الأسجاع

---

(1) همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس شاعر تميم المشهور، والفرزدق لقب له، نشا في أسرةٍ عريقة من بني مجاشع وجدّه أحد أشراف الجاهلية وسادتها، قال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يُشبه – من شعراء الجاهلية – بزهير. كان كريما جواداً، عاصر جرير وتهاجيا زمناً طويلاً، ومات الفرزدق قبل جرير، فرثاه جرير وكان ذلك سنة 112 هـ. الشعر والشعراء/ 290، البيان والتبيين 1/ 321، معجم الشعراء المخضرمين/ 359.

(2) لم أقف على هذا القول لا في ديوانه، ولا في كثير من كتب الأدب.

(3) بن المعتصم، الخليفة العباسي الذي مدحه أبو تمام في قصيدةٍ يقول فيها :

هدأتْ على تأبيلِ أحمدَ هِمتّي ... وأطاف تقليدِي به وقياسي

إقدامُ عَمرٍ و في سَماحةِ حاتِمٍ ... في حِلْمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

=

والخطب[1] فأحببتُ أنْ تُعرِّفني من ذلك ما أستفيدُه وأعملُ به.

فأجابهُ: سألتَ، أعزَّك الله، عن أي البلاغتين أفصح أفي الشعر المرصوف، أم الكلام المنثور، وأيّهما أولى بأنْ تكونَ هي البلاغة المنعوتة المتقدمة، والذي سألتَ عنه – أعزّك الله من مسائل العقلاء الفضلاء، وكل ذلك فأنتَ ذروتُهُ وسَنامُه، زادكَ الله ولا نقَصكَ، وأعلاكَ ولا وضعَك.

والجوابُ فيما سألتَ: إنّ حقّ البلاغة إحاطةُ القول الفصيح بالمعنى الصحيح واختيارُ الكلام، وحُسنُ النظام، حتى تكونَ الكلمةُ مُقارِنةً أختها ومعاضدةً شكلَها، وأنْ يُقرَّبَ بها البعيد ويُحذَفَ منها الفضول، فأن استوى هذا في الكلام المنثور والكلام المنظوم المسمّى شعراً – ولم يُفضَّلْ أحدُ القسمين على صاحبه، فصاحبُ الكلام المنظوم أفضلُ وأحمدُ لأنّه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزناً وقافية.

على أنّ الوزن قد يُحمل على الضرورة[2]، والقافية تضطَرُّ إلى الحيلة، وبقيتْ بينهما واحدة ليست مما توجَدُ عند استماع الكلام منهما، ولكنْ يُرجَع

=

يريد بهم: عمرو بن معد يكرب، وحاتم الطائي، والأحنف بن قيس، وإياس القاضي. البيان والتبيين 4/ 79، البلاغة للمبرد/ 80.

(1) نزهة الالباء 164 – 173، أخبار النحويين البصريين 96 البلغة/ 250.

(2) في البلاغة/ 81: والوزن يحمل على الضرورة، والضرورة: هي ارتكاب مخالفة في وزن البيت أو إعراب أو بناء بعض كلماته لأمر يضطر إليه الشاعر.

انظر: معجم مصطلحات العروض والقوافي/ 153.

إليهما عند قولهما، فيُنظَرُ أيهما أشدُّ على الكلام اقتداراً (19/ و) وأكثرُ فيه تسمحاً وأقلُّ معاناةً وأبطأ مُعاسَرةً وتكلّفا، فيُعْلَم أنّه المُقدَّم (في البلاغة)[1].

وقد كانت البلغاء تتفقَّد ما هو أقل من هذا، فمِنْ ذلك أنَّ الجمحيّ خطبَ خُطبةً فأحسنها وأجادَها، وكان بين ثنّيتيهِ فرقٌ، فكانَ يَصفِر إذا تكلّم، فأجابه زيدُ بنُ علي بن الحسين بكلامٍ في وزنِ كلامه وحُسنِ نظامه، غيرَ أنّه تقدّمَه في السمع بالسلامةِ من ذلك الصفير، فقال عبد الله بن معاوية بن جعفر[2]:

قلَّتْ قواد حُما وتمَّ عديدُها ... فلّهُ بذاكَ مَزيّةٌ لا تُنكَرُ[3]

وقال موسى، عليه السلام: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ (طه27).

---

(1) هذه العبارة غير موجودة في البلاغة، انظر: ص81.

(2) ابن أبي طالب، يلقب بابن الطّيار، والطّيار لقب جدّه جعفر الذي حمل لواء المسلمين بيمينه في يوم مؤتة، فقطعت ثم بشماله فقطعت، ثم احتضنه بعضديه، فقتل وخرّ شهيداً. كان شاعراً ثائراً فتّاكاً ثار بالكوفة سنة 127 هـ ثورة فاشلة، طلب الخلافة وبايعه بعض الناس، انهزم إلى شيراز وفرّ منها إلى هراة، فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر من أبي مسلم الخراساني وكان ذلك سنة 131هـ وهو صاحب البيت المشهور:

وعينُ الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ... ولكنَّ عين السُّخط تُبدي المساويا

الأعلام 4/ 139، البيان والتبيين1/ 312، 335، معجم الشعراء المخضرمين/ 253

(3) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه/ 46 بلفظ

صَحَت مَخارجها وتمَّ حروفها ... فلّهُ بذاكَ مزيةٌ لا تُنكَرُ

البيان والتبيين 1/ 58 – 59، والبلاغة للمبرد/ 81.

وسبب قوله هذا البيت: أنّ زيد بن علي بن الحسين أجاب خطيباً ففاقه وفضله بتمكين الحروف وحسن مخارج الكرم، فقال عبد الله بن معاوية يذكر ذلك في كلمة.

فأمّا بلاغةُ الكلام المنثور والمنظوم، فسأخبركَ بما جاء منهما في معنىً لطيف، وفضلِ أحدهما - بما رسمتُ أولاً- على صاحبهِ من الاصابه.

قال قائلٌ للربيع بن خُثيم[1] عندما رُئيَ من اجتهاده في العبادة وإغراقه في الطاعةِ والهماكهِ في الصوم والصلاة: قتلتَ نفسَكَ فقال راحتَها أطلبُ.

فهذا كلام موجز مُحيطٌ بالمعنى، لا فضلَ فيهِ عنه، وأخَذَهُ بعضُ الشعراء[2]، فقال:

سأطلبُ بُعْدَ الدارِ عنكم لتقرَبوا ... وتسكبُ عينايَ الدموعَ لِتَجْمُدَا[3].

---

(1) ابن عائد الكوفي، ثقة، زاهد، عابد من كبار التابعين، روى عن ابن مسعود وروى عنه الشعبي والنخعي، مات في خلافة يزيد سنة 61 أو 63 هـ. والقصة في البيان والتبيين 3/ 160، انظر: البيان والتبيين 1/ 363، والفهرست/ 260.

(2) هو العباس بن الأحنف، من بني حنيفة، يكنى أبا الفضل، كان منشؤه ببغداد وكان صاحب غزل، ويشبه – من المتقدمين – بعمر بن أبي ربيعة، ولم يكن يمدح ولا يهجو، ومن حسن شعره قوله من البسيط :

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم ... حتّى إذا أيقضوني بالهوى رقدوا

الشعر والشعراء/ 500.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه 106، وموجود في دلائل الإعجاز 268 والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني/ 30، وقد أورده البلاغيون شاهداً على التعقيد اللفظي عند الانتقال "فبدأ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكَمَد، فأحسن وأصاب، لان من شأن البكاء أبداً أن يكون أمَارةً للحزن وأن يجعل دلالةً عليه وكنايةً عنه كقولهم: (أبكاني وأضحكني) على معنى: (سَاءني وسَرّني) وقد غلط من ذهب إلى أنّ الجمود هو أن لا تبكي العين، مع أنّ الحال حال بكاء ومع أنّ العين يُراد =

يقول: أغترِبُ فأكتسبُ ما يطولُ به مقامي معكم (19/ ظ) وقربي منكم.

وهذا أحسنُ والأوّل أوضحُ. ومثله:

تقولُ سُليمى لو أقمتَ بأرضنا ولم تدرِأنيّ للمقام أطوّفُ[1][2]

=

منها إن تبكي، ويُستَرابُ في أن لا تبكي، ولذلك لا ترمى أحداً يذكرُ عينَه بالجمود إلاّ وهو يشكوها ويذُمها وينسبها إلى البُخل، ويَعُدُّ إقناعها من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على ما به من الهم.

قال أهل اللغة: عينٌ جَمُودٌ لا ماء فيها، وسنةٌ جَمادٌ، لا مطر فيها وناقةٌ جَماد، لا لبن فيها، وكما لا تُجعل السّنة والناقة جماداً إلاّ على معنى أنّ السّنة بخيلة بالقَطر، والناقةُ لا تسخُو بالدَّرِّ، كذلك حكم العين لا تُجعلَ (جَمُوداً) إلا وهناك ما يقتضي إرادةَ البكاء منها، وما يجعلها إذا بكت مُحسنةً موصوفة بأن قد جادت وسَخَتْ، وإذا لم تَبكِ مسيئةً موصوفةً بأنْ قد ضَنَّتْ وبَخِلتْ".

دلائل الإعجاز 269 – 270، التلخيص في علوم البلاغة 30 – 31.

(1) البيت لعروة بن الَورْد العبسي، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدّمين الأجواد وكان يُدعى "عُروة الصعاليك" بجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، ولم يكن له معاش ولا مغزى، وقيل سمّي بذلك لقوله:

لحا اللهُ صُعلوكاً إذا جَنَّ ليلُهُ مضى في المَشاشِ آلفًا كُلَّ مَجْزَرِ

جمهرة أشعار العرب 569، الشعر والشعراء 407.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو من قصيدة يخاطب بها زوجته (أم حسّان) التي نهته أن يخرج مع أصحابه الصعاليك الذين استصرخوه من اجل أن ينقذهم من الجوع والبؤس،

=

ومثله من المنثور قولُ روح بن حاتم بن قبيصة بن المُهلّب[1] وقيلَ له: أطلتَ وقوفَكَ في الشمس؟ فقال: ليطولَ وقوفي في الظلِّ.

وأصلحُ ما فيه قولُ الطائي:

أآلفةَ النحيبِ كم افتراق ... أجدَّ فكان داعيةَ اجتماع

وليستْ فرحةُ الأوباتِ إلاّ ... لموقوفٍ على ترَحِ الوداع[2]

هذا، أعزّك الله، مُفاضلةٌ بين الأشكالِ والنظراء من المخلوقين.

فإذا جاءَ قولُ الرسول (ﷺ) رأيتَه من كلّ منطِقٍ بائناً وعلى كل قّولٍ عالياً، ولكلِّ لفظٍ قاهراً فَتفْهَمَ مسافةَ مابين الكلامين، واتّضاع الأقاويل عند قولِهِ -

=

ولكنه نهرها وعصاها، لأنه بذلك تمنعه من واجبه المقدس كما يرى. والبيت في ديوانه/ 87 بلفظ:.... لو أقمت لسرَّنا: وفي عيون الأخبار1/ 338 وقبله:

أرى أم حسّان الغداة تلومني ... تخوّفُني الأعداءَ، والنفس أخوفُ

طبقات فحوى الشعراء 725، جمهرة أشعار العرب 569، الشعر والشعراء 407 والصناعتين/ 226.

(1) ابن أبي صفرة الأزدي، ولي لخمسة من الخلفاء العباسيين توفي سنة 174 هـ في ولايته لأفريقيا فيعهد الرشيد. (انظر البيان والتبيين 3/ 160 وعيون الأخبار 1/ 339، والعقد الفريد 1/ 81 والبلاغة للمبرد/ 86).

(2) البيتان من البحر الوافر وهما في ديوانه 2/ 336، وفي البلاغة للمبرد 86 والصناعتين 226، والوساطة 229، والموازنة 318

والأوبات: جمع أوبة وهي العودة والرجعة، تقول: آب المسافرُ يؤوب أوباً وأوبةً ومآباً وإياباً.

والقرح: الحزن.

عليه السلام - فمِنْ ذلكَ قولُهم في تصرّف الزمان وتصرّم الآجال، قال بعضُ شعراء الجاهلية:

كانَتْ قناتي لا تلينُ لغامز فألانها الأصباحُ والأمساءُ
ودعوتُ ربّي بالسلامةِ جاهداً ليصحّني فإذا السلامةُ داءُ[1]

وقول[2] النمر:

يَسرُّ الفتى طولُ السلامةِ والبقا فكيف ترى طولَ السلامةِ تَفْعلُ[3]

---

(1) البيتان من البحر الكامل، وقد اختلف في نسبتها، فالمبرد في كتاب البلاغة نسبها إلى لبيد بن ربيعة، وقد وجدتها في ملحق ديوانه/ 183. وذكر محقق الديوان – د. عمر فاروق الطبّاع – إن المصادر لم تجمع على نسبة هذين البيتين للبيد،ومنسوبان للنمر بن تولب وهما في ديوانه/ 129، وكذلك في عيار الشعر83.

(2) النَّمِر بنُ تَوْلَب بن زهير، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام من الصحابة الإجلاّء، شاعر جواد واسع العطاء كثير القِرى وهـابٌ لمالـهِ كـان أبـو عمـرو بـن العـلاء يـسّميه "الكيِّس" لجودة شعره وكثرة أمثاله، ويُشبّه شعره بشعر حاتم الطائي، وكـان النمـر شـاعر الرّباب في الجاهلية، لم يمدح أحداً، ولا هجا أحداً، وفد على النبي (ﷺ)، وهو كبير، عدّه ابن سّلام في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية مع عمرو بن قَميئة، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، ذكره القرشي مع أصحاب المجمهرات قيل انه عاش مئتي سنة، وخرِف في أواخر عمره. جمهرة أشعار العرب 531، الشعر والشعراء 177، معجم الشعراء المخضرمين 501، وطبقات فحوى الشعراء 259.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه: 87، بلفظ: يودّ الفتى.....، وفي البيان والتبيين 1/ 154 يحب الفتى....، والصناعتين/ 403، والبلاغة/ 88، وعيار الشعر 83، والبيت استشهد به صاحب التنبيهات/ 108 في بيان قصر الممدود، لأنّ الشاعر إذا اضطر فله أن يقصر الممدود، وليس له أن يمد المقصور؛ وذلك أنّ الممدود قبل آخره ألف زائدة فإذا =

وقال حميد[1] [بن ثور] :

أرى بصري قد رابني بعد صحّةٍ وحسبُك داءً أنْ تصحَّ وتسلما

(20/ و) فلا يلبثُ العصر انِ يومٌ و ليلةٌ إذا طلبا أنْ يُدركا ما تيمَّما [2]

=

فإذا احتاج حذفها ؛ لأنها زائدة، فإذا حذفها ردّ الشيء إلى أصله. ولو مّد المقصور لكان زائداً في الشيء بما ليس منه.

(1) حُميْد بن ثور، بن عبد الله من بني هلال بن صعصعة العامريّ يكنى أبا المثنى، شاعر أدرك الجاهلية والإسلام، عدّه الأصمعي من الشعراء العظماء عند العرب، وعدّه ابن سّلام الجمحي في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميّين، وفد على النبي (ﷺ) ومات في خلافة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" وهو صاحب البيت المشهور في وصف الذئب :

ينامُ بإحدى مُقلتيهِ ويتّقي بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

الشعر والشعراء/ 232، ومعجم الشعراء المخضرمين/ 116.

(2) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 7–8، والبلاغة للمبرد/ 89، والأول في الشعر والشعراء/ 232، وفي عيار الشعر/ 82، وفي خزانة الأدب 2/ 217، الأول منسوب لحُميد والثاني لآخر.

وذكر الجاحظ أنّ أبا عمرو بن العلاء قال: "اجتمع ثلاثة من الرُّواة فقال لهم قائل: أيُّ نِصفِ بيتٍ شعرٍ أحكَمُ وأوجَز ؟ فقال احدهم: قول حُميد بن ثور الهلالي:

* وحَسْبُكَ داءً أنْ تصحَّ وتُسلما *".

ثم علق الجاحظ بعده وقال: ولعلّ حُميداً أن يكون أخذَهُ عن النَّمِر بن تولب ؛ فأنّ النَّمِر قال:

يُحبُّ الفتى طُولَ السلامةِ والغِنى فكيفَ ترى طُولَ السلامةِ يفعلُ. البيان والتبيين 1/ 153–154.

وقول الآخر:

إذا بـلّ مـن داءٍ بـهِ ظـنّ أنـهُ نجاوبـهِ الـداءُ الـذي هـو قاتلُـهْ[1]

وقول أبي حيّة النميري[2]:

ألا حيّ مِنْ أجلِ الحبيبِ المغانيا لَبِسنَ البِلى ممّا لبسْنَ الليالياا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقضّاهُ شيءٌ لا يملُّ التقاضيا[3]

فانظرْ أينَ هذا من قوله (ﷺ): (كفى بالسلامة داءً)[4].

فأنظرْ إلى هذا الكلام الذي لا زيادةَ فيه ولا نُقصان، لم يطوّل المعنى ولم يقصِّرْ عنه.

فإذا جاءَ أمرُ القرآن نظرتَ إلى شيء هو واحدٌ، وقولٍ هو القول، فأينَ قولُ الخنساء[5]:

---

(1) البيت من البحر الطويل، وهو في العين 8/ 319، وإصلاح المنطق 213، وتهذيب الألفاظ 117، والجمهرة 1/ 37، ومقاييس اللغة 1/ 189، والبلاغة/ 89، وغير منسوب في جميعها.

(2) الهيثم بن الربيع، ينتهي نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد فصيح، مقصّد، راجز، من سكان البصرة، وكان أهوجَ جباناً، بخيلاً كذّاباً معروفاً بذلك أجمع، يعرف بأبي حيّة. وكان أبو عمرو بن العلاء يَقدّمه، وذكر ابن قتيبة انه كان يروي عن الفرزدق، ذكر له البغدادي جملة من أكاذيبه ومن رقيق شعره قوله:

ألا رُبَّ يومٍ لو رمتني رميتُها ولكنّ عهدي بالنضالِ قديمُ

انظر: الشعر والشعراء 465، خزانة الأدب 10/ 217، معجم الشعراء المخضرمين/ 520.

(3) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 100-101، وكذلك في الشعر والشعراء/ 465.

(4) الجامع الصغير 2/ 90، وقال عنه السيوطي: ضعيف.

(5) تماضر بنت عمرو بن رباح الشاعرة عُرفت بالخنساء (والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة)، اتفق أهل العلم أنّه لم تكن امرأةً قبلها ولا بعدها أشعر منها، =

ولـولا كثـرةُ الباكيـنَ حـولي علـى إخـوانهم لقَتَلـتُ نفـسي
ومـا يبكـونَ مثـلَ أخـي ولكـنْ أعـزّي الـنفسَ عنـه بالتأسّـي
يُذكّرني طلـوعُ الـشمس صـخراً وأذكـرهُ لكـلِّ غـروبِ شمـس[1]

من قـولِ الله عـز و جـل: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف/ 39) أي:ما نزلَ بكم أجلّ مِن أنْ يقـع معـه التأسّي، بنظـرِ بعضِهم إلى بعض.

وفهْمُ المعاني لِمـا في خـبيّ الطبـاع فـضيلةٌ لـذوي الألبـاب، وفي القـرآن: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ (النمل / 25) وهو: ما خُبّيءَ.

فكلّ ما تجاوزّ ذلك البناء المنظوم، فلـم يكـنْ علـى تلـك الـصفةِ (20/ ظ) فليس يُسمّى شعراً، ألا ترى أنكّ لو سميّتُ كلَّ ما أشبهَ البيتَ بيتاً لم يجُزْ، حتـى يكون في مثل هيئته.

لا تسمى الصُّفَّةُ[2] بيتاً، وليس كلّ ما صُنِعَ مـن الـساج فهـو بـاب، حتـى يكونَ له هيئة، الباب وقدْرُ ما وضِعَ عليه. وسُمِّيتْ بيوتُ الشعر تشبيهاً بذلك في المعنى، لأنّهُ يدخُلُ منه إلى ما خالفَه، كما قال المُلْغِزُ:

=

أكثرت الرثاء وأطالت البكاء على أخويها صخر ومعاوية، قتل أولادها الأربعة في معركة القادسية، خطبها دريد بن الصمّة فردّته، وقد عُدّت من أصحاب المراثي.

(1) الأبيات من البحر الوافر في ديوانها/ 84-85، وهـي ترثـي بهـا أخاهـا صـخراً، والبيتـان الأول والثاني في البلاغة للمبرد/ 91.

(2) الصُفّة من البنيان شبه البهو الواسع... وصُفّة البنيان: طرفه، وأهل الصُفّة كانوا اضـياف الإسـلام، كـانوا يبيتـون في مـسجده (ﷺ) وهـي مَوضِـعٌ مُظَلَّـلٌ مـن المـسجد، اللـسان (صفف)، ومختار القاموس/ 358.

وبيتٍ بعلياءِ الفلاةِ بنيتُه بأسمرَ مشقوقِ الخياشيم يرعفُ[1]

يُريد: بيتاً من الشعر عَمِلَه بموضعِ قَفْرٍ.

فالبيت الواحد من شعر العربيّ الواحد، واللغةُ من الواحد، إذا كان قياساً على ما قالوا، وكان المسموعُ منه موثوقاً به في لغته فهو حُجَّة. إلاّ أنْ يكونَ في لغته وَهْنٌ، أو يكونَ ما تكلّمَ بهِ ليس بالقياس العربيّ، فذلك لا يُؤخَذُ به حتى يكونَ مسموعاً من جماعةٍ ويعرفُ أنها اللغةُ التي تكلّم بها أهلُ الفصاحةِ، فأنْ كل لها وجهٌ من القياس حُمِلتْ عليه، وإنْ ضعفتْ فلمْ يكنْ لها وجهٌ من القياس ولم يكنْ للبيت نظيرٌ، لَحِقَت التهمةُ الذين جاءوا به، فهذا هو الاحتياط للغة التي رضيَها الله لعبادِه، وبها تقعُ الدرايةُ وتصحُّ الديانة.

ألا ترى أنّ من العرب مّنْ يُفسِد أبنيةَ القوافي، وهو فصيحٌ، وليس ذلك بجائز، لأنّ الشعر ضربٌ من الكلام، لا تجدُ فيه خللاً بل تحفظهُ (21/ و) أوزانُه وتدلُّ عليه صحّةُ معانيه، لأنّ الشعراء المجتَمعَ أولو ألسنةٍ حدادٍ، وعقولٍ شدادٍ، وألبابٍ فاضلة، وأذهانٍ صافية في قول الشعر وروايته وافتنانِه، وصونهِ عن الإقواء[2] وغيره، فهو لهم زينَةٌ في المحافل والمقاوم. فلذلك قال ابن عباس عليكم

(1) البيت من البحر الطويل، ورد ذكره في التشبيهات/ 303، والعقد الفريد 4/ 192، ومقاييس اللغة 1/ 324، ولسان العرب، وتاج العروس، الصحاح، وهو غير منسوب في جميعها.

(2) الإقواء: عيب من عيوب الشعر العربي، وهو أن تختلف حركات الروي، فيرفع الشاعر قافيةً ويجر أخرى، ومنه قول النابغة يصف المتجَردة امرأة النعمان بن المنذر:

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ فتناولتْهُ واتّقتنا باليَدِ.

=

بشعر الحجاز فتَعلّموه، فأنّه شعرُ الجاهلية وقد عُفيَ عنه وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ من عربيةِ القرآن أنشدَهم من الشعر ما يَعرِّفَهم إيّاه.

حدَّثنا إسماعيل القاضي[1]. قال: حدّثنا ابنُ الفهم[2] قال: سمعتُ مصعبَ ابنَ عبد الله الزبيري[3]، يقول: ليتَ شعر أمري ألقيس كانَ عندي، فقلتُ: ما تصنعُ به؟ قال: أستعينُ به على ديني.

وكان مصعب من أهل الفهْم والفصاحةِ والديانةِ والرجاحة قال. وأنا أقول: إنْ تأويلَ ذلك: أنْ يستعينَ بما فيه من تحقيق اللغةِ وصحةِ الأعراب، على ما في كتاب الله - جل جلاله - وأخبار رسوله (ﷺ) كما جاء عن ابن عباس: إذا

=

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ ... فتناولتْهُ واتّقتنا باليَدِ.

بمُخضَّبٍ رَخْصٍ كأنّ بنانَهُ ... عَنَمٌ يكادُ من اللَطافةِ يُعقدُ

معجم مصطلحات العروض والقوافي 213-214، ديوان النابغة الذبياني/ 93.

(1) إسماعيل بن إسحاق القاضي، شيخ المؤلف. وقد عرفنا به في دراسة هذا الكتاب.

(2) الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي، قال عن نفسه: "صحبتُ مصعباً فأخذت عنه النسب" (ت 289 هـ). تاريخ بغداد 10/ 92، تذكرة الحفاظ 2/ 680، طبقات الحفاظ 295.

(3) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري، نسبة إلى الزبير بن العوام وهو عمّ الزبير بن بكار، سكن بغداد، وحدث بها، ومات (سنة 230 هـ) الفهرست166، تاريخ بغداد 13/ 114، واللباب 2/ 60.

العرب. وتنافسَ الناسُ في الشعر ورغِبوا في احتذائهِ وانتشر التقريظُ لقائله (21/ ظ) لبراعةِ فضله، وحَمدوا مَنْ رواه لسموَ همّتهِ.

وجلّ في قلوبهم الشعرُ لعظيمِ خطره ونفيسِ قيمةِ جوهره، وكرمِ طبْعِ عنصره فيما يبقى على طول الأبدِ من جيّد فِرِنْدِهِ[1] ولم يُبد الدهرُ رونقَه.

فَعزّبهِ الممدوحُ لنشرِ الألسُنِ تشييدَ مناقبه، ودَلّ بأذاعته المهجوُّ لِما يُظهِرُ من مكنونِ مثالبه، ويَتمثّلُ بجيّدِ عيونه وطرائقِ فنونه وخبيئهِ، وفِقَرِهِ وفُصوصِه أولو الألباب، فقيلَ للممدوح:

تَخالُ بهِ بُرداً عليكَ مُحبَّراً ... وتَحسَبُهُ عِقداً عليكَ مُفضَّلا

ويُزهى به قومٌ ولم يُمدَحوا بهِ ... إذا مثَّلَ الراوي به أو تمثَّلا[2]

ورويَ أنّ رسولَ الله (ﷺ) قال: (إنّما الشعر كلامٌ فمِنَ الكلام طيّبٌ وخبيث)[3] فقيلَ من طيبه قول الشاعر:

هو جوهرٌ نثر فأنْ ألّفتَهُ ... بالشعر صار قلائداً وعقوداً[4]

والخبيث ما أفسدَ شرفاً برفثٍ، أو حطَّهُ بسرَفٍ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام/ 141).

---

(1) الفِرِنْدَ – بكسر الفاء والراء – السيف، وجَوهرَهُ، ووَشْيُهُ، مختار القاموس/ 476.

(2) البيتان من البحر الطويل، وقائلهما أبو تمام الطائي كما في ديوانه 3/ 109-110، قالها في مدح الوزير محمد بن عبد الملك الزّيات.

(3) مجمع الزوائد مع اختلاف الألفاظ 8/ 122، وانظر: العمدة 1/ 14.

(4) البيت من البحر الكامل، وهو لأبي تمّام في ديوانه 1/ 421.

وقال رسول الله (ﷺ): (إنّ أخاكم لا يقولُ الرفَثَ)[1].

يعني بذلك عبد الله بن رواحة[2]، وهو الذي من قوله:

[و]فينا رسولُ الله يتلو كتابَه كما انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ

أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبُنا تيقَّنُ حقاً أنَّ ما قالَ واقعُ[3]

فهذه منزلةُ مَنْ زيَّنه علمُ شعرٍ يخلطُه بالبهتان، (22 / و) فما ظنُّك بمَنْ زيّنهُ علمُ القرآن وفَهِمَ كلام الرحمن؟

فأمّا مَن تكلّم بحرفٍ على أصل القياس، وخالفَ العامّةَ منهم دون الخاصّة لم يكن مخطئاً، نحو قول العرب: (لا أدرِ) و(لا أُبَلْ) قد أجمعوا على حذفه تخفيفاً[4]، فأن قاله على أصله: لا أدري ولا أُبالي، جاز. وكذا قولُهم:

---

(1) صحيح البخاري 22/ 187.

(2) الأنصاري بن ثعلبة بن عمرو بن كعب بن عمرو بن أمريء القيس، الشاعر المحسن الذي كان يردُ الأذى عن رسول الله (ﷺ)، وهو من السابقين الأولين من الأنصار، شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) إلا الفتح ومات بعده، لأنه قتل في معركة مؤتة شهيداً، وجعلهابن سّلام في طبقة شعراء القرى، فارس من الأمراء والشعراء الراجزين مات (سنة 8 هـ). جمهرة أشعار العرب 629، والموشح 68 وخزانة الأدب 2/ 304، 307، ومعجم الشعراء المخضرمين245 -246.

(3) البيتان من البحر الطويل، وهما في ديوانه 96.

(4) قال سيبويه: " واعلم أنّهُ ليس كلُّ حرف يَظْهرُ بعده الفعلُ يُحذفَ فيه الفعلُ ؛ ولكنّك تُضمر بعد ما أضمرت فيه العربُ من الحروف والمواضِع، وتُظهِرُ ما أظهروا وتُجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفّون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام، وممّا هو في الكلام على ما أجرَوْا، فليس كل حرفٍ يُحذَفُ منه شيء، ويُثبَتُ فيه، نحوَ: يَكُ ويَكُن، ولم أبَلْ وأبالِ لم يحمِلهم ذاك على أن يفعلوه بمثله... وسألته عن قولهم: لم أبَلْ فقال: هي =

(ويلمّهِ)[1] كلهم بحذف الهمزةِ، فأنْ لم تحذفْ فهو على القياس في الأصل، [إذ][2] سُمعَ: (ويلُ أمّهِ).

ويقال: ما أستوى رجلان دينهُما وحُسنهما[3] واحدٌ إلاّ كانَ أفضلَهما في الدنيا والآخرةِ أعرفهما باللغة العربية، ففضلُه في الدنيا لفهْمِهِ وفصاحَتِهِ وإعرابه، وفضلُه في الآخرة لأنّه فَهِمَ عن تبصّرٍ حَمْلَ كتابِ الله على ما أنزله الله، فأمّا المقصِّرُ فقد يحملهُ تخلّفه على أنْ يُدخِل في كتاب الله ما ليس فيه، ويُخرجَ منه ما هو فيه. وأنشدوا:

أمّا القرآنُ فلم تُرشَدْ لمُحكمِهِ ... مِن القرآن ولن تُهدى لتوفيقِ[4]

=

من باليْتُ، ولكنّهم لمّا أسكنوا اللام حذفوا الألف لأنّه لا يلتقي ساكنان وإنّما فعلوا ذلك في الجزم ؛ لأنّه موضع حَذفٍ، فلمّا حذفوا الياء التي هي من نفس الحرف بعد اللام صارت عندهم كنون يكُن حين أسكنت...فإسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من يَكُن... وهذا من الشواذ، وليس مَما يقاس عليه ويطّرد"

الكتاب 1/ 134 (بولاق)، الكتاب 1/ 265 (هارون)، الكتاب 2/ 392، الكتاب 4/ 405 (هارون).

(1) نقل سيبويه قول الخليل قال: وَيْلمِّهِ، يريدون وَىْ لأمِّهِ، الكتاب 3/ 5 (هارون)، قال المتنبي يهجو كافور الأخشيدي (من البسيط):

وَيْلُمِّها خُطَّةً وَيْلُمِّ قابلِها ... لِمثْلِها خُلِقَ المَهْرِيُّةُ القُودُ

(2) يقتضيها السياق.

(3) هذا بعض من كلام جرى بين ابن هبيرة وابن قتيبة عن ذكر العربية، معجم الأدباء 1/ 22، وروضة العقلاء 231.

(4) البيت من البحر البسيط، وهو لحاجب الملقّب بالفيل، ابن ذبيان المازني، وهو من قصيدة يهجو بها ثابت قطنة الشاعر الفارس من شعراء الدولة الأموية وصاحب يزيد بن المهلّب

=

وقد تأوّل ناسٌ من المفسرين وغيرهم من المتكلّفين لظاهر الألفاظ دون باطنها فتأولوا لفظةً في القرآن حَملوها على غير معناها، وفي نفس الآيةِ ما يدلُّ على خلاف ما سَبقَ إلى قلوبهم، وهو قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ (يس / 69) فظنوا أنه لا يلفظُ بالشعر واحتجّوا بقولهِ:

(22/ ظ) سَتُبدي لكَ الأيام ما كنتَ جاهلاًويأتيكَ من لم تزوّدْ بالأخبار[1]

يريد: (ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزودِّ).

فزعموا أنّه لم يجر على لسانه (ﷺ) تامّاً، فقد جرى على لسانه المصراعُ وهو شعر.

الذي تقدّم إلى ثابت أنْ يصلّي بالناس يوم الجمعة، فلما صعِدَ المنبر ولم يُطِق الكلام قال حاجب النيل:

أبا العلاءِ لقد لُقّيتَ مُعظِلةً ... يوم العَروبةِ من كربٍ وتحنيقِ

أمّا القُرآنُ فلم تُخلَق لحكمِهِ ... ولم تُسدّد من الدنيا بتوفيقِ

لمآ رَمَتْكَ عيونُ الناسِ هبتَهُمُ ... فكدتَ تُشرَقُ لمّا قُمتَ بالرِّيقِ

تلوي اللِّسانَ وقد رُمتَ الكلامَ به ... كما هوى زَلِقٌ من شاهقِ النِّيقِ

خزانة الأدب 9/ 579-580، البيان والتبيين 2/ 183، معجم الشعراء المخضرمين 89.

(1) البيت من البحر الطويل، وهو لطَرَفةَ بن العبد من معلقته المشهورة وهو في ديوانه/ 28. وشرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري 230، وشرح القصائد العشر للتبريزي158، والبيان والتبيين 1/ 88.

وفي آخر الآيةِ خلافُ ما قالوا، وذلك أنَّ قريشاً لمّا سَمعوا القرآن الذي بان من ألفاظهم، وبلغتهم نزلِ، قالوا: شاعرٌ أو مجنون، فأنزلَ الله، عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ (يس/ 69) أي: الذي نسبتموه إليه تعنونَ به القرآن، ثم أبان ذلك بقوله ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ (يس / 69) أنْ يكون شعراً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس / 69) أي: ما هو إلا قرآن، لا شِعر. فدَلَّ بهذا أنهّم عَنوا القرآن، وعنه أُجيبوا وقد صحَّ عن النبي (ﷺ)أنهُ قال:

أنا النبيُّ لا كذِبْ أنا ابنُ عبد المطّلبْ [1]

هل أنتِ إلاّ إصبعٌ دُميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ [2]

وهذا موزون وإنْ كان مثلُه قد يقع في الكلام[3].

---

(1) صحيح مسلم 5/ 168، والفائق 2/ 57، العين، واللسان/ رجز.

(2) صحيح البخاري 22/ 182، صحيح مسلم، 5/ 182، والفائق 2/ 57، والبيان والتبيين 1/ 5288.

(3) قال الجاحظ: ويُدخل على مَن طعن في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد/ 1) وزعم أنّه شعر ؛ لأنّه في تقدير: مستفعلن مفاعلن، وطعن في قوله في الحديث عنه: "هل أنتِ إلّا إصبعٌ دميتِ ؟ وفي سبيلِ الله ما لقِيتِ فيقال له: اعلم أنّك لو اعترضْتَ أحاديثَ الناس وخطَبهم ورسائلَهم لوجدتَ فيها مثلَ: مستفعلن مستفعلن كثيراً، ومستفعلن مفاعلن. وليس احدٌ في الأرض يجعلُ ذلك المقدارَ شعراً.

ولو إن رجلاً من الباعة صاح: مَن يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصِد إلى الشّعر. البيان والتبيين 1/ 288- 289، وذكر ابن رشيق في العمدة (1/ 85) أنّ الخليل قال: إنّ شطور الرجز ليس بشعر لقوله (ﷺ) وسلم :

=

وقال ابن عُيينة[1] لَمّا قيلَ له: كيف قالت قريش: شاعرٌ أو مجنون وقد أتاهم بما لم يسمعوا بمثلِه واحتجَّ بما لا يُطاق ردُّه؟ قال: لمّا سَمعوا ما عجزوا عنه قالوا: كلامُه كلام الجن، فهو شاعرٌ أو مجنون. أي: استعظاماً لمقاله، لا طاعنين عليه في عقلٍ ولا لسان، بل كان لطيفاً فهمُه، نافعاً عِلْمُه، فبلفظه نزل القرآن وبعلمه (23/ و) ظهر البيان.

تَعلَّمْ ما في القرآن من وجوه معانية التي لا غنى عن تعلّمها، فَمنْ لم يعلمْها لم يكن بالقرآن عالماً، ولا بفهمهِ مستخرِجاً لمعاني الأمثال الدّالّةِ على وحدانية خالقه، وعلى حقائق صفاته - عز وجل- في إحداثهِ الأشياء المصنوعة، ثُمّ احتجاجُه لنفسه، ثم أرسلَهُ بما يُثبِّتُ رسالَتَهُ، وما كان من تفصيلِ ذلك بإخباره، وما كان بحججِ العقول القائمةِ الموجودة، وما أبانَ كلامُه من سائر الكلام وكتابُه

=

هل أنت إلّا إصبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل اللهِ ما لقِيتِ

بكسر التاء. وذكر أنّ قوماً روَوْه "دميْتْ" بإسكان الياء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذٍ موزوناً.

(1) سفيان بن عُيينه بن أبي عمران الإمام المجتهد الحافظ أبو محمد الهلالي الكوفي، محدث الحرم حدث عن الأعمش، وشعبة وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وكان إماماً حجّة حَافظاً واسع العلم، كبير القدر (مات سنة 198هـ)

طبقات المفسرين 137، وغاية النهاية 1/ 280، وطبقات الحفّاظ 113، وتذكرة الحفاظ 1/ 262.

من سائر الكتب، ومن أصناف الخُطَب والسّجوع[1] والرسائل والأشعار وما أبان به عِلْمُ الأيمان وعلم الظاهر المستوفي بلفظهِ لمعانيه مع زيادةِ التكرير، ثم المستوفى بلفظه لمعانيه بلا زيادةِ شيءٍ، وما كان لفظُه العامّ وعليه دليلٌ أنه خاصّ، وما كان لفظهُ الخاصّ وعليه دليل أنه مُرادٌ به العامّ، وما كان لفظه الباطنُ والمرادُ به الظاهر.

فإذا كانت هذه كلها طرقات إلى صُنوف علومٍ لا تُلحَقُ إلاّ باللغة والأعراب فأين يكون عنها الذهاب.

ونحنُ نختصرُ من تبيينِ معاني هذه الوجوه ما يشتملُ على جُملةٍ منها إنْ شاء الله. وقد وصف رسولُ الله (ﷺ) نفسَه حين قيل[2] له ما رأينا الذي هو أفصحُ منك يا رسول الله. قال: (وما يمنعني من ذلك/ وقد نشأتُ في بني سَعْد)[3]، وما أشبهُ هذا من الكلام الدّالّ على فصاحة بني سعد[4].

---

(1) جمع كلمة "سَجَع" وهي تدل على جمع الكثرة ؛ لأنّ صيغة "فُعُول" تطّرد في جميع الأسماء إذا جاء على وزن "فَعَل" وكان خالياً من حروف العلّة نحو: شَجَن وشُجُون، وأسد وأسُود، وسجع وسُجُوع.

أمّا: أسجاع فهي جمع قلّة، فجميع ما كان على هذه الصيغة ما كان على وزن "فَعَل" من الأسماء لا الصفات، مثل: قَلَم و أقلام، وعَلَم و أعلام، وسَجَع وأسجاع، وزمن وأزمان: قال الشاعر:

إنّ الحياة كما شاهدتها دولٌ ... مَن سَّره زمنٌ ساءته أزمانُ

انظر: الصرف للدكتور حاتم الضامن بتصرف: 256، 257، 269، 270.

(2) القائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في الفاضل 113.

(3) الجامع الصغير 2/ 107.

(4) سعد بن بكر بن هوازن، منهم حليمة السعدية مرضعة النبي (ﷺ).

وأصلُ الفصاحةِ أنْ تُحملَ الأشياءَ على أكثرها مِمّا اجتمعتْ العرب على استعماله، ولذلك قيل: البلاغةُ كانت في عليّ وابن عباس وهذا العشَمَة[1].

ويقال: العشَبَة – يعنون أبا الأسْود، وله أسٌ في الأعراب يسمو إلى طرقات الصواب.

وقال ابن عباس[2] مُتسلياً عن نور عينيه بنور قلبٍ و عقلٍ و فصاحة:

إن يسلُبِ اللهُ عن عينيّ نورَهما ... ففي لساني و قلبي منهما نورٌ

قلبي ذكيٌ وعقلي غيرُ ذي دخَل ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مشهورُ[3]

وحسان له قولٌ مثل ذلك[4].

ولنا كتابٌ في (الفصاحة) جمعناهُ و يشتملُ على الأخبار عن نتائج قلوب عقلاء العرب النزّاحة للفِطَن الميّاحة لها، فتؤدّيها بألسنٍ و فصاحةٍ.

أي: تنزحُ العلومَ وتجمعُها، كما يجمعُ الماء المائحُ الماء من قعر البئر، كما قالت العربية[5]:

---

(1) العشمة والعشبه: الناقة المسنّة. ويقال للرجل إذا كبر عشمة.

(2) عبد الله بن عباس بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ النبيّ (ﷺ)، سمع النبي وروى عن جماعة من الصحابة، روى عنه سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيّب وجماعةَ من التابعين، له تفسير رواه عنه مجاهد مات بالطائف (سنة 69 هـ). طبقات المفسرين 167.

(3) البيتان من البحر البسيط، وهما له في الحيوان3/ 114، وعيون الأخبار4/ 56، والشعر والشعراء2/ 854.

(4) البيتان السابقان في ديوانه 103.

(5) جارية من بني مازن كما قال البغدادي في خزانة الأدب 6/ 2205.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

* يا أيّها المائحُ دلّوي دونكا *[1]

أي: اجمعُ لي فيها الماء

وكذا ما وافقَ من الكلام شعرَ الشعراء، فقد لحقَ بمذاهب البلغاء. وما كان من الكلام فيه وجهان فإنّما يكونُ ذلك على لغتين، وإنّما الأعراب علامةٌ بحركةٍ يسيرة لبلاغةٍ خطيرة، ولا علامةَ يعرفونَ بها ما يقصدونهُ، غيرُ العلامة التي وضعها المتقدمون أيجاز "وصوابا" (24/ و) نفيساً، نحو: فتح بعضهم (حيثَ) وغيرهم يضمها' والقياس صحيحٌ فيهما [فـ] مَنْ فتحَ فلموضع الياء، كما قالوا: أينَ وكيفَ وكان حقُّ النون والفاء أنْ يُكسرا، لانَّ حقَّ المبني السكون، لأنّه غير معرب، وَمنْ ضَمَّ جعلها غايةً' لأنَّ

الذي يقعُ بعدها جملةٌ مكتفيةٌ بنفسها، وقد رُويَ: حوث[2]، فأنّ صحّت فالضمُّ يدلُّ على ذلك.

---

(1) هذا صدر بيتٍ من الرجز ينسب لجارية من بني مازن وعجزه :

* إنّي رأيتُ الناسَ يحَمدونكا *

خزانة الأدب 6/ 205، أمالي القالي 2/ 244، الانصاف 1/ 288، شرح المفصل، 1/ 117، والمقرّب 1/ 137.

(2) "حيث" ظرف مكان آتفاقاً، مبني على الضم في محل نصب، والغالب كونها في محل نصب على الظرفية نحو: "اجلس حيثُ تكون سعيداً"، وقد تجر (بمن) أو تحظى بالإضافة كقول زهير :

فشدّ ولم يُفزعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيث ألقت رحلَها أمُّ قشْعَمِ

وقد تلحقها "(ما) الزائدة فتصبحان كلمةً واحدةً نحو: "حَيْثُما تَجلسْ أجلسْ" فهي مبنية على السكون وهي اسم شرط جازم فعلين.

=

أو يختلفون في الشيء على وزنين، يبنيهِ هذا على بناءٍ، ويبنيهِ الآخرُ على غيره، نحو(البكاء) يمدُّه بعضُهم، بناهُ على فُعال، وبعضُهم قصره، بناه على (فُعَل)[1] كما قال بعضهم (وَهَب) و(وَهْب) فأهلُ هذه اللغة يفهمُ بعضهم عن بعضٍ، واللغةُ الأخرى كذلك.

فأيُّ لغةٍ أفسحُ وأيُّ معانٍ أشرفُ وأيُّ إعرابٍ أشرحُ ممّا خصَّ الله به العرب.

=

وقد تفتح ثاء (حيث) فيقولون: "حيثَ بيثَ" نحو: تركتُ الصحراءَ حيثَ بيثَ (أي: مبحوثاً عن أهلها) اسماً مركباً مبنياً على فتح الجزءَين في محل نصب حال.

و(حوثُ) لغة. قال سيبويه: "ومنهم مَن يقول: دَيْتَ فيخفِّف ففيها إذا خُفِّفَت ثلاث لغات: منهم مَن يفتح كما فتح بعضُهم: (حَيْثَ وحَوْثَ) . ويضمّ بعضهم كما ضمّتها العرب. ويكسرون أيضاً كما كسروا أيضاً كما كسروا (أولاءِ) ؛ لأنّ التاء الآن إنّما هي بمنزلة ما هو من نفس الحرف". الكتاب 2/ 48 (بولاق)، 3/ 292 (هارون).

(1) "البكا" سُمِع فيه القصر والمّد، قال حسّان بن ثابت في قصره ومّده: من الوافر

بكت عيني وحقّ لها بُكاها ... وما يُغني البكاء ولا العويلُ

وقال ابن سيده الأندلسي الضرير: "والبكاء: يُمدّ ويقصر، فمن مدّه ذهب به مذهب الأصوات الممدودة، ومن قصره، جعله كالحزن ولم يذهب به مذهب الصوت". وقال الجوهري: فإذا مَدَدتَ أردت الصوت الذي يكون مع البكاء وإذا قَصَرتَ أردتَ الدموع وخروجَها. ومما جاء ممدوداً يراد به الصوت والبكاء قول الخنساء في رثاء صخر: من الوافر

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ ... رأيتُ بُكاءَكَ الحسنَ الجميلا

ديوان حسّان بتحقيق وليد عرفات/ 341، والبيت غير موجود في ديوانه الذي شرحه الأستاذ عبد أ. مهنا وانظر المخصص 15-16/ 18، والممدود والمقصور لأبي الطيب الرشاء/ 33، وديوان الخنساء/ 119.

وقد رُويَ[1] أنَّ أولَ مَن أنطقَ اللهُ لسانه بالعربيّة إسماعيل، ألْهمَه الله إيّاها إلهاماً، مُشتملاً نُطْقُها على فصاحةٍ وإيجاز، وبها نزل التنزيل، وأقرَّ الله اسحقَ على لسانِ أبيه.

فلغةُ إسماعيل يقصُر الوصفُ عن كُنْه مقدارها، إذ كان الله شرَّفهُ باختيارها.

وكذا قال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: أوّلُ مَن تكلَّم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن ثلاث عشرة سنة[2].

قيل: فما كان (24/ ظ) كلامُ الناس قبل ذلك؟ قال: العبرانية.

وقال في قوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء/ 195) قال: بلسان جرهم ورُويَ عن كعبِ الأحبار أنّه قال: أوّل من كتب الكتابَ العربيّ والسريانيّ والحَضوريّ[3] والكتبِ كلها آدمُ قبل موته بثلثمائة سنة كتبها في الطين، ثم طبخَه، فلمّا أصاب الأرضَ الغرقُ أصاب كلُّ قوم كتابهم فكتبوه، فكان إسماعيل أصاب كتاب العرب[4]. فزيّن الله بالكتاب صُحُفَهُ، وبالأعراب منطقَهُ.

---

(1) الذي روى ذلك سفيان الثوري عن الرسول (ﷺ) كما في المزهر 1/ 33، ومثله عن ابن عباس في البيان والتبيين 3،291.

(2) في البيان والتبيين 1/ 383، 3/ 290، وانظر: المزهر 1/ 34. وقال الجوهري: انظر المطبوعة.

(3) نسبة إلى (حَضُور) بفتح أوّله، وبالرّاء المهملة، على وزن: فَعُول، موضع باليمن وفي الحديث: "كُفِّن رسول الله (ﷺ) في ثوبَيْنِ حَضُورِيَّيْنِ". انظر: معجم ما أستعجم 2/ 90.

(4) انظر: أدب الكتاب للصولي 1/ 28، والصاحبي 28، والفهرست 12.

يقال: فلان عربيّ اللسان، حَسَنُ العروبةِ والعرابةِ والعربيّة، ولقد عرُبَ منطقُك يا فلان عرابةً[1] وفصاحةً.

قيلَ لابن السمّاك[2]: ما أفصحُ القرآن؟ قال: كلُّه فصيحٌ موجَزٌ.

قيل: أسبقُه إلى قلبك؟ قال: قوله: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ (الحجر/ 94) أي: أبنِ الحقّ من الباطل كما تقول: صدعتُ الثوبَ بنصفين. أي:أبنْتُ أحدَهما من الآخر.

وقيل مثلُ ذلك لأعرابي، فقال: قولُه: ﴿ خَلَصُواْ نَجِيّٗا ﴾ (يوسف/ 80) وقال: [قولُه]: ﴿ لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ ﴾ (النور/ 53).

هذه لغةُ الحجاز، وهي غايةُ الإيجاز[3].

وقد يقَعُ من الأخبار ما يُعرفُ ثُمَّ يُستَطْرَفُ، واللهُ عز وجل ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة/ 31)، والأسماءُ تقعُ على خاصّ المخلوقات وعامّها،

---

(1) جاء في الصحاح: والعَرَبُ والعُرْب واحد، مثل العَجَم والعُجْم، .... وعَرُبَ لسانه – بالضم – عُرُبَةً، أي صار عربياً... والعربيّة: هي هذه اللغة أمّا العَرَابةُ فلم يذكر الجوهري أنها بهذا المعنى، – وإنما قال: وعَرَابَةُ، بالفتح اسمُ رجلٍ من الأنصار من الأوس – قال الحطيأة:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عَرَابةُ باليمينِ

والبيت في ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني في ديوانه 336. فهو ليس للحطيئة.

(2) محمد بن صبيح الواعظ الزاهد، توفي بالكوفة 183هـ، حلية الأولياء 8/ 203)

(3) انظر تعليقي على فصاحة وبلاغة هذه الآية في كتابي: التوسُّع في كتاب سيبويه/ 11.

وناطقها وصامتها. والله بخليقته أعرفُ (25/ و) فأنْ سخَّرَ انقيادَها لآدم فهو القديرُ على كلّ الأمور والطفُ.

وقد تحذِفُ العرب في كلامِها من الأسماء وغيرِها إيجازاً و تحقيقاً، نحو قولهم: لَمْ يَكُ و: يا حارِ، في الدعاء، لكثرة مثل هذا في كلامهم. فقد عُرِفَ ورويَ أنْ بعضِ القُرّاء[1] قال: كانوا لا يعرفون معنى قوله: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (الزخرف/ 77) حتى رأوا في قراءة عبد الله[2]:

(يامالِ ليقْضِ)[3] فَعلِموا أنّه اسْمُ مُرخّم.

---

(1) مجاهد بن جبير، كان من الأئمة الأعلام، قرأ القرآن على ابن عباس، وحدث عن عائشة وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص وجماعة من الصحابة (مات سنة 103 هـ)، معرفة القراء الكبار 1/ 163، والقول له كما في مختصر الشواذ/ 136.

(2) ابن مسعود بن غافل بن حبيب، الإمام أبو عبد الرحمن الهذلي المكي ابن أمِّ عبد، أحد السابقين الأولين، ومن مهاجرة الحبشة، شهد بدراً، كان يقول: حفظت القرآن من في رسول الله (ﷺ) سبعين سُورة.

قرأ عليه علقمة والأسود، ومسروق، وزر بن حبيش وغيرهم، قال عنه النبي (ﷺ): "مَن أحَبَّ أن يقرأ القرآن غَضّاً كما أُنْزِلَ فليقرأ على قراءةِ ابن أمِّ عبدٍ.

قدم من الكوفة وافداً على عثمان، فأدركه أجله بمدينة النبي (ﷺ)، في آخر سنة اثنتين وثلاثين، وله ثلاث وستون سنة.

معرفة القرّاء الكبار 1/ 117-118، غاية النهاية في طبقات القرّاء 1/ 409.

(3) وبها قرأ ابن مسعود والأعمش ويحيى، وبها قرأ النبي (ﷺ) وعلي بن أبي طالب وقد علّق ابن جني على هذه القراءة قال:

"هذا المذهب المألوف في الترخيم، إلاّ أنّ فيه في هذا الموضع سرّاً جديداً وذلك أنّهم – لعظم ما هم فيه – ضعفت قواهم، وذلّت أنفسهم، وصغر كلامهم، فكان هذا من =

والقرآن يَشْتمِل على جميع حدودِ الأعراب حتى التصغير، كقوله: ﴿يَشُعَيْبُ﴾.

فأمّا أنْ لا تكون العربُ تكلّفَتْ بما تكلّفَهُ النحويون فلأنها كانت غنيّةً عن شرحها، لمعرفةِ قلوبهم بدقائقِ لفظها وحقائق لحظها، وذلك بفضل عطاء ربها. إذ كانَتْ طبائعُها مجبولةً على فهْمها، ولم يُخالطْهم من يَحتاجُ إلى تقويمِ لسانهِ فيسألَهم كما دعت الضرورة إلى عِلْمَ الأعراب لدفْعِ الدافعين بالتأويلات عن صحّة تنزيلِ حِكمةِ ربّ العالمين.

وليس ذلك بأعجَبَ مِمّا أعطاهُ اللهُ القيافةَ[1] مِن الفِطَن لخفيّات الأثر الذي بانوا بها من جميع البشر، وصَدقّهم الرسولُ بما نُقِلَ ألينا في الخبر.

فلّما تغيّرتْ طبائعُ العرب بمخالطتهم العجَمَ وأحبَّ الله تصحيحَ الكَلِمِ للغيّ من عباده والفَهمِ، سهَّل على طائفةٍ من الناس (25/ ظ) التماس القياس، فصَرفوا به الالتباس، عمّا رامَهُ أهلُ الإلباس فألْزَم اللهُ هؤلاء بجرأتهم طريقةَ الأنفاس، وهدى الآخرينَ لغاية الإيناس بالتفسّحِ في معرفة اللغات في إتمامها وحذْفِها في منظومِها ونثْرِها.

فأمّا الحذفُ في الشعر، دون التّمام، فَهْو أحوطُ في السَّعة منه في سائر

= مواضع الاختصار ضرورةً عليه، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله، القادر على التصرف في منطقة". المحتسب 2/ 304، مختصر الشواذ 136.

(1) من قاف أثَرَهُ، وَقَفَاهُ: تَبِعَهُ، وهي تتبّع الأثر لمعرفة صاحبه، والقائف: مَن يعرِف الآثار جمع قافَة، والمراد بها هنا تتبع ما أثر عن النبي (ﷺ) من الكلم. مختار القاموس 516.

الكلام، وأمّا في التنزيل فمعانيه لائحةٌ بالتأويلِ لأهلِ التفكير والترتيل ليدّ بَروا آياته.

والشعرُ يدلّ بعضُه على بعضٍ، ويُروي ويُنشُد، وقال في النثر:

فاسمعْ إذا حُدّثتَ وأفـ ـهمْ كيفَ عاقبةُ الأمورِ[1]

ويجوز للعرب تغييرُ البناء إلى بناءٍ آخر، لأنّ في الشعر، من معنى، ما يدلّ على ما يُرادُ به، فأمّا المحال فلا يجوز بتّةَ. والمحال مالا يصحُّ له معنى، لو قلتَ في شعرٍ: زيدٌ قائم. في حالِ قعودهِ، لم يجزْ. أو: آتيكَ أمس. أو: جئتك غداً. لم يجَزْ، في شعرٍ ولا في غيرهِ.

وإنما أدْخَلت العرب التنوينَ فيما ينصرفُ من الأسماء، وهو زيادةٌ، لأنّه خفَّ عليهم الاسمُ الصحيحُ في الأدراج، وهم يؤثرون الإيجاز، فإذا وقفوا حَذفوا. فأحبّوا أنْ يُشبعوه لِئلاّ يطيشَ به اللسانِ.

وثقُلَ مالا ينصرفُ لاعْتلالهِ، فألزموه الفتحَ، لأنَّ الفتحَ أخفُّ عليهم. وأحبّوا أن يكونَ كلُّ حيّزٍ من كلامهم مخصوصاً بأعراب (26/ و) لا يُشبهُ إعرابَ صاحبه كما لم يصرفوا (أُخَر)[2] في النكرة، لأنّهم عدَلوه عن أصلهِ في القياس،

---

(1) البيت من مجزوء الكامل من الوزن الثاني الذي تكون فيه العروض مجزوءة صحيحة والضرب مرفّل (متفاعلاتن).

(2) إذا جاءت جمع "أُخرى" التي هي مؤنث أفضل التفضيل "آخر من" بمعنى: غيْر، مُنعت من الصرف نحو: "مررتُ بزينبَ وطالبات أُخَرَ"، فـ (أُخَرَ) نعت مجرور بالفتحة عوضاً من الكسرة ؛ لانه ممنوع من الصرف، أما إذا جاءت جمع "أخْرى" بمعنى: "آخِرة" والتي تقابلكلمة "أولى" فهي مصروفة (لأنها لا تكون معدولة في هذه الحالة) نحو: "مررتُ بزينبَ وطالباتٍ أُخَرٍ" وهي في حالتيها تعرب حسب موقعها في الجملة.

=

وقد أدخلوا عليها الألفَ واللام وهي مَعْرفةٌ لعلّةٍ أوجبَتْ ذلك. كما قال الشاعر:

الحمدُ لله بُكْرةً[1] وسَحَرْ والتّاليات والعشيّات الأخَرْ[2]

وإنما ذكرنا هذا الاحتجاج لأعراب اللغة، إذْ وجدنا الإعرابَ مقرونا بّدقيقِ المعاني وجليلها، يَدَلُّ على معاني حروفٍ في كتاب الله مُتّفقةِ الألفاظ مُختلفةِ المعاني، مُتقاربةٍ في القول، إذْ كان بلسانهم نزل. فقال عز وجل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف/ 3) والله، جلّ ذكرهُ، لا يشكُّ. وإنّما: لعلّنا نضربه مثلاً. لأنّه في التقدير: من سمعه من غيركم ففهمه عَجِبَ من غفلتكم فقال راجياً: لعلّ من فهِم هذا وعقله كان ناجياً.

فانزله الله جَّل ثناؤه بلسانِ عربيّ على قومٍ، عربٍ يفقهون ما يُخاطبون به. ليس عليهم في فهمِه موونة. على أنّ بعضَهم كانَ أعلمَ به من بعض،لعلمهِ بأشعارِ العرب ولغاتها والانفساح في أفنان طرقات إعرابها، وكانَ منهم من لا يعدو لغةَ قومه.

فلمّا دخلت الاجناسُ في الإسلام وحدثَ الاستعجام وكثر فأوّلاً حتى

=

قال سيبويه وهو يسأل شيخه الخليل: "فما بال "أُخَرَ" لا ينصرف في معرفةٍ ولا نكرة ؟ فقال: لأنّ أُخَرَ خالفت أخواتها وأصلَها... فلمّا خالفت الأصلَ وجاءت صفةً بغير الألف واللام تركوا صرفَها". الكتاب 3/ 224.

(1) هكذا في الأصل، ولا يستقيم بها وزن البيت ولعلها "بكوراً".

(2) البيت من بحر الرجز.

هلكَ أكثر أهل (26/ ظ) البِدَع للعجمةِ في فهْم كتاب الله، فوجهّوه في المعاني على غير وجههِ، وحَملوه على غير مذهبِهِ. فقال أبو مُسلّم الكُجّي[1]:

حدّثنا أبو الحسن[2] قال: سمعتُ إبراهيم بن عبد الله الهروي[3] قال: أتينا سفيان بن عُيينة، فسأله رجلٌ عن الحديثِ في قوله: (آخرُ وطئةٍ وطئها الجبّار تبارك وتعالى بوجّ)، فقال: ويحكَ ! ليس إلى ما ذهبتَ إليه هذا بعده كلام، قد تُرِكَ في الروايةِ إنما هو: (آخرُ وطاةٍ أوْ طَأهَا الجبّار)[4] كقولهِ، (ﷺ): اللهُمّ اشْدُد وطائكَ على مُضَر)[5]. فَمن لم يتمّهَر في علْم اللغات، ضلّ في معاني صوابها. ولزمته التّبعات المُهلكات قال أبو الحسن: وسمعتُ أبا عبد الرحمن بن عائشة[6] يقول في حديث أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) في موسى وملك الموت،قوله:

---

(1) إبراهيم بن عبد الله، من كبار المحدثين، ثقة، توفي 292 هـ. تذكرة الحفاظ/ 6312، والمنتظم 6/ 50، وطبقات الحفاظ 373.

(2) علي بن عبد الله المعروف بابن المديني المحدّث، كان الإمام أحمد بن حنبل يكنّيه تبجيلاً له روى إسماعيل القاضي والبخاري وغيرهما توفي 234 هـ، تاريخ بغداد 11/ 458، طبقات الحفاظ 184، وتهذيب التهذيب 349.

(3) من الحفاظ المتقدّمين، نزيل بغداد، توفي بسامراء 2444 هـ، ميزان الاعتدال 2/ 42، وتذكرة الحفاظ 2/ 484.

(4) مسند أحمد بن حنبل 4/ 173.

(5) صحيح البخاري 15/ 278، وتتمّة الحديث: "اللهمّ اجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف" والوطأة في معنى الحديثين: موضع القدم، أما ما ورد في سؤال الرجل، فهو: الجماع تنزّه الله عن ذلك.

(6) عبد الله بن محمد بن حفص التميمي، من علماء العربية، وأصحاب الحديث توفي بالبصرة سنة (228هـ)، المعارف 523.

لطمَ عينه[1] والعينُ[2] في كلام العرب إنّما هي حقيقةُ الشيء المقصود، يقولون: عينُ هذه القصيدة هذا البيت. وعينُ هذا الكلام هذه الخُطبة. وعينُ كلّ شيء: شاهدُه وحاضرُه وإنّما ناظرَه موسى وحاجّه، فقال: من أينَ تقبضُ روحي؟ قال: من فيكَ، قال: به ناجيتُ ربّي - إعظاماً لذلك- قال: فمن أُذنِك، قال: بها[3] سمعتُ كلام ربّي.

فقوله: لطمَ عينَه، أي: عينَ كلامِه فأدْحضَ حجّتَه (27/ و) وكفّ إرادته فرجع إلى ربّه، ثمّ عادَ على موسى بكلامٍ احتّج به على موسى فردّ به عينَ كلامه أيضاً، حتى توفّاه الله، عليه السلام. فهذا مجاز الحديث.

ومعنى المجاز أنّه الأخبار عن علّة الشيء، ألا ترى أنّ المُختصِرَ للحديث التاركَ لآخرِه. لمّا قال: (لا تسبّوا الدهر فأنَّ اللهَ هو الدهرُ)[4] أنه غيّر معناه عن جهته، لأنّ في الحديثِ كلاماً إذا ذُكر صار لهذا الكلام تأويلٌ غيرُ ما ذهبَ إليه

(1) صحيح مسلم 7/ 100، ومجمع الزوائد 8/ 204.

(2) تطلق على أكثر من معنى في العربية فهي العين الباصرة، وعين الماء، والمطر أو السحاب، وحقيقة الشيء ونفسه، والجاسوس، أو الرقيب، والحسد، والذهب، أو النقد والشريف، وعين الركبة، والميزان، فهي مما اتفق لفظه واختلف معناه، وأكثر العلماء يعللون وجود المشترك في اللغة بالاستعارة والمجاز، فعندهم أن اللفظ الواحد لم يكن له غير معنى واحد على سبيل الحقيقة ثم تضمن معاني أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز، انظر/ الوجيز في فقه اللغة 389.

(3) في الأصل: بهما.

(4) صحيح مسلم 7/ 45، ومجمع الزوائد 8/ 204.

التاركُ لبعضه، وهو ما رواه الحُميدي[1] عن ابن عُيينة قال:

حدّثنا الزّهري[2] عن ابن المسيّب[3] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، (ﷺ): قال الله عز وجل:(يؤذيني ابنُ آدمَ بسبّ الدهر، وأنّا الدهرَ بيدي الأمرُ، أقلّبُ الليل والنهار)[4] فنصبَ (الدهرَ) لأنّه ظرف لقوله: بيدي الأمر. ومَنْ حذفَ[5] ورفع (أنا الدهرُ) صار الدهرُ أسماءً من أسماءِ الله جل الله عن ذلك.

فأن قال قائل: قد رأينا الله عز و جل، حكي عن نوحٍ وإبراهيمَ و يعقوبَ وموسى وعيسى حكاياتٍ كثيرةً بلسانِ العربية، وكذا عن فرعون و هامان وقارون و سائر بني إسرائيل، ومن يُعلَم أنّه لم يتكلمّوا قطّ بلسان العربية ولا عرفوا إعرابا، ثمّ كرّر الحكايات عنهم في مواضع مختلفةٍ فغيّر (27/ ظ) ألفاظها فلِمَ لا يجوز لنا أنْ نحكي عمّن خاطبنا بلسان العربية فنُغيّر لفظه، إذا لم نعدُ

(1) عبد الله بن الزبير المكي، محدّث، ثقة، توفي سنة 319 هـ، المعارف 536، تذكرة الحفاظ، 2/ 413، طبقات الحفاظ 178.

(2) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر الزهري المدني، أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأنصار، تابعي وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ على أنس بن مالك. غاية النهاية 2/ 230، والمعارف 472. مات سنة (124 هـ).

(3) سعيد بن المسّيب بن حزن المخزومي أبو محمد، عالم التابعين، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، قرأ على أبن عباس، وأبي هريرة، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد، مات سنة 94 هـ . غاية النهاية 1/ 279، تذكرة الحفاظ، 1/ 54، وطبقات الحفاظ/ 17.

(4) صحيح البخاري 22/ 202، الجامع الصغير 2/ 82، ومجمع الزوائد 8/ 71.

(5) يعني من حذف (بيدي الأمر) وكذلك في صحيح مسلم 7/ 45.

حُكْمَه ومقصدَ لفظه، إذ العربيةُ بالعربية أشبهُ من العربية بالسريانية وغيرها، وأحملُ لأنواع المعاني؟

فالجواب: إنَّ الله - عز و جل - هو مُدهّر الدهر ومنشئُه وخالق الخلق فيه، وهو مُظهِرُهُ ومبدئه، وهو العالِم بحقيقة ما يحكيه. فمحالٌ في صفته أنْ يحاولَ حكايةً تَحْملُ أنْ تكون ناقصةً عن الحقّ أو زائدةً عليه، وهذا مالا يكونُ في صفاتِنا القدرةُ على مثله ولا على ما يُدانيهِ. فقوله، عز وجل حُجّةٌ علينا إذ كنا بالتصديق معترفين غير شاكّين ولا مُرْتابينَ، فنحنُ متعبّدون بتنفيلِ[1] ما أمرنا به، وتصديق ما خبَّرنا عنه ودلَّنا عليه، ولا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ ولا أصغرُ منها في سماءٍ ولا في أرضٍ ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/ 74) فأخْبارُه، عز وجل، تُحيطُ بعينِ الحقيقة، وطبائعُنا تَقْصُرُ عن نيل تلك الطريقة.

وقد أبانَ الله، عز وجل، كتابَه، وأعْجزَ عنه مَردَةَ عبادِه مِمَّنْ الْتمس عنادَه، كما قال: ﴿ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (المدثر/ 16) وقال، جلّ ذكرُه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ (الإسراء/ 88) من كلامِهم. ثُمّ(28/ و) أخْبرَ أنّهم﴿ يَأْتُوا بِمِثْلِ ﴾ (الإسراء/ 88) وان تظاهروا، أي: تعاونوا. فجعله الله لضلال العاصين دافعاً... دافعاً، وجعله لعبادِه الطائعين عِلْماً نافعا، وفي ظُلُمات الضلالات نوراً ساطعاً وفي سُدَفِ الشُّبهات شِهاباً " لامعا ". وعن مضلّةِ المسالك رادعا وإلى منار الهدى رافعا، والى سبيل النجاة والحقّ هادياً

(1) بإطاعة.

﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (المائدة/ 16) المبين.

فقوله، ﴿ يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ ﴾ (الإسراء/ 88) أي: في حُسنِ وصفه وعذوبةِ منطقة وصحّة معانية، وكثرةِ طلاوته التي لا يُخلِقُها التَّرداد، مع قرب مأخذه وبُعد غوره، فلن تنقضي عجائبهُ، من غير تكلّفٍ ولا تشقيقٍ ولا وحَلٍ

ولا تعويق مع تبيينه، عز وجل كلّ شيء وتفصيله له، لا ينقص في ( )[1] في غيره كسائر الخطب، بل هو في كلّ أوديةِ الكلام سواءٌ في النظام، إنْ أخبرُ ولأنجرَ، وإنْ جادلَ حجَ وأدحضَ، وإنْ مثّلَ وصفَ وأبلغَ وإنْ عاتبَ نبّهَ وأيقظ، وإنْ شنّعَ أجملَ، وإنْ أمرَ أحكم، وإنْ وعد أنفسَ[2]، وإنْ أوعدَ بلّغَ وحذّر. لا يرتطِمُ[3] في التخلّص من معنى إلى غيره، ولا يعتذر منه، ولا يَروّي فيه كما يُروّي الخطباء والشعراء، بل يجيء به في وقته ميسّراً على الألسنةِ، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ (مريم/ 97) ((28/ ظ) ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر/ 17) فلا ينسى منه الناطق به حرفاً. ولا يقلي منه شيئاً، ولا يستدركُ في إعرابه نقْصاً ولا سقَطا ولا تفريطاً ولا لغَطاً، مُستَقبلُ معانيه كمستدبرها، قد حرسَ الله جمعَه وقرآنه بسلطانٍ لا يُرام، وعينٍ منه لا تنام، وحاطَه من الزائغين بركنٍ منه لا يُضام فهو كشجرةٍ مُباركةٍ، أسفلُها مُحدِقٌ بالاجتماع، وأوسطها مُغدِقٌ بالانتفاع وأعلاها مورقٌ بالارتفاع، يعلو بالبرهان ولا يُعلى بالبهتان، يأتي

---

(1) كلمة مطموسة.

(2) أي رغَبَ.

(3) يقال: رطمتُهُ في الوحل رَطْماً فارتَطمَ هو، أي ارتبك فيه، وارتطم عليه أمرٌ، إذا لم يقدِرْ على الخروج منه، الصحاح 5/ 1934 (رطم).

بالكلام من عَلٍ يَثجُّهُ ثجّاً، ويَقْتَحِم ألفاظَه اقْتحاماً. فلا عِلْمَ بُلْغةٍ يؤودُه، ولا معنىً طلبَهُ يفوتُه، ولا جَهْلَ يؤتى منه في إعرابه، ولا هَزْلَ يَقَع في خطابه، بل يُحْتذى في إيجازه بالإشارة اقْتداراً، ويُزْدَجَرُ بالوحي منه دون الإشارة ازدجاراً، وانّه لكتابٌ عزيزٌ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت/ 42) أنْزلَ ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ (الزمر/ 23).

﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ يُصدّقُ أوّلُه آخرَه وآخرُه أوّلَه. ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/ 82) لأنّ كلّ كلامٍ لمخلوقٍ تَبيَّنُ فيه الذّكاةُ[1] والوناةُ[2]. والقرآن من البلاغة في نقابٍ واحدٍ، فلا يَجِدون في بيانِه مَغْزاً، ولا في إعرابِه مَلْمزاً. (29/ و) كتابٌ أنْزلَه اللهُ مُباركٌ ليدّبّروا آياته وليعْتصموا بحبله.

فلا تهيْ على الأيّام دعائمُه، ولا تَبيدُ على طولِ الزّمانِ معالمُه، ولا يحورُ عَنْ قصْد المحجّة تابعُه، ولا يَضلُّ عن سبيل الهُدى مصاحبُه، مَنْ اتبعَه فاز وهدّى ومَنْ حاد عنه ضلّ وغوى، فهو الموئلُ[3] الذي إليه عند الاختلاف يؤولون، والمعقل الذي به يتحصنّون، وحكم ربّهم الذي إليه يحتكمون، وفصْلُ قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وحبلهُ الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون[4]، وبالعروة الوثقى يتمسّكون، فيرشدُهم إلى محاسن الأعمال، ويوفّقهم لأثبت الأقوال، ويدلُّهم بالأعراب على الصواب، وعلى معنى الخاصّ منه والعام،

(1) الذكاة: تمام الشيء.

(2) أي الفتور.

(3) الموئل: المنجي.

(4) إلى هنا من الطبري.

ليذّكّر أولو الألباب والأفهام، بقول ثقيل كقوله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل/ 5)، لأن الأمر بترك الهوى يثقُلُ به إلاّ على من أتقى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النازعات/ 40) لأنّ[1] الرأيَ والهوى مُعتاديان، ومِن شأنْ الناس تسويفُ الرأي وإسعافُ الهوى، فإذا اشتبَه على المُتيقّظ أمرانِ لا يُدرى في أيهّما الصواب نظرَ إلى أهواهما عنده، فحذره فاتّعظَ بقول ثقيل ونبأ عظيم. ونورٍ مُبين ﴿ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس/ 57).

فأحقُّ ما صُرِفَتْ إلى علمه العنايةُ، وبُلغتْ في معرفته (29/ ظ) الغايةُ والنهايةُ، ما كانَ لله، عز وجل – في العِلْم به والتفهّم له رضىً، وللعالمِ به إلى سبيل الرشاد هُدىً، أنْ يؤثر بعلمه معادَه، ولا يَدعُ لشهواته رشادَه، بَلْ يجعل عقلَه وزيرَه الذي يدعوه إلى الهُدى، ويَعصمُه من الرّدى، ويلجمُ هواه عن الفواحش والمحارم، ويُطلقُه في الفضلِ والمكارم، فَيبرُّ بذلك سلفَه، ويَشيِّد شرفَه، وينفعُ خَلفَه، تصديقاً للكتاب الذي فيه بيّنةُ ما في الصُّحُف الأولى من أخبار أُمم الأنبياء في سالفِ الدهور، وكلُّ ذلك في كتابٍ مسطور.

وعلمُ ذلك لا يُمكنُ الأنبياءَ، عليهم السلام، بلا مُدارسةٍ، إلاّ بوحيٍ من عند الله العليم، معَ ما فيه من إعلام غيوبٍ لم تكُنْ بعدُ قروؤها' كما قال الرسول عليه السلام: (فالقرآن حبلٌ من الله وسبَبٌ، مَن تمسّكَ به لم تزغْ به الأهواء، لأنّه الذكر الحكيم.والصراط المستقيم، لا تبلُغه ألسنةُ الفصحاء، ولا يَشْبعُ منه العلماء هو الفصلُ ليسَ بالهزْلِ،وهو الذي لمّا سَمعتْهُ الجنّ لم يتهيّبوا أنْ قالوا: ﴿ قُلْ أُوحِيَ

(1) من هنا إلى قوله: عنده. من كلمة للحسن البصري ستأتي في ص 138.

إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ (الجن/ 1-2) مَنْ تَركَه من جبّار قصَمه الله، ومَن ابْتغى الهُدى فيما سواه أضلّه الله، وَمنْ لهجَ به نفعَه، ومَن شابهَه بكلامه فضَحَه، وأنّ العجزَ عن/ كُنْهِ وصفِه ليقْطَعُ عن الإطناب فيه)[1].

فأمّا من سألَ عن قوله، عز وجل: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (الزمر/ 55) فقالَ: هل في القرآن حسَنٌ و قبيحٌ؟ قيلَ: لا، ولكنَّه، عز وجل، فرضَ الحدودَ للبلوى، وجعل الصَّفْحَ أقربَ للتقوى، فَمَن أقامَها بحقّهِ فقد أنصفَ، ومن صفَحَ فقد استَشرَفَ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران/ 134).

وحقٌ لكلام الربّ، جل ثناؤه، أنْ يكونَ بهذه الصفات الواضحات مذكوراً، ويكونَ الله على ذلك مشكوراً. لانَّ فضلَ بيانِ ما أنزلَه الله من كتابه على بيانِ نُطقِ جميعِ خلقه، كفضله، عز وجل، على جميع عباده، ولم يكن ليُرسِلَ برسالة إلاّ بلسانٍ وبيانٍ يفهمُه المُرْسَلُ إليه، لأنّه إن لم يفهم العبدُ ما خُوطبَ به فحالُه قبل الخطاب وقبل مجيءِ الرسالةِ وبعدَه سواءٌ[2]، إذ لم يَفِدْهُ الخطاب شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً. والله، جل ثناؤه، تعالى [عن] أنْ يُخاطِبَ خطاباً لا

(1) الحديث – باختلاف لفظه – رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار 2/ 133 عن الإمام علي رضي الله عنه وأورده أبو حيان بلا، إسناد في البحر 1/ 12 ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 7/ 164 وبعدها، عن مُعاذ بن جبل، وقال: رواه الطبراني، وفيه عمرو بن واقد، متروك.

(2) في الطبري 1/ 11: وأن قَدْرَ فضلِ بيانه – جل ذكره – على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده.

يوجِبُ فائدةً لِمَنْ خوطِبَ باللسان العربي المبين. لانّ ذلك مدفوعٌ بقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل/ 64) وغير جائزٍ أنْ يكونَ به مُهتدياً مَنْ كانَ يُهدى إليه جاهلاً.

فقد تبيَّنَ إذنْ، بما ذكرْنا وبما عليه دلَّلْنا، أنّ (30/ ظ) كلّ كتاب أنزلَه الله على رسول من رسله، فإنّما أنزله بلسان من أُرسِلَ إليه، وإذا كان لسان محمد - عليه السلام - عربياً، فبيّنٌ أنَّ القرآن عربي كقوله، عز وجل: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء/ 195) فوجبَ أنَّ معانيه لمعاني كلام العرب موافِقةٌ وللأفهام فاتقةٌ، وأنَّ ظاهَرهُ لظاهر كلامهم مُلائمٌ، وأعرابَه لأعرابهم مُقاوِمٌ، إذ كانَ ذلك موجوداً في كلام العرب مُستَعمَلاً في الإيجاز والاختصار والاجتزاء[1] بالإخفاءِ من الإظهار، وبالقِلَّةِ من الإكثار في بعض الأحوال، وتصرُّفِ المَقال، واستعمال الإطالة والتَّرْداد والتكرار عند المواعظ والأخبار، ونجمعُ من مذاهب اللغة ما يُوافِقُ ما في القرآن من ذلك، فننظرُ هل يخرُجُ أحدُهُما من نمطِ الآخر؟ بلْ هما في نقابٍ، وللقرآن الفضيلةُ وفيه الثواب، ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام/ 59) أي في قَدَرٍ معلوم.

وقالَ اللهُ، تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾(الرعد 8-10)

---

(1) أي الاكتفاء.

فَعَلِمَ، عز وجل (31/ و) ما عبادُه عاملون وما هم به ناطقون. سواءٌ منهم من استخفى بالليلِ أو سَربَ بالنهار[1]، إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ (الرعد/ 13).

والخلائق جميعاً عاجزون عن قدْرة الكبير المتعال، ألا ترى بالحقيقة والتصديق أنَّ فِطَرَ بني آدم وقواهم تَنْتفي من اختراع هذا الكلام الذي لا تبلُغُه الأوهام، ولا يَهْتدي إليه ذوو الألباب والأفهام، أنْ يدَّعوا خَلْقَ السموات والأرضِ وعِلْمَ الغيب، ولا خَلْقَ أنفسهم، ولا القدرةَ على إرادتهم، وأنّ هِمّتهم لا تعدو هِمَمَ المصنوعين الموسومين بالضعْفِ المحتاجين إلى الغنى والترفّهِ والصحَّة واللذّةِ، ودَفْع القلّة والذّلة.

فطريقةُ القرآن وفروعُ مذاهِبه، على هذه الشرائط، لا تَخْرُجُ عن الإعراب المستبين الموضّحِ للغة المعجِزة عن مثال المتكلّفين، فضْلاً من ربّ العالمين، وأيُّ شيءٍ أعجبُ مِنْ أنّ محمداً (ﷺ)، أمّيٌ لم يكن يتلو من قَبلِه مِن كتاب، ولا يخطّه بيمينه. ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/ 48)، وليس بأجنبيّ يُنكرون معرفته فيشكّون ويتمارون، فيقولُ قائلهم: لا ندري، لعلّهُ قد مارسَ أهل الكُتب ودارسَ أهل العِلْم وجالسَ أمثالهم إلاّ أنّه يتَجاهَلُ علينا. ألا تسْمعُه يقول: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ (المؤمنون/ 69) فأيُّ شيءٍ هو أعْجَبُ مِنْ أنّه يتحدَّى خُطباءَ قريش و شعراءَ (31/ ب) العرب، وأهلُ الدراسات من أهلِ الكتب بأنْ يأتوا بمثل سِوَرِهِ لا يشرطُ طويلةً دونَ قصيرةٍ، حيثُ قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ

(1) تضمين لمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ (الرعد/ 10).

إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ (الفرقان/ 4) أي: تخلَّقهُ. قيل: فأتوا بسورٍ اختلقوها ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس/ 38) أي الاستعانة بهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة/ 23) أنّ محمّداً تقوَّلَ هذا القرآن وافتراءْ، وقد أنزل الله قبل ذلك ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة/ 23).

قال لي محمد بن يزيد: كيف يُقالُ لِمَنْ عجزَ عن سورةٍ: آتِ بعشْرٍ؟ قلتُ: لعلَّ الواحدةَ نزلَتْ بعد العشْر. قالَ: لا، ولكنّهم قالوا في الواحدة: إنّما تشتملُ على أخبارٍ غائبةٍ عنّا، وفرائض لازمةٍ لأمثالنا، فأنْ سألتمونا ألفاظاً خاليةً من ذلك جئنا بمثله، قيلَ: فأتوا بعشْرٍ مُقترناتٍ عارياتٍ من المعاني، وأنتم عَربٌ، فتكلّفوا بأجمعكم مِثلَ ما يقول محمّدٌ وحدَهُ يتحدّاهم بذلك ثلاثاً وعشرين سنة. فلم يَطْمعوا والله، جميعاً أنْ يأتوا بمثل سورةٍ، من قِصار المفصّل، ولا رازوا[1] ذلك فيدَعوه كما يدَعُ الإنسان الشيءَ ويتركه عجزاً عنه بعد روزهِ، ولو قَدروا على ذلك لأتوا بهِ حتى يُبطلوا نبوَّتهُ، وقد رَموه بالأباطيل، فهل دفَعوه عن البلاغةِ في الاحتجاج عليهم بما هم عنه عاجزون، وبأعراب (32/ و) لغاتهم التي هم بها عارفون، فقد كان فرّقَ جمعَهم وشتَّتَ أمرهم وسفّهَ أحلامهم وعابَ دينهم وأسقطَ رئاستهم وقَتلَ من مُقاتِلَتِهم[2] وسبى من ذراريهم، واصطفى مِن أموالهم، وهم عن معارضة ما دعاهم إليه مصروفون، وذلك ليُعلَم أنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت/ 42) وأنه قرآن مجيد، وأنّه عَلَمٌ من أعلام النبوّةِ كبير. ألا تسمعُه يقول: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ

(1) راز الشيء: جرّبه وخبره.

(2) المقاتلة – بكسر التاء – القوم الذين يصلحون للقتال. الصحاح.

فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (العنكبوت/ 51-52) إنّما الآياتُ عند الله وإنّما أنا نذيرٌ مبين. أو لمْ يكفِهم أنّا أنزلنا عليك الكتابَ يُتلى عليهم)[1] فلولا أنّ القرآن من أعظم أعلام النبّوةِ، لم يكنْ كافياً من الآية، لأنّه لا يكفي من الآيةِ إلاّ الآية.

وفي أيّ القرآن ما قد يَدخِلُ اللبْسَ على مَنْ لم يُعانِ رياضةَ العلومَ العربية الأصيلة ولم تستحكمْ معرفتُه بتصاريف وجوه منطقِ الآلسُنِ السليقيّة. على أنّه قد رُويَ أنّ رسول الله (ﷺ) قال: (إنّ العربية ليست بأب والدٍ ولكنّها لسانٌ ناطقٌ، فَمنْ تكلّم بالعربية فهو عربيّ)[2] فيَمكن أنْ يكونَ حثُّهم بذلك على الاستبصار في اللغة.

وحسبُكَ بالقرأةِ[3] من الموالي كالحسن البصري[4]، مولى الأزْد، وهو من اللسَنِ[5] والفهْم في منزلةٍ عُليا. ويقول لفصاحته:

---

(1) العنكبوت/ 50 – 51 وما بعدها إلى آخر العبارة هو آخر قول المبرد كما نرى.

(2) لم أقف على هذا الحديث.

(3) جمع قارئ، مثل ساحر وسحرة، وماهر ومَهَرة.

(4) أبو سعيد سيّد أهل زمانه علماً وعملاً، قرأ القرآن على حطان الرقاشي عن أبي موسى واخذ عنه القراءة يونس بن عبيد، وأبو عمرو بن العلاء، وسلاّم القارئ، وقال عنه الذهبي: وهو ثقة، لكنّه مدلّس بلفظه (عن) وله مراسيل لا تُصح، وبعضها جيد مات سنة 110 هـ.

معرفة القرّاء الكبار 1/ 168، وطبقات المفسرين 106، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري 13.

(5) الفصاحة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(32/ ظ) سَبقْتُ اللحنَ[1]. أي كنتُ قبل تغيير الألسنة.

وفيهم الأعمشُ سليمان بنُ مهران[2]، وعاصمُ بن بَهْدَلة[3]، هما قارئا أهل الكوفة، لا يُدفعان عن علْمٍ باللغة العربية، وهُما موليان لبني أسَد. وكانَ عبدُ الله بن كثيّر[4] قارئُ أهل مكة – من الأبناء[5] الذين

(1) إيضاح الوقف 1/ 228، وزهر الآداب 3/ 138.

(2) الإمام العلم أبو محّمد الأسدي الكاهلي الكوفي المقري الحافظ، أصله من أعمال الرّي، روى عن مجاهد وسعيد بن جبير وسواهما، وقرأ القرآن على يحيى بن وثّاب وزرّ بن حبيش، قرأ عليه حمزة الزيّات. مناقبه جمّة وأقوال العلماء فيه كثيرة قال عنه أبو حفص الفلّاس: كان الأعمش يُسّمى (المصحف) مِن صدقه. مات سنة 148 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 214 -218، تذكرة الحفّاظ 1/ 154، ميزان الاعتدال 2/ 224، غاية النهاية 1/ 286.

(3) ابن أبي النجود الكوفي، أحد القرّاء السبعة وشيخ الإقراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، كان من التابعين أخذ عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، توفي 1277 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 204، تاريخ خليفة بن خياط (دار الكتب العلمية) 247، غاية النهاية 1/ 315.

(4) أبن عمرو الإمام أبو معبد المكي، إمام أهل مكة في القراءة وأحد السبعة، ولد بمكة سنة 45 هـ ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر وروى عنهم، وقرأ عليه حمّاد بن سلمة والخليل بن أحمد الفراهيدي، وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وهارون بن موسى. ت 120 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 197، وغاية النهاية 1/ 396.

(5) يريد من أبناء فارس الذين بُعثوا إلى اليمن لطرد الحبش منها، فاختلطوا بعرب اليمن، فكان آباؤهم من الفرس وأمهاتهم من اليمن، انظر: الزاهر 2/ 175، وغاية النهاية 1/ 396 -397.

الذين نزلوا اليمن، فصيحَ اللغةِ، صحيحَ العربية، ونافعُ بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم[1] مولى جعونة[2] ابن شَعوب الليثي خليف بني هاشم، وأصلُه من أصفهان. ومالكُ بنُ دينار الناجي[3]، وعاصم الجحدُري[4] مولى لبني جُحْدر. كل هؤلاء لهم أشباهٌ و نظائر، وهم قُراء الآفاق بألسنةٍ فصيحةٍ وعلومٍ صحيحة.

---

(1) أبو عبد الرحمن أحد الأعلام، أقرأ الناسَ دَهراً طويلاً، قال عنه الأصمعي: كان نافع من القُرّاء العبّاد الفقهاء الستّة، واحد من القّراء السبعة، المشهورين، مات سنة 169 هـ، معرفة القراء الكبار 1/ 241، غاية النهاية 2/ 288، السبعة في القراءات 53.

(2) من ولد الأسود بن عبد شمس بن مالك من بني ليث بن بكر، و(شَعوب) امرأة من خزاعة، وهي أم الأسود، وكان حليفاً لأبي سفيان. انظر: طبقات ابن سعد 5/ 61.

(3) أبو يحيى البصري، تابعي، كان يكتب المصاحف بالأجرة، وكان من أحفظ الناس للقرآن، وكان يقرا كُل يومٍ جزءاً من القرآن حتى يختم، قليل الحديث، ثقة، مات سنة 127 هـ. غاية النهاية/ 2/ 35، وطبقات ابن سعد 7/ 243، والناجي نسبة إلى ناجية أم بني سامة بن لؤي، انظر الاشتقاق 1/ 109.

(4) بن أبي الصباح العجّاج وقيل ميمون أبو المُجشّر المقري البصري من بني قيس بن ثعلبة، أخذ القراءة عن سليمان بن قتّة التيمي عن ابن باس، وأخذ عن نصر بن عاصم والحسن البصري ويحيى بن يعمر، وذكر ابن الجزري أنّه روى حروفاً عن أبي بكرة عن النبي(ﷺ) كان ورعاً تقياً من عبّاد أهل البصرة وثقاتهم، وعدّه ابن سعد في الطبقة الثالثة من الفقهاء والمحدّثين والتابعين من أهل البصرة من أصحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ذكر صاحب الفهرست أن لعاصم كتاباً اسمه "العدد" وذكر ذلك السخاوي الكتاب تحت عنوان: (أقوى العُدد في معرفة العَدد) مات سنة 128 هـ.

ميزان الاعتدال 2/ 354، لسان الميزان 3/ 220، غاية النهاية 1/ 349، طبقات ابن سعد 7/ 235، الفهرست 40، جمال القرّاء وكمال الإقراء 1/ 190، مشاهير علماء الأمصار 94، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري (28 هـ) .

وقد منحَ الله الفصحاء والعلماءَ من فضلِ البيان وقوّةِ الأفهام ما بهِ عن ضمائرهم يُبينون، و به على عزائم أنفسهم يَدلّون، وبالأعراب التام يَنطِقون، فهُم كما قال الشاعر:

خلقَ اللهُ مِن التقوى لهم صوراً والعلمُ أرواحُ البشَرْ [1]

فذللَ بالنطقِ منهم الألسنَ وسهّل به عليهم المُستصعَبَ، وجعلهم فيما منحَهم من ذلك ؛ طبقات، ورَفعَ بعضهم فوقِ بعضٍ درجات، فبينَ خطيبٍ مُسيهِب ودَلِقِ اللسان مُهذَّب، ونحويٍّ عن الغوامض مُعرِب، ولبعيدها مُقّرب، ليتضحَ لذوي الألباب فضلُ أهل التبيين والأفهام (33/ و) على أهل البكَمِ والاستعجام.

ولا ريبَ في أنّ أعلى منازل البيان درجةً وأسمى مراتبه مرتبةً ما بَلغَهُ في حاجتِه المُبينُ عن نفسه، وأوضحُه ما أفْصحَ عن مُراد قائلهِ، وما قرَّبَه من فَهْم سامعه، فما تجاوزَ ذلك المقدار، وارْتفعَ عن وِسعْ الأنام وعجزَ عن أن يأتي بمثله جميعُ العباد، وقد اجْتهدوا في العَناد، فهو - كائنٌ حُجَّةً وعَلَماً لرسُلِ الواحد القهّار، المُعطي الوهّاب، كالذي كانَ حجّةً و عَلَماً لِمَنْ قطعَ مسافةَ شهرين في الليلة الواحدة، بارْتفاعِ ذلك عن وسع الأنام وتَعذُّر مثلِه على جميع العباد،وأنْ كانوا على قطْعِ القليل من المسافة قادرين، ولليسيرِ منه فاعلين، إلى غير ذلك من عطاء ربّ العالمين.

(1) البيت من بحر الرمل – لم أقف عليه.

وكما كانَ حُجَّةً وعَلَماً لِها في إحياء الموتى وإبراء الأبرص وذي العمى الأكمهِ بارْتفاع ذلك عن مقاديرِ أعلى منازلِ طبّ المتطبّبين. وأرفعِ مراتبِ علاج المُعالِجين، إلى ما يعجزُ عنه جميع العالمين. فكذلك لا بيانَ أبينُ ولا حكمةَ أبلغُ ولا منطقَ أعربُ ولا منزلَ أعلى ولا إعرابَ أفصحُ، ولا كلامَ أشرفُ من منطقٍ تحدَّى به امرؤ قوماً في زمانٍ هم فيه رؤساء في صناعة الخُطب والبلاغة وقول الشعر والفصاحة والسَّجع والكهانة، فأخبَرهم (33/ ظ) أنَّ دلالتَه على صِدْقَ مقالته، أنه رسولٌ إليهم من ربِّهم، وحجّتُه على حقيقةِ نبوّتهِ ما آتاهم به من البيان والحكمةِ والفرقان بلسانٍ مثلِ ألسنتهم، ومنطقٍ يوافق معانيهِ معاني منطقهم الموشّحِ بدلائل الأعراب على بُطلان الارتياب. ثُمَّ أنبأ جميعَهم أنّهم عن أنْ يأتوا بمثل بعضِه عجزَةٌ، ومن القدرةِ عليه نقَصَةٌ، فأقرَّ جميعُهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص، إلاّ من تجاهَلَ منهم وتعامى واستكبرَ وتعاشى فحاولَ تكلُّفَ ما قد عَلِمَ أنّه عنه عاجز، ورامَ ما قد تيقَّنَ أنّه عليه غيرُ قادرٍ، فأبدى من ضعف عقلهِ ما كان مستوراً، ومن عيٍّ لسانهِ ما كان مصوناً. فأتى بما لا يعجزُ عنه الضعيف الأخرق، والجاهلُ الأحمق[1]، وقد علمَ كذّابُ اليمامةِ أنّ أبينَ البيان وأفضلَ الكلام كلامُ ربُ العالمين على لسانِ خير المرسلين.

وقد قال، عز و جل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ ﴾ (هود/ 35)

(1) إلى هنا ينتهي كلام الخزّاز الذي نقله من الطبري إذ نقل– بتصرف – صفات طويلة من تفسير الطبري.

على الصفةِ منهم ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ (هود/ 35) وقد عَلِمَ، عز وجل، أنّه لم يَفْتره، ولكنّه على التوبيخ لهم، والتحذيرُ عاقبة التكذيب.

وقول الله في كتابه (34/ و): ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (يونس/ 94) وقد علم أنّه، عليه السلام، غيرُ شاكّ لكنّه إرشاد لمن شَكّ، كقولك: إنْ كنتَ جاهلاً فاسألْ، وقد تعلمُ أنَّ الحجّةَ عليه فقد ذكرنا من اتّساع اللغة والتفسّح فيها ما تفهمُه، والتوّقفُ عليه يتّسعُ به الكاتب في كتابته وانتزاعاته، والشاعرُ في رصانته وبلاغاته، والعالِمُ في مخاطباته وتذكيةِ قريحته، ويَستَدِلُّ به المُسترشِدُ على كثيرِ غوامضِ المعاني وحُسْن الألفاظ والمباني، وعلى فتق الأذهان والاحتراس من الخطأ، أو التحصُّن من الزّلل، ومن تمويه أهل العِلل والجدل. فقد خلَق الله جوارحَ البشر، فَدلّ بآلاتها على عظيم النِّعَم، وأجرى بهنَّ تحريرَ القلم، بالفصيح من الكَلِم، فيما أبرَمَ وحَتَم وبرّأ وحَكَم.

فأحسنُ القصص؛ القرآن. وأقبحُ العمى عمى القلب عن البرهان، وشرُّ المعذرة عِند الفوتِ، ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذوب[1]. لأنّ قوله، عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل/ 105) إشارةٌ إلى قريش. كأنّه قال: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك الذين كذّبوكَ هم الكاذبون. فأشار بـ (أولئك) إلى معهودين عنده. (34/ ظ) كأنه قال: إنّما هذا من صِفة الذين لا يؤمنون بآيات الله وأنتَ تؤمن بها، وهم لا يؤمنون بها، فأولئك الذين كذّبوك هم أولى بالكذب الجالبِ للبلوى.

(1) هذه العبارة من خطبة لابن مسعود في البيان والتبيين 2/ 57 .

و(خيرُ الزّادِ التقوى)[1] و(رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله)[2] و(أفضلُ ما أُلقـيَ في القلب اليقينُ)[3] والارتيابُ من الكفر، وملاكُ الأمر خواتمُه[4].

فأمّا ما رويَ: أنَّ ابنَ عباس قال: ما من لغةٍ ولا لسانٍ أعجمي ولا عربـيّ إلا في القرآن إلاّ أنّ الله، جلّ ذكره، ترجمَهُ عربياً، لأنَّ القرآن قد عبَّر بالعربية عن أقاويل الأُمَم، وحقيقةِ مذاهبهم في اعْتقاداتهم و خفيّاتِ إِضماراتهم، وهـم غـيرُ عربٍ، ولكنَّ المُخبِرَ عنهم عالمٌ بما بعُدَ منها وأقْترب.

ويُقاربُ ذلك ما روته الرّواة و حكتْهُ مِن ألسِن الضواحي: أنهّم يتكّلمـون بحروف موافقة لكلام العرب في اللفظ والمعنى، والقرآن يعضُدُ ذلك.

زعَموا، وهم رواة العربية، منهم أبو جعفر[5] عن أبن الكلبي عن أبيه عـن عطيّة[6] عن علي بن أبي طالب، قال: نَزلَ القـرآنُ بلغـةِ قـريش وبلغـاتِ جميـعِ العرب، فثبَّتَ الله بالقرآن ما اختُلِفَ فيه من اللغات.

---

(1) حديث نبوي في الجامع الصغير 2/ 8.

(2) حديث صحيح. انظر: الجامع الصغير 2/ 21.

(3) حديث في الجامع الصغير 2/ 8: ضعيف.

(4) من خطبة لأبن مسعود في البيان والتبيين.

(5) محمد بن أبي السري الأزدي، واسم أبي السري سهل بن بسام وكنية محمـد ؛ أبـو جعفـر روى عن هشام بن محمد الكلبي مصنفاته، وعن إسحاق بن يوسف الأزرق، حـدث عنـه أبو سعيد السكري، ومحمد بن خلف المرزبان. تاريخ بغداد 5/ 314.

(6) ابن سعد بن جناده العوفي الكوفي من التابعين، ضعّفه النسائي. اللبـاب 2/ 364، وميـزان الاعتدال 3/ 79

قالا: لمّا قرأت العرَب على النبيّ، (ﷺ)، بلغاتهم، قال: (أنا أعربُكم أنا قرشيٌّ ونشأتُ في (35/ و) سعد بن بكر)[2] ولهؤلاء الرواة أشكال. وروى المعُيطي[3] عن الأجْلَح[4].

عن أبي الزبير[5] عن ابن عباس و غيره عن سائرِ الأمم. فَسمَّوا منهم: الخطّ[6]،

=

(1) أبو بكر المدني، شيخ الواقدي، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث مات سنة 162 هـ. ميزان الاعتدال 3/ 596، والجرح والتعديل 3/ 306.

(2) الجامع الصغير 1/ 107، وقد صححه السيوطي.

(3) الوليد بن هشام من المتقنين، روى عن معدان وأم الدرداء، وروى عنه ابنُ عيينه والاوزاعي، ثقة. الجرح والتعديل 4/ 20، ومشاهير علماء الأمصار 184.

(4) يحيى بن عبد الله أبو جُميّة الكندي الكوفي، روى عن الشعبي، مات سنة 145. الجزم والتعديل 4/ 163، وطبقات ابن سعد 6/ 35، وميزان الاعتدال 1/ 78، والأجلح من الهوادج: الذي ليس له رأسٌ مرتفع، والجَلَحُ: فوقَ النَّزَع، وهو انحسار الشَّعر عن جانبي الرأس، أوّله النَزَعُ، ثم الجَلَحُ ثم الصَّلَع، وقد جَلِحَ الرّجلُ - بالكسر - فهو أجْلَحُ بيّنُ الجَلَح. الصّحاح مادة (جَلَحَ).

(5) محمد بن مسلم بن تدرُس المكي، التابعي الحافظ، ثقة، مات 128 هـ. تهذيب الأسماء 2/ 232، ميزان الاعتدال 4/ 37، طبقات الحفاظ 50.

(6) بفتح أوّله وتشديد ثانيه، ساحل ما بين عُمانَ إلى البصرة، ومن كاظِمةَ إلى السِّر. قال سَلامة بن جندل يذكره، من البسيط:

حتّى تُركْنا وما تُثنى ظعائِننا ... يأخَذْنَ بين سوادِ الخَطِّ فاللُّوبِ

قال الخليل: فإذا نَسَبْتَ الرماح قلتَ: خِطِّيّة بكسر الخاء.

قال أحمد بن محمد الهرَوَي: إنّما قيل (الخطُّ) لقُرى عُمان، لأنّ ذلك السّيف كالخَطِّ على جانب البحر بين البدو والبحر.

وقال ابن الانباري: يقال لسيف البحرين خَطٌّ.

معجم ما استعجم 2/ 130، واللسان "خطط).

والبـــــــــدّ[1]، والمُـــــــــسند[2] والـــــــــسّغد[3]،

---

(1) هكذا وردت، والبَدّ في اللغة مثلته، فالَبدُّ، بالفتح: التّعب، والبدّ، بالكسر: المِثْل، وهما بِدّانِ، والبدّ أيضاً: النّظير، يقال: ما أنت لي ببديدٍ فتكلّمُني. والبُدُّ، بالضم: العِوضُ، وقال ابن دريد: البُدُّ: الصَّنَمُ نفسُه الذي يُعبد لا أصل له. فارسيّ معرّبَ بُتْ، وقيل: البُدّ: بَيت الصَّنَمِ، والتصاوير وهو أيضاً مُعرّب، والبَدُّ أيضاً النصيب من كّل شيءٍ. وقولهم: (لابُدَّ) اليومَ من قضاء حاجتي أي: (لافِراقَ) منه، وقيل: لابُدَّ منه: لا محالةَ منه. أقول: ولعّل هذه الكلمة مصحّفة عن: (البَذ) بالذال. قال عنها البكري: (البَدُّ) بفتح أوله وتشديد ثانيه، على وزن (فَعّل) وهو اسم حِصنِ بَابَك بأذربيجان - قال أبو تمام:

بأرضِ البَدِّ في خيشومَ حربٌ عقيمٌ من وشيكِ ردىً وَلُودِ

تاج العروس، ولسان العرب، الصحاح، مادة (بدد)، ومعجم ما استعجم 217.

(2) وهو (خطٌ بالحِمْيَرِي) مخالف لخطّنا هذا، كانوا يكتبونه أيّام مُلْكِهم فيما بينهم، قال أبو حاتم: هو في أيديهم إلى اليوم باليمن، وفي حديث عبد الملك: (أنَّ حَجَراً وُجِدَ عليه كِتابٌ بالمُسْنَدِ). قال هي كتابةٌ قديمة، وقيل: هو خطٌ حِمْيَر، وقالوا: المُسند: كلام أولاد شيت، قاله ابن جني في سر الصناعة. تاج العروس/ (سند).

(3) السُّغْد، بالضّمّ، بساتينُ نَزِهَةٌ وأماكنُ متميزةٌ بِسَمَرْقَنْدَ، وهو أحد مُتَنَزَّهات الدنيا على ما حكاه المؤرخون... و(سُغِدَ) الرّجلُ، كَعُنِيَ: وَرِمَ. تاج العروس (سغد). وذكر الجواليفي أنّ (السُّغْد): جيل من الناس يقال بالسين والصاد، قال شقيقُ بنُ سُلَيْكٍ الأسديّ:

=

والسِّند[1] والعبرية، وتَنوخ[2]، والرسّ[3]،والصابئة، والحبش، والحورانية[4]،

=

وخافت من جبال السُّغدِ ننفسي وخَافت من جبالِ خَوارَزْمِ

ولم يرتضِ محقّق المعّرب بهذا الكلام، فذكر أنّ في هذا التعريف تساهلاً، فعنده انّ (السّغد) و (الصغد) مكان، وليس جيلاً من الناس، قال ياقوت في الصادر: (كورة عجيبة قصبتها سمرقند) وقال في السين: (ناحية كثيرة المياه نظرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، مؤنقة الرياض والأزهار، ملتفة الأغصان، خضرة الجنان.... وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند). انظر المعرب 197 بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر.

(1) بالكسر: بلاد معروفة، وعليه الأكثر، وقال بعضهم: بلاد بين الهند وَكِرْمَان وسجستان. والسِّند: نهرٌ كبيرٌ بالهند، وهو غير بلاد السِّند، والسِّند: ناحية بالأندلس. تاج العروس (سند).

(2) قبيلة من اليمن، مأخوذة من قولهم: (تَنخَ بالمكانِ تُنُوخاً) بالضمّ،ومنه سُمِّيت (تَنوخُ) كصبور، ومَن شدّد فقد أخطأ.

قال ابن قتيبة في المعارف: تَنُخُ ونمير وكَلْب، ثلاثتهم إخوة. تاج العروس (تَنَخَ).

(3) الرَّس: بفتح أوّله، وتشديد ثانية: وادٍ بنجد، والرّسّ المذكور في التنزيل: بناحية صَيْهَد، من أرض اليمن.

أما: الرُّسَيْس، بضمّ أوله، على لفظ تصغير رَسّ: ماء محدد في رسم ضَريَّة: قال زهير في الرّسّ والرُّسَيْس:

لِمَن طَلَلٌ كالوحي عافٍ منازلُهْ عَفَا الرَّسُّ منه فالرَّسَيسُ فعَاقِلُهْ

وقالوا: الرّسّ والرَسَيْس واديان فيهما نخل. معجم ما استعجم 2/ 248.

(4) نسبة إلى (حَوْرَان) بالفتح، وهو كُورَةٌ عظيمة بدمشق وقَصَبَتُها بُصْرى. تاج العروس (حور)، ومعجم ما استعجم 2/ 105.

والضاحية[1]، فنذكُر ما وصفوه من ألفاظهم وما أرادوا بهِ من معانيهم المُشاكِلة لِما في القرآن، والله أعلمُ بصحّة ذلك. لأنّهم أجازوا في لغة بعضهم:

الله الحنّان وأنّ أُميّة[2] قال:

حنـــاني ربنّـــا ولـــهُ عنَونـــا ... نُعاتِبُـــه لَـــئِنْ نفـــعَ العتـــابُ[3].

وأنّه جمعَ (الفُلْكَ) فقال:

تجري الفلـوكُ كأنهّـا عَـنْ مَهْلـكٍ ... فتـــزلُّ عنـــه ذو غـــواربَ مُزيـــدُ

وإنّمـا يجـيء (الإبـل) و (الفُلْـك) في القـرآن علـى لفـظٍ واحـدٍ في توحيـده وجمْعـهِ[4] ولـه قيـاسٌ مُطَّـرد. فمـن كـلام الحَـبش، زعمـوا:

---

(1) البادية، وضاحية كلّ شيء: ناحيتُه البارزة، يقال: هم ينزلون الضَوَاحي، ومكـانٌ ضـاحٍ، أي بارز. وفعل الأمر ضاحيةً، أي علانيةً. الصحاح/ مادة (ضحا).

(2) ابن أبي الصلت، وقد ترجمت له.

(3) البيت من البحر الوافر، وغير موجود في ديوانـه، ولكـنّ لـه قـصيدةً علـى نفـس الـوزن والرَوي يحكي فيها حديث العرب في الديك والغراب والحمامة، إذ يُروى أنّ الديك كان نديماً للغراب، وأنهّما شربا الخمر عند خمّار، ولم يعطيـاه شـيئاً، وذهـب الغـراب ليأتيـه بالثمن حين شرب ورهن الديك فخاس به ,أي: غدر به، فبقي محبوساً. وفي ذلك يقـول أمية بن أبي الصلت:

بآيـةِ قـام ينطـقُ كـلُّ شـيءٍ ... وخـانَ أمانـةَ الـديكِ الغـرابُ

وأرسِلت الحمامـةُ بعـد سبـعٍ ... تَـدلُّ علـى المهالـكِ لا تهـابُ

تلمَّسْ هـل تـرى في الأرض عينـاً ... وغُبّتهـا مـن المـاءِ العبـابُ

أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره 156.

(4) حكى سيبويه: هذا من آبل الناس، أي أشدّهم تأنّقاً في رعيةِ الإبلِ وأعلمِهِم بهـا. قـال: =

(الأوّاه)[1]: الدَّعَّاء. و(القَسْورة)[2]: الرُّماة.

=

ولا فِعْلَ لَهُ.

أمّا (الفُلْك) فقد قال عنه سيبويه: (.... وقد كُسّر حرفٌ منه على (فُعْلٍ) كما كُسّر عليه (فَعَلٌ) وذلك قولك للواحد: هو الفُلْكُ فتُذكّر، وللجميع: هي الفُلْكُ، وقال الله عز وجل: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء/ 119) فلما جَمَعَ قال: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ (البقرة/ 164) كقولك: أَسَدَ وأُسْد. معجم الجموع التي لا مفرد لها/ 100، وكتاب سيبويه 3/ 577.

(1) يقولون عند الشكاية: أوْهِ من كذا، ساكنة الواو، إنّما هو توجُّعٌ... وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: آه من كذا، وربّما حذفوا مع التشديد – الهاء – فقالوا: أوِّ من كذا بلا مدّ، وبعضهم يقول: آوّهْ بالمدّ والتشديد وفتح الواو ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، وربّما أدخلوا فيه التاء فقالوا: أوّتاهُ، يُمَدُّ و لا يُمَدُّ ذكر السيوطي انها حبشية أو عبرية. الصحاح (أوه)، والمعرب والدخيل/ 53 وبهذا فهو عربي بناءً على ما ورد في الصحاح.

(2) الأَسَدُ، لغلبته وقهرِهِ (كالقَسْوَرِ)، كجَعْفَرٍ وفي التنزيل العزيز: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر/ 50-51).

قال ابن سيده: القَسْوَرُ والقَسْوَرَةُ: اسمان للأسدِ والقَسْوَرَةُ: نصف الليل، وتأتي بمعنى (نبات سُهْلي) يطول ويعظم وهي من الفعل: قَسَرَهُ على الأمر، يَقْسِرُهُ قَسْراً: أكرَهَهُ عليه وبذلك فلا حجة لمن يقول انه من كلام الحبش أو غيرهم ما دام ورد في أفصح كتاب كتابِ الله.

وقيل في قوله تعالى: (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) المراد به: الرُّماة من الصيادين، وخطّأه الزبيدي. انظر الصحاح/ (قَسَرَ).

و(الفردوس)[1]: البُستان. و(حَرِمَ)[2] بمعنى: وجَبَ، تكلّمت به الحبشة.

ومن كلام السُّغد - بأطراف خُراسان -: (الغسْلين)[3]: الصديدُ من الأجساد و(الغسّاق)[4]: البردُ الشديد.

---

(1) الفِرْدَوْس، بالكسر: الأودية التي تُنبت ضروباً من النّبت، وعبارة المحكم: هو الوادي الخصيب عند العَرَب، كالبستان. وقال الزّجاج: حقيقة الفِرْدوس أنّهُ: البُسْتَانُ الذي يجمع كلَّ ما يكونُ في البساتين قال: وكذلك هو عند كُلّ أهل لُغةٍ. وأختُلِفَ في لفظة الفِردَوس، فقيل: (عربيّةٌ) وهو قول الفرّاء أو (روميّةٌ) نقلت إلى العربية، نقله الزجّاج وابن سيده، أو (سُرْيانية) نقله الزجاج أيضا.

تاج العروس (فردس)وانظر: المعرب/ 240.

(2) ذكر ذلك النحاس في إعراب القرآن 3/ 79 عن ابن عباس (وجب) وكذلك في الإتقان للسيوطي 2/ 111.

(3) هو ما أنْغسلَ من لحوم أهل النّار ودمائهم، وزيد فيه الياء والنون كما زيدَ في (عِفِرِّينَ) قاله الاحفش. الصحاح (غَسَلَ).

(4) ضعّف الجواليقي قول مَن يزعم أنّ (الغسّاق): البارد المنتِنُ بلسان التّرك، وقيل: هو (فَعّالٌ) من (غَسَقَ يَغْسِقُ) فعلى هذا يكون عربياً.

قال ابنُ قُتيبة: لم يكن أبو عُبيدة يذهبُ إلى أنَّ في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتّفاقٌ يقع بين اللغتين. أو تكون الكلمة في الأعجمية منقولة عن العربية، والقرآن كتابٌ عربي خالص لم يذكر فيه حرف غير عربي إلا الأعلام، فقول أبي عبيدة هو الصواب، وهو الذي قاله الشافعي ونصره أقوى انتصار، وأنكر على مخالفهِ أشدّ الإنكار. المعرب/ 235.

و(الطـور)[1]: الجبـل. و(القـدُّوس)[2]: الطـاهر. و(لم يَطمِـثْهنّ)[3] أي: لم يَمـسّهنَّ. (35/ ظ) و ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾[4] (الشمس/ 14) أي: جمعَهم في الهلاك. و(يحموم)[5]: دخانُ النار و(اللّيّنة)[6]: العَجْوةُ من النخيل. وهي عندهم: الكريمة. و(المسيح)[7]: العابد. ومن كلام

---

(1) والطُّورُ: الجبل، والطُّورُ: فِنَاء الدَار. فالطُّورَةِ، والطُّورُ: جبل قُرْبَ أيْلَة، وهو بالسُريانيّة طُورَى، والنسب إليه طُوريّ وطَوْرَانيّ، ويضاف إلى سيناءَ في قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ ﴾ (المؤمنون/ 20). وذكر الجوهري معاني أُخرَ كثيرة. تاج العروس (طور).

(2) بالضَّمِّ والتشديد: (من أسماء الله الحسنى) ويُفتح عند سيبويه وبه قرأ زيدُ بنُ عليٍّ: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ (الحشر/ 23). والقُدُّس، أي: الطاهر، قال ثعلب: كُلّ اسم على (فَعُولٍ) فهو مفتوح الأول (غير قُدُّوسٍ، وسُبّوحٍ، ودُرُّوحٍ) هؤلاء الثلاثة، هكذا استثناها ثعلب.

تاج العروس (قدس)، وشرح الفصيح في اللغة (لابن الجبّان) 209.

(3) وبذا فسّره ابن منظور في اللسان (طَمَثَ) عن ثعلب، وقال السيوطي: لم يَدْنُ منهن، اللسان (طمث) والإتقان 2/ 38.

(4) دَمْدَمَ الله عليهم؛ أي: أهلكهم. قاله الجوهري في الصحاح (دمم).

(5) قال الجوهري: واليحموم: اسم فرس النعمان بن المنذر... واليحمُومُ أيضاً: الدُّخان. الصحاح/ حمم/

(6) اللّينة ؛ يعني النخل بلغة الأوس، اللغات/ 46.

(7) اختلف العلماء في لفظة (المسيح) فقال بعضهم سريانية، واصلها: مَشيحا، بالشين المعجمة، فعرّبتْها العرب، وكذا ينطق بها اليهود، كما قال أبو عبيدة.

ومن قال انها عربية فقد اختلفوا في مادتها، فقيل: من س ي ح، وقيل من م س ح، فقال الأولون: (مَفْعِل) من ساح يسيحُ، لأنه يسيح في بُلدان الدنيا وأقطارها... وقال =

السريانية والعبرية: (صِرهُنَّ)[1]: شَقِّقْهُنّ. و(القيّوم)[2]: الدائم. و(سُبحان)[3]: تعجّب. و(سينين):[4] الشجرُ المجتمع. و(سينا)[5]: جمعُ الشجر. و(الربّانيّ)[6]: العالم الفقيه. و(عزّروه)[7]: أعانوا، تكلّمتْ به خمسة ألسنٍ من

=

الآخرون: مَسيح مُشتق من مَسَحَ إذا سار في الأرض وقطعها ؛ فعيل بمعنى فاعل. وقد ذكروا له معاني كثيرة أخرَ.

تاج العروس/ مسح/ .

(1) قال السيوطي إنها بالنبطية. الإتقان 2/ 114.

(2) قال أبو عبيدة: (القيوم: القائم وهو الدائم الذي لا يزول، وهو (فَيعْول) وقد سبق أن ذكرنا ما حصل فيه من إعلال. انظر: مجاز القرآن/ 78.

(3) مصدر، معناه التنزيه، فقولك: سُبحانَ اللهِ يعني تنزيهاً لله عن كل ما ينبغي له أن يوصفَ به، ولا يُستعمل إلا مضافاً ، ويُعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره: أُسبِّح منصوباً بالفتحة الظاهرة ومنه قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ (الإسراء/ 1) قال سيبويه: تحت باب ما ينتصب من المصادر بأضمار، الفعل المتروك إظهارهُ. قال: وذلك قولك: سُبحانَ اللهِ... كأنّه حين قال: سُبحانَ اللهِ قال تسبيحاً... فنصبت هذا على أُسَبِّحُ اللهَ تسبيحاً... فهذا بمنزلةَ سبحانَ اللهِ... وخُزِلَ الفعلُ ههنا ؛ لأنه بدلٌ من اللفظ بقوله: أُسبِّحُكَ. الكتاب 1/ 322.

(4) قال الاخفش: سينين: شجر، واحدتها، سينينة، وقيل: هو الحسَن بلسان الحبشة.

الصحاح (سين)، والمهذب 113.

(5) في الصحاح (سين): سيناء وهي شجرة.

(6) المُتألهُ العارف بالله تعالى. وقال سبحانه ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ (آل عمران/ 79).

وَرَبَتُ القوم: مستُهمْ، أي كنت فوقهم... والرِّبِّيُّ: واحد الرِّبِّيِّين، وهم الألوف من الناس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ (آل عمران/ 146).

الصحاح/ ربب/ .

(7) العَزرُ، والتَّعزيرُ: ضربٌ دُونَ الحَدِّ، لمنعهِ الجاني عن المُعاودة، وردعهِ عن المعصية قال:

=

العرب والسريانية، وكذا أكثرُ الأمم تكلّموا بها. و(صِدّيقة)[2]: لا تُريد الرجال. و(الربّانيوّن) الفقهاء و(الأحبار)[3]: هم بنو هارون. و(كهلاً) حليماً. ويقال: يكون تقيّاً في صِغره، وكهلاً في حلمه[و] كلامه.

=

الصحاح/ ربب/ .

(1) العَزرُ، والتَّعزيرُ: ضربٌ دُونَ الحَدِّ، لمنعهِ الجاني عن المُعاودة، وردعهِ عن المعصية قال:

ولـيس بتعزيـرِ الأمـير خَزَايَـةٌ علـيَّ إذا مـا كُنـتُ غَيْـرَ مُريـبِ

أو هو أشدُّ الضَّرْبِ... والتعزير لُغة من أسماء الأضداد، لأنه يُطلِقُ على التفخيم والتَّعظيم، وعلى أشد الضّرب، وعلى ضربٍ دُونَ الحدّ، كما صرّح به الإمام أبو الطّيب في كتاب الأضداد وغيرهُ من الأئمة، كما نقله عن الجوهري.

والتعزير: الاعانة كالعَزْرِ، يقال: عَزَرَهُ عَزْراً، وعزّرهُ تعزيراً أي: أعانه. وقالوا فيه غير ذلك.

قرأ عاصم الجحدري البصري (ت 128 هـ): وَعَزَروه، بالتخفيف، بمعنى: أثنوا عليه ومدحوه، وحكى أبو حيان عن الزمخشري أنّه قال: (منعوه حتى لا يقوى عليه عدوّ). انظر تاج العروس (عزر)، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري (ت 128هـ) وهو كتاب للمحقّق / 77.

(2) قال ابن الجوزي وفي قوله: (وأُمُّهُ صِدِّيقة) ردٌّ على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة . زاد المعاد 2/ 404

(3) هكذا قال أبو حيّان في البحر المحيط 3/ 491 عن الزمخشري.

و ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾(الفرقان/ 63) أي: حُلماء. و(الحِواريُّ): القصّار وهم الأنصارُ في الدين. وقال ضابيءُ [1] البرجُمي في ذلك:

فكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي إلى الله زُلفى أنْ يشدَّ فيُقْتَلا [2]

ومن كلام الروم: (القِسْطاس)[3]: الميزان. فأمّا (القِنْطار)[4] فشاركتْهم فيه وفي معناه أُمم. فتفسيرُه عند أهل رومية: ملءُ جِلْدِ ثورٍ ذهباً أو

---

(1) ابن الحارث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة التميمي البُرجُميّ، شاعر مخضرم خبيث اللسان، أدرك الإسلام، وعاش أيام عثمان، وكان ضعيف البصر مولعاً بالصيد، حبسه عثمان، وهو صاحب البيت المشهور:

ومَنْ يَكُ أمسى بالمدينةِ رحلُهُ فأني وقيّارٌ بها لغريب.

خزانة الأدب 9/ 323، والأعلام 3/ 212، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 217.

(2) البيت من البحر الطويل وهو من قصيدة له في الاصمعيات 183.

(3) القِسْطُ، بالكسر: العَدْلُ، والقِسْط: القِسْمُ من الرزق... وتأتي بمعنى: الكُوز عند أهل الأمصار. وقَسَطَ يقْسِطُ من باب "ضَرَبَ يضربُ" قَسْطاً، بالفتح وقُسُطاً بالضّمّ: جارَ وعَدَلَ عن الحقّ، وهو عطفُ تفسيرٍ، لانّ العدلَ عن الحقّ هو الجَوْرُ... ففي العدْلِ لُغتان: قَسَطَ وأقْسطَ، وفي الجور لغةٌ واحدةٌ قَسَطَ بغير ألف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن/ 15). قال الفرّاء: هم الجائرون الكفّار.

والقُسطانُ... (قوسُ اللهِ) ويُقال أيضاً: (قوسُ المُزْنِ) وهي خُيُوطٌ تحيطُ بالقَمَرِ وهي من علامات المَطَر، والعامّة تقول: قَوْسَ قزَح. قال أبو عمرو: وقد نُهي أن يُقال ذلك. ولم يذكر الزّبيدي كلمة القسطاس في كتابه.

تاج العروس (قسطَ).

(4) معروف النون فيه ليست أصلية، واختلفوا فيه، فقال أبو عبيدة: مِلءُ مَسكِ ثورٍ من ذهب، وقال قومٌ، ثمانون رِطلاً من ذهب، وقال الجواليقي، احسب أنّه معرّب. وقال محقّق المعرّب الأستاذ العلامة أحمد محمد شاكر إنّ (لفظة القنطار من الألفاظ القرآنية ورد =

حُييتَ عنّا أيّها الوجّهُ ولغيرِكَ البغضاءُ والنّجْهُ [1]

وقال جُذيمة الرياحيّ: [2]

أتينا وجهَهُ والمرءُ يودي لوجْهِ المرءِ ذي الخُلقِ الركيكِ [3]

وقال:

أإنْ ضربَ البرّاض وَجْهَ ابنِ على حنَق تأبى قريشٌ خزيزَها [4]

=

في سورة آل عمران في الآية/ 14: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ﴾ (آل عمران/ 14)، وفيها في الآية/ 75: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران/ 75)، وفي سورة النساء/ 20: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ (النساء/ 20) فهو من الكلمات العربية الخالصة ليس فيه شيء من العجمة) وهذا ما أميل إليه. المعرّب 269.

(1) البيت من البحر الكامل، وهو غير منسوب في تهذيب الألفاظ 442، وآمالي القالي 1/ 168، وأخبار النحويين البصريين 62، والصحاح واللسان (نجه) والعجز وحده في مجالس ثعلب 1/ 173.

(2) لم أقف على ترجمةٍ له.

(3) البيت من البحر الوافر.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو للبرّاض أحد فُتّاك العرب في الجاهلية واسمه رافع بن قيس وأمّا ابن جعفر فهو: عروة بن عتبة الكلابي، ويُلقّب بالرّحّال، قتله البرّاض في خبرٍ يطول ذكره، وكان ذلك سبباً لحرب الفجار التي كانت بين قُريشٍ ومَن معها من كنانة، وبين قيس عَيْلان، وكانت الدَّبْرَةُ على قيسٍ.

والبَرَّاض، ككَتّان، الذي يُنيلُ الشيءَ وبه فُسِّرَ قولُ الشاعر، ولعله هو:

=

أي: من أجل ذلك امتنعَتْ من أكل سخينتها. وقد تقدّم من ذِكْرِ [معاني] الوجه ما فيه كفاية.

و(الوراء)[1] عندهم: القدّام. كما قال لبيد:

إنّ وراءكَ يوماً أنتَ بالغُهُ ... لا حاضرٌ مُفلِتٌ منه ولا بادِ[2]

ومن كلام أهل الجزائر: ﴿عِلِّيِّينَ﴾[3] (المطففين/18): أعلى البنيان. و(مُخلَّدون): مُسحلّون: كما قال شاعرُهم في ذلك:

كأنّما فوقَ اللّبانِ خُلَّدْ ... ياقوتهُ كالشّرر الموقَّدْ[4]

=

وقد كُنْتُ بَرّاضاً لها قَبْلَ وَصْلِها ... فكيفَ ولَزَّتْ حَبْلَها بحبالي.

انظر: المحبَّر 195، ومقاييس اللغة 220، وتاج العروس(برضَ).

(1) قال الأصمعي: وَوَراءٌ: خلفٌ، ووراءٌ، قُدّامٌ، قال الله جّل ثناؤهُ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ (الكهف/79) أي: قُدّامَهُم، ومثله قال السجستاني، وذكر أنّ ابن عباس قرأ: (وَكَانَ أمَامَهَم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحةٍ غَصْباً) . قال لبيد:

ألَيس وَرائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لُزُومُ العَصَا تُحْنى عليها الأصابعُ.

انظر: ثلاثة كتب في الأضداد 20، 82، وديوان لبيد (تح الطباع/80.

(2) لم يرد في ديوانه، ولكنه ورد البيت السابق كما أشرنا إلى موضعه من الديوان والبيت المستشهد به ورد في ديوان عبيد بن الأبرص/49، بلفظ (أمامك... مدركه..) ولا شاهد فيه حينئذٍ.

(3) (المطففين/18)، قال أبو حيّان في البحر المحيط 8/422، بأنّه: جمع واحده (علىّ)، مشتق من العلوّ، وهو لفظ فيه مبالغة كما قال يونس بن حبيب وابن جني.

(4) البيت من الرجز ولم أقف على قائله:

في معانيه (3/218).

وفي القرآن: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (الواقعة/ 17)[1] يقال: مقرّطون. والله أعلم بتفسير ذلك.

و(المواخر) ﴿ مَوَاخِرَ ﴾[2] (النحل/ 14): السفن، تجري ذاهبة و جائية. وقالوا: نوافخ، شبّهوها بنفْخِ الثيران بمناخِرها إذا عَدَتْ وانْبهَرتْ.

و ﴿ مَلَكُوتُ ﴾ (يس/ 83)[3]: ما ينظرون فيه من مُلك الله عز و جل. تكلّمتْ به العربية والسريانية. وهي عند المُسْنَد: المُلْك وعند البتد الصّنعةُ للّه مالكِ السموات (36/ ظ) والأرض، صنعَهما فأتْقَنَهما.

و ﴿ ٱلْجَمَلُ ﴾[4] (الأعراف/ 40): حبلُ السفينة. ما كانَ من نبات الأرض، لا من جِلْد ذوات الحافر.

---

(1) (الواقعة/ 17) وبهذا فسّره الفرّاء، قال: محلّون مُسْوَرون، ويقال: مُقَرّطون ويقال: مخلدون دائم شبابهم لا يتغيرون عن تلك السّن... وذلك أنّ العرب إذا كبر الرّجل وثبت سواد شعره قيل: انّه لمخلّد.

(2) من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ ﴾ (النحل/ 14).

(3) (يس/ 83).

(4) من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف/ 40)، وبقراءة (الجُمَّل) بتشديد الميم قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي، وذكر البيضاوي أنّ (الجَمَل) هو الحبل الغليظ وقيل السفينة، وبهذا قال الزمخشري، إذ لم يرض بمن شَبّه بالجَمَل تنزيهاً لله تعالى، ولعدم المناسبة بين الخيط والبعير، وذهب إلى أنّ (الجَمَل) بمعنى (الحَبل) أليق به وأنسب لانّ الله أحسن تشبيهاً من أن يُشبّه بالجمل، يعني إنّ الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه.

انظر: المحتسب 1/ 310، والظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري/ 120.

وعندَ أهْلِ المُسنَد: (النُّشور)[1] معناه: الخِلْقةُ الأولى تُنشَرُ وتُرَدُّ إلى الأجساد. و(القالين): الماقتين، وفي القرآن ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ (الشعراء/ 168)[2]. و (الضّريع)[3] عندهم، و(الزّقّوم)[4]: كلُّ شجرٍ شاكٍ له ثمر. و(سِينا) جِماعُ الشّجر.

وقولهم: (يس)[5] يعنون: إنسان. وكذا قولُهم: ؟﴿إِلْيَاسَ﴾ (الانعام/ 85) تكلَّمتْ بهما العبرية والرّسّ.

فأمّا (السائحُ) (التوبة/ 112)، فهو: الصائم. وقد روى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار[6] عن عُبيد بن عُميد[7]، قال: سُئِلَ رسولُ الله (ﷺ)، عن

---

(1) في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ الفرقان/ 3 .

(2) (الشعراء/ 168)

(3) الغاشية/ 6. وفي اللغات 52: يعني الشبرق بلغة قريش، وهو شوك يكون في البادية. وفي الإتقان 2/ 45: شجر ذو شوك.

(4) جاء في الصحاح، الزَّقُّومُ: اسمُ طعامٍ لهم، فيه عَسَرَ وزبدٌ، الزَّقْمُ: أكلُهُ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ (الدخان/ 44) قال أبو جهل: التمر بالزبد نَتَزَقَّمُهُ. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ (الصافات/ 65).

انظر: الصحاح/ زقم.

(5) أول سورة يس.

(6) أبو محمد المكي، الحافظ الفقيه، التابعي، روى القراءة عن ابن عباس، وروى عنه يحيى بن صبيح مات سنة 126 هـ، غاية النهاية (العلمية) 1/ 530، المعارف 468، وتذكرة الحفاظ 1/ 113.

(7) ابن قتادة أبو عاصم الليثي المكي القاصّ، روى القراءة عن عمر بن الخطّاب وأُبيّ بن كعب وروى عنه مجاهد، كان قاضي مكّة ومعدود من حفّاظها وقرّائها، ولد في زمن =

السائحينَ، فقال: (هم: الصائمون) كأنّهم والله أعلم تباعَدوا عن الاشْتغال بغيرِ الصيام، لأنّ الصائمَ يحتاجُ، مع الامتناع من الأغذية، أنْ يتَحرّزَ من لِسانِه ونظَرِه ويدِهِ وقلْبِهِ، فهو أصعبُ الأعمال، لأنَّ الصائمَ مُنْقطِعٌ إلى ربّه اعتزالاً عن الخِلْطة كما رويَ[1] في قول مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ (مريم/ 26) أي: صمتاً ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم/ 26) - ومثلُه عن عليّ نضَّرَ الله وجهه.

وفي حديثِ أبي الطفيل[2]، قال: قال عليّ، كرّم الله وجهه: ليسَ من آية إلاّ قد عرفتُ بليلٍ أُنزِلَتْ أم بنهارٍ، أمْ في سهلٍ أم في جَبلٍ[3].

=

النبي (ﷺ) ومات سنة74 هـ. غاية النهاية (العلمية) 1/ 443، وطبقات الحفاظ 15، ومشاهير علماء الأمصار/ 82.

(1) عن ابن عباس رضي الله عنه... وقال أبو عبيدة: كُل ممسكٍ عن طعامٍ أو كلامٍ أو سيرٍ فهو صائم. قال النابغة الذبياني:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرَ صائمةٍ ... تحتَ العجاج وأخرى تَعْلُكُ اللُّجُمَا

انظر: الصحاح/ صوم، ومجاز القرآن 2/ 6.

(2) عامر بن واثلة بن عبد الله الكناني، وَلد عام (آحد) أدرك النبي (ﷺ)، وهو شاعر من شعراء الصحابة، فاضل عاقل حاضر الجواب فصيح، كان يُقدّم علياً على غيره من الصحابة، وكان ثقة، مامونا يعترف بفضل الشيخين، من أبياته:

أيدعونَني شيخاً وقد عِشتُ حِقْبَةً ... وهُنَّ من الأزواج نحوي نوازعُ

وما شابَ راسي من سنينَ تتابعتْ ... عليَّ ولكنْ شيَّبتني الوقائعُ

مات سنة (100 هـ) معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 225، خزانة الأدب 4/ 40 وانظر: فهرس التعليقات والنوادر.

(3) انظر: الصاحبي/ 44 (دار الكتب العلمية).

(37/ و) وذكرِ الشِّعر وصونِ لسان الصائمِ عن إنشاده، إلاّ مالا غنى عن إنشاده ورويَ (أنّ اللهَ تجاوَز لأمّتي عمّا حدّثتْ به أنفُسَها، ما لم تَعْملْ به)[1].

ورويَ من وجوه كثيرة أنّ رسول الله، (ﷺ)، قال:

(إنّ من الشعر حكمةً)[2]. وأنّ عمرو بن الشريد[3] روى عن أبيه أنّه قال: استنشَدَني النبيُّ، (ﷺ)، فأنشدتُه من شعر أميّة بن أبي الصلت، فكلّما أنشدتُه قافيةً قال: (هيهْ) حتى أنشدتُه مائة، فقالَ (ﷺ): (إنْ كادَ ليُسلِمَ)[4] و(السائح) عندهم: الصائم. كما قال كعب[5]:

فلا الحامدينَ ولا السائحينَ ولا القانتينَ لربّ البشرْ[6] و(سجّيل)[7] أسفلُ كل شيء.

---

(1) صحيح البخاري 20/ 255، وصحيح مسلم 2/ 147 مع اختلاف في اللفظ.

(2) صحيح البخاري 22/ 181، وابن ماجة 2/ 1235، وانظر كتاب الأمثال في الحديث النبوي/ 41.

(3) ابن مؤيد الثقفي، الحجازي، من التابعين، روى عن أبيه وعن ابن عباس، وروى عنه الزهري (التاريخ الكبير 6/ 343، والتهذيب 2/ 28).

(4) صحيح البخاري 22/ 182، وابن ماجة 2/ 1236.

(5) لعله يريد كعب بن مالك، أو ككعب بن زهير.

(6) البيت من البحر المتقارب، ولم يرد في ديوان الكعبين، ولكنّ قصيدةً على نفس البحر والرّوي وردت في ديوان النّمر بن تولب/ 55 ومنها:

سلامُ الالهِ ورَيْحانُهُ ورَحْمتُه وسَماءٌ دِرَرْ

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويوم نُسرّ

انظر: مجاز القرآن 2/ 243، والصناعتين/ 183.

(7) من قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (هود/ 82)..

=

و(المشحون)[1]: الممتلىء. فأما ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف/ 23) فقيل: بالنبطية[2]:

=

قال أبو عبيدة في مجاز القران 10/ 296: هو الشديد من الحجارة الصُّلب ومن الضّرب، واستشهد بقول تميم بن أبي بن مُقْبِل:

وَرَجْلَةً يضربونَ الناسَ عن عُرُضٍ ضرباً تواصى به الأبطالُ سجّيلا

وجاء البيت في جمهرة أشعار العرب (2/ 866) ضمن قصيدة نونية للشاعر والقافية (سِجّينا) ونقل محقّق المجازاةّ: سجين وسجيل واحد، واللام والنون أختان.

(1) وبذا فسره أبو عبيدة قال: أي المملوء، ومنه قولهم شحنها عليهم خيلاً ورجالاً أي ملأها، والفلك يقع لفظه على الواحد والجميع من السفن سواء. (مجاز القرآن 2/ 88).

(2) قال العلاّمة السّيد محمد صدّيق حسن خان القِنَّوْجي الهندي: قال الجمهورُ: ليس في كتاب اللهِ سبحانه شيءٌ بغير لغةِ العرب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف/ 3). وقوله تعالى: (الشعراء/ 195).﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

وادّعى ناسٌ أنَّ في القرآن ما ليس من لغةِ العرب، حتّى ذكروا لغةَ الرُّم والقِبْط والنَّبَط.

قال أبو عبيدة: ومَن زعم ذلك فقد أكبر القولَ، بل قد يُوافِق اللّفْظُ اللّفْظَ ويُقارِبه، ومعناه واحدٌ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسيّة أو غيرها...

قال الرّازيُّ وأتباعه: ما وقع في القرآن من نحو: المِشكاة والقِسْطَاس، والاسْتَبرَق والسِّجِّيل، لا نُسَلِّم أنّها غيرُ عربيةٍ، بل غايتُهُ أنّ وَضْع العربِ فيها وافقَ لغةً أخرى كالصّابون، والتّنور ؛ فأنَّ اللُّغات فيها متّفِقة.

والفَرْق بين هذا النّوع وبيْنَ المُعرّب، أنّ المعرَّب له اسمٌ في لغة المعرب والأعجمي الذي استعملوه بخلاف هذا.

قال الجوهري في الصحاح 1/ 179 (عرب): تعريبُ الاسم الأعجميّ: أن تتفوَّه به العربُ على مِنهاجها، تقول: عرَّبَتْهُ العَربُ وأعربَتْهُ أيضاً.

وقال أبو عبيدة القاسم بن سَلاّم: أما لغات العَجَم في القرآن فأنّ النّاسَ اختلفوا فيها، فَروِي أنهُم قالوا في أحرفٍ كثيرة: أنهّا بلغات العَجَم، منها قوله: طه (طه/ 1) واليمّ =

=

(الكهف/ 108) و(المؤمنون/ 11). يقال إنهّا بالرُّوميّة، ومِشكاةُ (النور/ 35)، وكِفْلَيْن (الحديد/ 28) يقال: انها بالحبشية.
وهَيْتَ لك، يقال: انها بالحورانيّة.
فهذا قول أهل العلم من الفقهاء. وزعم أهلُ العربيةَ أنَّ القُرآن ليس فيه من كلام العَجَم شيءٌ لقوله تعالى: قُرْآناً عَرَبِيّاً وقوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء/ 95).
وقد نقل القِنَّوْجي كلام أبي عُبيد قال: قال أبو عُبَيد:
والصّواب عندي مذهبٌ فيه تصديقُ القولين جميعاً ؛ وَذلك أنَّ هذه الحروفَ أصولَها عجميَّةٌ، كما قال الفقهاء ؛ إلا أنهّا سقطت إلى العرب، فأعْرَبْتها بألسنتِها وحوَّلتها عن ألفاظ العَجَم إلى ألفاظها، فصارت عربيّةً، ثم نزل القرآنُ وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب.
فمن قال: إنّها عربيّةٌ فهو صادق، ومَن قال عجميّةٌ فهو صادق (البلغة في أصول اللغة 173 -177). وانظر: ألصاحبي (العلمية) 32-33. وقد رفض بعض العلماء المعاصرين هذا الكلام، وعدّ ردّ الألفاظ العربية الى العبريّة والحبشية تسامحاً كبيراً في اللغة قال:
(إنّ ردّ ألفاظٍ في العربية إلى العبريّة والحبشية كلفظة "تابوت" مثلا يدل على تسامحٍ كبير في دراسة اللغة، ففيمَ راحوا يردّون الألفاظ العربيّة إلى تلك اللغات دون أن يردّوا تلك اللغات إلى العربية؟. فهل يرى القوم إنّ العربية متأخرة، وانّ تلك اللغات متقدّمة عليها؟. وما الدليل على ذلك؟.
وهل كانت العربُ لا تشهد لأبناءٍ من أبنائها حالة موتٍ وتشييع ودفن حتى اضطُرَّتْ بعد دهرٍ بعيد إلى أن تتعلّم دفنَ الموتى من الأحباش وتعلّمت منهم تشييعهم إلى قبورهم فَلَزِمَها ذلك نقلَ كلمة التّابوت عن لغتهم؟. الكلام للعلاّمةَ الشيخ جلال الحنفي البغدادي في بحثه القيّم: كلام على الإملاء العربي/ 23.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هلّم لك. فكان أحمَدُ[1]. صاحب اللؤلؤي[2] عالماً بالعربية، فأتى أبا عمرو بن العلاء يسأله عن(هَيْت لك): أليس هي من (تهيّاتُ لك)[3]؟

---

(1) أبو جعفر أحمد بن موسى بن أبي مريم الخزاعي المقرئ اللؤلؤي، روى القراءة عن عاصم الجحدري البصري، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، روى عنه خليفة بن خيّاط وغيره، أحد قُرّاء البصرة، صدوق. (معرفة القرّاء الكبار 1/ 341)، والتاريخ الكبير 2/ 1، وغاية النهاية 1/ 143، ومجاز القران 1/ 305.

(2) أبان بن عُثمان بن يحيى اللؤلؤي الأحمر، أخذ عنه أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، ومحمد بن سلاّم الجمحي. وله عدّة تصانيف، (البلغة في تاريخ أئمة اللغة/ 2)، (وبغية الوعاة 1/ 405).

(3) لقد تحصّل في هذه الحروف عدّة قراءات منها:

- (هِيتَ لك) بكسر الهاء وفتح التاء من غير همز، وبها قرأ أهلُ المدينة وابنُ ذاكوان.
- (هَيْتِ لك) ابن إسحاق.
- (ها أنا لك) قرأها عليٌّ رضي الله عنه.
- (هُيِّئتُ لك) قرأها عليّ رضي الله عنه كذلك.
- (هِئتُ لك) ابن عباس وابن عامر.
- (هِئتَ لك) الحلوانيّ عن هشام.
- (هَيْتُ لك) ابن كثير.
- (هَيْتَ لك) قرأ بها العراقيون.

التبصرة في قراءات الأئمة العشرة/ 314، والمحتسب 2/ 7، والكنز في القراءات العشر/ 513، ومختصر شواذ القراءات/ 63 وفيه: وقال الحسن معنى: هيت لك تابَحْ بالعبرانية تعالَ.

قال: تيشى[1]، قال أبو محمد التوزي[2]:

يُقال للرجل إذا حَمُقَ: تيشى[3]، منقوطة. وذكر زُبير[4]

أنّ ابنَ صفوان[5] قال لابن عباس في خِطابهِ: تيسى، غير منقوطة، فقال له: تَعستَ، هل تعرف (تيسى) ممالةً؟ قال: لا والله ما عرفتُها، وما أردتَ بهذا يا ابن عباس؟ (37/ ظ) قال: فأنّ (التيسى): الحصاة أو العود أو العظم أو النواة يلعب بها

---

(1) حصل في هذه الكلمة تصحيف، فقد جاء في مجاز القران (1/ 306): فقال أبو عمرو: نبسِ أي باطل، والتي وردت في المجاز مصحفة، والصواب ما جاء في لسان العرب (تِس) تيس: كلمة تُقال عند إرادة إبطال الشيء وتكذيبه.

(2) عبد الله بن محمّد من أكابر علماء اللغة، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وقرأ على أبي عمر الجرمي كتاب سيبويه، قال عنه المبّرد: ما رأيتُ أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي، تزوج بامّ أبي ذكوان النحوي. كان أكثرهم رواية عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى. مات سنة 238 هـ. (نزهة الألباء/ 135)، (أخبار النحويين البصريين/ 85)، (وانباه الرواة 2/ 126).

(3) هذا كلام أبي زيد في اللسان قال: يقال: أحمق وتيس للرجل إذا تكلم بحمق.

(4) الزُبير بن بكّار، بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير بن العوا، كان ثقةً ثبتاً عالماً بالأنساب، عارفاً بأخبار المتقدّمين، صحح سفيان بن عُيينه والنضر بن شميل، وروى عنه أحمد بن يحيى ثعلب، (مات سنة 256 هـ). انظر: (تاريخ بغداد 8/ 467)، (تذكرة الحفاظ 2/ 528)، (وعجم الأدباء 4/ 218)، وخزانة الأدب 4/ 404، وطبقات الحفاظ (سيوطي) 234.

(5) لعله عبد الله بن صفوان بن أميّة بن خلف، رئيس مكة، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحفصة، وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار، (العقد الثمين 5/ 178).

الإنسان فيضرب نفسَه بها. قال زُبير: ثُمّ أنشدَني الحسنُ بن عمارة[1]

سمّيتهـــا تِيـــسى غـــداةَ لقيتُهـــا فلا يلْعَبنْ تيسى من الناس ذو عَقْلِ[2]

كلّه: بالسين، غير منقوطة.

والذي قاله التوزي: بالشين، وهو بالسين أشْبَهَ (تيسى) مـن التَـيْس، مثـل كيسى من الكْيس[3]، وكيلى من الكيْل، إنْ كان يُرادُ ذلك. فأمّا ماتقولُـه العامّـة فـ(بالهاء)في أوّله، ويُنشدون:

---

(1) المكرم في [illegible] اللغة، وانظر: (المحيط في التجويد) 1/ 27، وميزان الاعتدال 1/ 531

* إحدى لياليك فهيسي هيسي *[1]

- ثم قال أبو عمرو للؤلؤي: قُمْ، فاعترض العرب الآن مابينَ الخندق إلى اليمن فأنْ وجدتَ عربياً يعرفُها، فقد صَدقْتَ بانّها من(تهيّأتُ لك) إنّما هي مُعرّبة (هَيْتَ لك)، مفتوحة الهاء، ومعناها: هلمّ لك، ألا ترى قول كعب بن مالك[2]:

بـه أحمي المُضافَ إذا دعاني إذا ماقيلَ للأبطالِ هَيْتا[3]

---

(1) هذا صدر بيت من الرجز، عجزه: لا تنعمي الليلة بالتّعريسِ، وهو للأسود بن يَعْفُرَ النهشلي الدارمي التميمي، أبو الجرّاح شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان بن المنذر.

والرجز في الأخبار الطوال/ 15، والجمهرة 3/ 55، وفي تهذيب الألفاظ 683 منسوب إلى أبّاق الدُّبيري، وبلا نسبة في مجالس ثعلب 1/ 243، ومقاييس اللغة 6/ 24، والصحاح واللسان (هـ/ ي/ س). انظر: الشعر والشعراء/ 140، وكتاب الاختيارين/ 461.

(2) أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله (ﷺ)، أسلمت دَوْس فَرَقاً من بيت قاله كعب:

نُخيّرُها ولو نطقتْ لَقالتْ قَواطِعُهنَّ دَوْساً أو ثقيفاً.

مات كعب سنة 40 وقيل سنة 50 هـ، (معجم الشعراء المخضرمين 396)، وانظر(طبقات فحول الشعراء 220) (وخزانة الأدب 1/ 416-418).

(3) البيت من البحر الوافر، ولم يرد في ديوانه، ومنسوب لأصيحة الأنصاري في سؤلات نافع/ 29، وإيضاح الوقف والابتداء 1/ 86، ولم يد في ديوانه كذلك.

أي: هلمّ. أي: مِن: لجأ إليك. وقول الآخر، وهو يزيد[1]:

إنّ العـــــــراقَ وأهلَـــــــهُ عنَـــقٌ إليـــكَ فهَيْـــتَ هَيْتـــا[2]

أي: هلمّ هلمّ. فأمّا قولُ الطّيفان[3]، فعربيٌ صحيح، قـال، فـيمن يُخفـي عداوتَه:

ومولىً كداءِ البطْنِ لـو كـانَ قـادراً على الموتِ أفنى الموتُ أهلي وماليا[4]

(38/ و) دعاني ولم أدْرَأْ بهِ فأجبْتُـهُ حـــثيثاً إليـــهِ حـــينَ هيّـــتَ داعـــيا

هيَّتَ: معناه: دعا. كما قال طَرَفة:

هيّـــتَ الفتيـــانَ في مجلـــسنا جـــرّدوا منهـــا وراداً والـــشُّقُرْ[5]

---

(1) لعله يزيد بن مفرِّغ الحميري، أبو عثمان، من أصل يمني من قبيلة يحصب من بقايا أولاد الفرس من سكان اليمن الذين اختلطوا بالعرب بالزواج فيهم بعد الغزو الفارسي، وكان يتقن الفارسية والعربية، شاعر اشتهر بالمدح والغزل والهجاء، ولم يهجُ بني أميّة أحد كما هجاهم أبن مُفرِّغ، وكان أشدّ الهجاء وقع على عبيد الله بن زياد – ابن أبيه – وعلى أمّه (مات سنة 69 هـ).

(2) البيت من مجزوء الكامل ولم أجده في ديوانه.

(3) كذا ورد ولعلّه ابن الطَّيفان، خالد بن علقمة، من بني مالك بن زيد بن عبد الله ابن دارم، فارس، شاعر، والطّيْفان أمُّهُ: انظر: المؤتلف والمختلف/ 49، ومجاز القرآن/ 125، وخزانة الأدب 3/ 280.

(4) البيتان من البحر الطويل، والبيت الأول وحده جاء في مجاز القران بلا نسبة 1/ 125، وأضداد أبي الطيب 2/ 662، والصداقة والصديق 216.

(5) البيت من بحر الرمل وهو في ديوانه/ 54، بتحقيق سيف الدين الكاتب، وفيه: (أيهُّا... و(شُقُرْ)

ومَن أنشدَ بيتَ القطامي[1]

أمـــورٌ مـــا تـــدبَّرها حكـــيمٌ بَلى فنهى وهيَّبَ ما اسْتطاعا [2]

بالتاء، فأنّه لا يدري، إنّما هي: وهيّبَ، بالباء - منقوطة من أسفل - أي: نهاهم عن الحرب. وليسَ للدّعاء ها هنا معنى، لأنَّ الناهي لا يكونُ داعياً. واللغة واسعةُ المجال، وكلّ هذا عربيٌ صحيحٌ، أو مُعرَّبٌ فصيحٌ.

ومن كلام الضاحية: (**المِحْراب**) (مريم/ 51): القصر. وهو عندهم: بُطْنانُ المسجد.

و(المَنون) (الطور / 30): الموت. وَتكلّمتْ بـه الخـطُّ والبتَـدُ، ولـذلكَ قـال الشاعر[1]:

---

(1) عمير بن شُيَيْم بن عمرو بن عبّاد التغلبي الملقّب بالقطـامي، مـن نـصارى بـني تغلـب في العراق ثم أسلم، وكان قريباً للأخطل، قيل انه أوّل مَن لُقّب بـ (صريع الغواني) لقوله:

صَـــريعُ غـــوانٍ رَاقَهُـــنَّ ورَقْنَـــهُ لَدُنْ شَبَّ حتّى شاب سُدَ الـذّوائبِ

صاحب المشوبة المشهورة التي كرها أبو زيد القرشي التي مطلعها:

إنـــا محبَـــوكَ، فاسْـــلمْ أيُّهـــا الطَّلَـــلُ وانْ بَليـتَ، وانْ طالَـتْ بِـكَ الطـوَّلُ

ومنها:

قـــد يُـــدرك المتـــأنّي بعـــضَ حَاجتـــهِ وقـدْ يكـونُ مـع المُسْتَعجِلِ الزّلـلُ

وشعره رقيق حواشي الكلام، شاعر إسلامي مقلّ مجيد، عدّه الجمحـي في الطبقـة الثانيـة من شعراء الإسلام، مات سنة 130 هـ. (معجـم الـشعراء المخـضرمين/ 373)، (جمهـرة أشعار العرب 2/ 803)، الشعر والشعراء/ 433.

(2) البيت من البحر الوافر في ديوانه/ 34 ورواية البيت فيه:

أمـــور لـــو تـــدبّرها حلـــيمٌ إذنْ لنهـــى وهيّـــبَ مـــا اســـتطاعا.

* أَمِنَ المنونِ وريبهِ تَتوجَّعُ *[2]

ولم يقل: وريبها، إلا من ذهبَ إلى اللفظ.

و(الطاغوت) (النساء/ 51): الشيطان. وتكلَّمَ بها بنو الكاهن، قُريظة والنضير. و(الجِبْت) [3] السِّحْر، تكلَّمتْ به بنو الكاهن. و(البَعْل)[4]: الزوج. وهو: الربّ، بلسان أهل بَعْلبك[5] والبتدُ إلى اليوم يقولون: زوّجناه بأمراةٍ.

=

(1) أبو دُؤَيب الهذليّ، خويلد بن خالد بن محرّث، شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو أشعر هذيل غير مدافع، عدّه ابن سلاّم في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية، وقرن به نابغة بني جعدة، والشمّاخ ولبيداً، وفد على النبيّ (ﷺ)، وهو في مرض موته، فأدركه وهو مسجّي، وعليه وشهد دفنه. (مات سنة 28 هـ). (جمهرة أشعار العرب 2/ 683)، (معجم الشعراء المخضرمين/ 145) الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية/ 397).

(2) البيت من البحر الكامل، وهذا صدر بيتٍ في شرح أشعار الهذليين 1/ 11 (دار الكتب العلمية) وعجزه:

* والدّهرُ ليس بِمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ *

وروى الأصمعي: "وريبه"، جمهرة أشعار العرب 2/ 683، الشعر والشعراء/ 397، وخزانة الأدب 1/ 295.

(3) (يؤمنون بالجبت) الآية السابقة.

(4) في قوله تعالى (أتدْعون بَعْلاً) الصافات/ 125 .

(5) في الأصل (بعل بك) والصواب ما أثبتناه، وذلك بناءً على القاعدة الإملائية التي تقول: إنّ ما صحَّ الابتداء به والوقفُ عليهِ فَصِلَ، وما لا فَلا. و(بَعْلَبكّ) من الأسماء المركبة تركيباً مزجياً، التي يجب أن تكتب متّصلة، لأنّها من الكلمات التي لا يصحّ الوقوف عليها؛ لأنّها في حقيقة الأمر لا تعطي القارئ أو السامع معنىً معيناً إذا وقف عليها، لذا يجب أن تكون متصلة بغيرها

=

و:زوّجْنا لـه النّعمـة. أي قرنّاهـا بـه. وفي القـرآن: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الدخان/ 54). قيل: معناه: قرنّاهم بهن[1] لا كـالتزويج بخطْبـة وشـهود، لأنّ العرب تقول: (38/ ظ) زوّجناه امرأةً، ولا يُدخلون الباء.

=

ونصّ القلقشندي على أنّ الأصل أن تكتب الكلمات مفصولاً بعضها عن بعض وذلك (لأنّ كلّ كلمةٍ تدلُّ على معنىً غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أنّ المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبِّر عنهما يكون متميزاً، وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزاً بفصله عن غيره). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء 3/ 212 (بتحقيق: محمد حسين شمس الدين) ولكنّ قاعدة الفصل هذه لم تلائم كلّ مفردات اللغة وقواعدها النحوية ؛ لذلك استثنوا من القاعدة السابقة مواضع كتبَ الكلمات فيها متصلةً على خلاف الأصل، ومنها: أن تكون الكلمتان قد ركِّبتا تركيب مزج مثل: (بعلبك)، ليدل على أنّ التركيب الذي يُكْتَبَ فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج، وهو أن يتّحد مدلول اللفظين، بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو: خمسةَ عشَر، صباحَ مساءَ، بينَ بين، وحيصَ بيصَ ؛ فأنّ هذا كلّه يُكتبُ مفصولاً لا تخلط فيه كلمة بأخرى. وقال عنهما البكري في معجم ما استعجم 1/ 239 (بَعْلَبَكّ) بالشام معروف الأغلب عليها التأنيث، وانشد المفضّل في تأنيثها:

لقد أنكرَتْني بَعْلَبَكُّ وأهلها ... ولابنِ جُرَيْجٍ كان في حِمْصَ أنكَرا

وللوقوف على مواضع الوصل و الفصل، انظر: قواعد الكتابة العربية لمجموعة من الباحثين/ 154 ورسم المصحف 445، كتاب الإملاء، لحسين والي 104، المحيط في قواعد الإملاء 88، الإملاء الفريد لنعوم زرازير86، قواعد الإملاء،لعبد السلام هارون 54، ودليل الإملاء لعامر سعيد52.

(1) تأويل مشكل القرآن، وفي تهذيب إصلاح النطق 2/ 190، وفيه ذكر الفّراء أنّها: لغة في أزد شَنُوءة.

و(الحال)[1] عند أهل الضاحية على وجهين: هو مرّة: للاحتيال. ومرة الكره. كما قال الكلبُ بنُ عامر:

ما أصبرَ الحيّ في اللأواء إنْ أزَمتْ في حالةِ الكُرهِ من حالٍ إلى حالِ[2].

أي: تكرهُ النفسُ النُّقْلة من دارٍ إلى دار. أي: من دار الدنيا الى دار الآخرة وقال أبو قيس بن الأسلت[3] في بطلان الاحتيال بغير الدين:

كلُّ دينٍ في حالِ يوم جزاء الْ خَلْقِ إلّا دينُ الحنيفةِ بورُ[4]

وَلّما أُنْشِدَ النبيُّ (ﷺ) قولَ أُمية:

كلّ دينٍ يومَ القيامةِ عند الْـ ـلّهِ، إلا دّينُ الحنيفة، بورُ[5].

قال: (آمنَ شِعْره وكفَر قلبُه)[6] (الفرَح)[7] (يونس/ 22) عندهم[8]:

---

(1) ليست هذه اللفظة من ألفاظ القرآن الكريم .

(2) البيت من البحر البسيط لم أقف عليه ولا على قائله فيما بين يدي من المصادر.

(3) صيفي بن عامر بن جُشعَم بن وائل بن زيد بن قيس، و (أبو قيس) كنيته، واختلف في اسمه، فقيل صيفي، وقيل: الحارث، والمشهور الراجح أنّه صيفي بن الأسلت، والأسلت لقب أبيه.
شاعر جاهليّ مجيد، وسيّد الأوس، أسندت إليه حربها يوم بعاث، وجعلته رئيساً عليها، ألحقه ابن سلاّم بشعراء المدينة، وذكر أنّه أدرك الإسلام ولم يُسلم، صاحب المذهّبة المشهورة في جمهرة أشعار العرب 2/ 665، طبقات فحول الشعراء 189.

(4) البيت من البحر الخفيف ولم يرد في ديوانه.

(5) البيت من البحر الخفيف، لأمية بن أبي الصلت، في شعره/ 339.

(6) مسند الإمام أحمد بن حنبل 6/ 280.

(7) من نحو قوله تعالى: (وفَرِحوا بها).

(8) يعن أهل الضاحية.

يكون فَساداً وسروراً. وعلى ذلك قول السّاجي[1]:

فَـرِحَ النـساء بأيْبـةٍ مـن آيـبٍ مِـن أرضِ عاريـةٍ مـن القُفّـالِ[2]

فهذا غاية السرور، قَفْلةٌ على غفْلة. وقالَ خُليد الكناني[3] في ضدّ ذلك:

[و] لاجَزِعـونَ إنْ صِـرْنا بأيْـبٍ ولا فَرحـونَ بـالخبرِ القليـلِ

أي فرحُهم بالزائل فساد.

وقال أبو بُجيد التميمي[4] في نائبة الضّرّاء:

وكـلُّ قـضاءٍ قـضاهُ المليـكُ وَجَـفَّ بـهِ قَبْـلَ ذاكَ القَلَـمْ[5]

---

(1) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر يحيى الساجي البصري، الإمام الحافظ، نزل بغداد وحدث بها، له كتاب جليل في (علل الحديث)، (ت307 هـ). (تاريخ بغداد 8/ 459) و(اللباب 2/ 90). (وطبقات الحفاظ للسيوطي 310).

(2) البيت من البحر الكامل.

(3) لم أقف عليه، وفي جمهرة ابن حزم 1/ 11: يخلُد بن النضر الكناني، والبيت من البحر الوافر.

(4) نافع بن الأسود، بن قطبة بن مالك التميمي الأسيّدي، شاعر مخضرم من الصحابة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام، شهد فتوح الشام والعراق وله فيها أشعار مشهورة، له قصيدة بعد انصراف (عليّ بن أبي طالب) من صفيّن منها :

وإنّـا أُنـاسٌ مـا تُـصيبُ رِماحُنـا - إذا ما طَعنّا القـومَ - غَـيرَ المقاتِـلِ

معجم الشعراء المخضرمين 489، الأعلام 7/ 352، شعراء إسلاميون 71 وما بعدها.

(5) البيت من البحر المتقارب، ولم يرد في شعره.

وقد روى جماعةٌ من المتأوّلين أنَّ قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ (الحديد/ 28).

أنّ الكفلين: ضعفان من الأجْر، بلسان الحبشة [1]. (39/ و) وكذا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(سبأ/ 10) تأوّلوه[2]: سبّحي معه، بلسان الحبشة.

وعن ابن عباس، أنّه سُهِلَ عن قوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر/ 51) قال[3]: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار، وبالنبطية: أرْيا، وبالحبشية: قسْورة. وما أشبه ذلك من الأخبار.

وليس يَدْفَعُ هذا أنّهُ لم يكُنْ للعربِ المنطقُ بهِ قبلَ نزولِ القرآن بلسانِ العرب، فالفارسية وغيُرها من الألْسنِ المختلفة – ما خلا العربيةَ المُبينة ليستْ بلسانِ قوم محمّد (ﷺ).

فمن زعمَ أنّ فيه غيرَ العربية فقد أعْظم القول، ومَن زعم أنّ (طه) (طه/ 1) بالنبطية، و (سِجِّيل) (هود/ 82) بالفارسية، فقد أبْطلَ، حين قال: (سنكْ وكِلْ) مُعرَّبة، و(إستبرق) (الرحمن/ 55) لقولهم: استبْره[4]. وأشباه هذا كثير.

ولا يُستنكَر أنْ يكونَ من الكلامِ مِمّا يتّفقُ فيه أجناس الأمم المختلفة الألْسن بمعنى واحدٍ ولفظٍ موافق، فكيف بجنسين، كالفارسية الزريّة والعربية

(1) التأويل لأبي موسى الأشعري، انظر: صحيح البخاري 22/ 115، وتفسير الطبري 1/ 13.

(2) التأويل لأبي ميسرة في تفسير الطبري 1/ 13.

(3) انظر تفسير الطبري 1/ 14.

(4) انظر: البلغة في أصول اللغة 174، 175، 176.

الرضيَّة؟ قد تتفَّقُ الألْسُن باللفظ والمعنى، فيوافقُ اللفظ اللفظَ أو يُقاربه ويّتفقان في المعنى، أو يُدانيه، وأحدُهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها.

وقد ذكرْنا من ذلك في كتاب (البصائر) ما كانَ أصلُه من عند العرب فوقَع إلى العجم فنَطقوا به. وما كانَ مُخْرَجُ (39/ ظ) أصلهِ من عند الفرس فوقَع إلى العرب فعربّته فصارت أحقَّ به.وكذلك الحبشُ ليسوا بأولى أنْ يكونَ أصلُ ذلك من عندهم دون العرب، وَمن ادّعى ذلك لهم دون العرب فمُدَّعٍ لأمْرٍ لا يوصِلُ إلى حقيقة صِحَّتِه، إلاّ بخبرٍ يوجِبُ العِلْم ويُزيلُ الشكّ، ويقطعُ العذرَ مجيئُه.

وإنّما يكونُ الإثبات دليلاً على النفي فيما لا يجوزُ اجْتماعُه من المعاني، وقد ذكْرنا ذلك وأحْكمْناهُ في كتاب (إقامة الألفاظ على حدودها) كقول القائل:

فلانٌ صامتٌ. ففيه دليلٌ على أنهَّ غير مُتكلّم، وغير ذلكِ مِمّا يمتنعُ اجتماعُهما لتنافيهما. وأمّا ما جاز اجْتماعهُ فهو خارجٌ من هذا المعنى. كقولك: فلانٌ قائمٌ مكلّمٌ فلاناً. فليسَ في تثبيتِ القيام له ما دَلَّ على نفيِ كلامٍ آخر، لجواز اجْتماع ذلك في حالٍ واحدةٍ من شخْصٍ واحدٍ. فقائلُ ذلك صادقٌ إذا كانَ صاحبُه على ما وصفَه به.

فكذلك ما نُسِبَ من اللغات إلى إحدى الأمّتين إذا اسْتعْمَلتْه وكان موجوداً قياسُه، كان غَير مُبْطَلٍ أساسُه. لانّ النّطْقَ إنّما هو منسوبٌ إلى مَنْ كان به معروفاً. لا يَسْتحقُّ جنسٌ منها أنْ يكونَ أولى بذلك من سائرِ الأجناس مادامَ من أهله. (40/ و) كما أنَّ أرْضاً بين سهلٍ وجَبلٍ، فلها هواء السهل وهواء الجبل، أو بين بَرٍّ وبحرٍ، فلها هواء البرِّ وهواء البحر لمْ يَمتَنِعْ ذو عقلٍ صحيحٍ ولسانٍ فصيحٍ أنْ يصفَها بأنّها: سُهيلةٌ جبليةٌ أو بأنّها: بّريّةٌ بحريّة كقوله تعالى:

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور/ 35) لأنّها لم تنفردْ بأحدِهما، إذْ لم يكنْ نسبَها إلى إحدى صفتين، إنما أخَذَتْ من كلا الجنبتين[1] بحظٍّ، وليسَ النسبةُ إلى إحدى صفتيها تَنفي حقَّها من النسبةِ الأخرى. فلو أفردَ لها مُفرِدٌ إحدى صفتيها ولم يسْلُبها صفتَها الأخرى كانَ صادقاً مُحقاً، وكذلك القولُ في الأحرف التي ذكرْناها. وهذا معنى قولِ مَنْ قال في القرآن مِنْ كُلِّ لسان. أي فيه من كُلّ لسانٍ اتّفَقَ فيه لفظُ العرب ولفظُ غيرها من الأمم التي تَنْطِقُ به.

ولا يجوز لذي فطرةٍ صحيحةٍ قرأ القرآنَ وعرفَ حدودَه في الفصاحة والبيان، أنْ يعتقدَ أنَّ بعضَ القرآن فارسيٌّ لا عربيٌّ، وبعضَه نَبطيٌّ وبَعضَه حبَشيٌّ لا عرَبيّ، بعدَما أخْبرَ اللهُ به أنّه جَعلَه عربياً غيرَ ذي عِوَجٍ.

وأنْ يعتقدَ أنّ (الصور) (الأنعام/ 73)[2]: القِرْن. بلغة اليمن دون غيرهم. وأنَّ (الضّبْحَ): الإبِل، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ (العاديات / 1). قال ابن عباس: هي الأبل، وكذا عن عليّ "كرم الله وجهه" قال: هي الإبِل، ولم يكنْ (40/ ظ) معَنا يومئذٍ إلاّ فرسُ المُقداد بن الأسود[3] لأنّ الشاعر قال في ذلك:

نحنُ نطحْناكم غداةَ الغورينْ بالضّابحاتِ في غُبار النقْعين[4]

---

(1) الجنبه: الناحية . يعني: الصفتين أو النسبتين .

(2) كذا تفسيره في الجمهرة 2/ 360، الإتقان 2/ 103.

(3) صحابي فارس، كان في حجر الأسود بن عبد يغوث الزُّهري فنُسِبَ إليه، توفي 30هـ (التأريخ الكبير 8/ 54 والمعارف 262 والصفوة 1/ 167).

(4) البيت من بحر الرجز، وهو غير معزو في إعراب القرآن للنحاس 3/ 399، وآمالي القالي 1/ 36، والسمط 1/ 151، وزاد المسير 3/ 68، واللسان (صور) والبحر المحيط 4/ 144، وللبيتين ثالثٌ وهو قوله:

نطحاً شديداً لا كنطحِ الصّورينْ.

وما ضبحَ قطّ إلاّ فرَسٌ أو كلب. ولم يكن عليّ "كرم الله وجهه" وابن عباس، يجهلان ذلك. واللهُ يَقسِمُ بما شاء من خَلْقه بغير اختصاص لشيء لا يجاوزه الى غيره.

وكذا قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (الشمس/ 10) أنّه: أغواها. لأنّ جاهلياً قال في حرب طيء:

وأنتَ الذي دسّيتَ عمْراً فأصبَحتْ حلائلُه منه أراملَ ضُيَّعاً[1]

أي: أغويتَ – وغوى الرجلُ، ولا يُقال: أغوى نفسَه – وإنما الآية، واللهُ أعلمُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس/ 9) أي: رفعَها وأنماها، قد خابَ من دسّسَها وأخفاها.

وأنّ قوله: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً﴾ (الشعراء/ 128) أنّه: المكانُ المستوي، لأنّ شاعراً[2] قال، وأنشدّهُ أبو عمرو:

سقى دارَ سُعدى حيثُ حلّت بها فأفْعَمَ منها كلَّ ريعٍ وفدْفَدِ[3]

وإنّما الريعُ: الارتفاع[4]. وكذا معنى البيت. والله أعلم.

---

(1) البيت من البحر الطويل، جاء في لسان العرب (دسا): أنشده ابن الإعرابي لرجل من طيء والبيت غير منسوب في الزاهر 1/ 530، ومقاييس اللغة 2/ 77، الحلل في إصلاح الخلل 390.

(2) النابغة الذبياني.

(3) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 212. وفيه: كلّ ريعٍ.

(4) انظر مجاز القرآن 2/ 88.

وأنّ ﴿شُوَاظٌ﴾ (الرحمن/ 35) النارُ الخضراء ذاتُ اللسان الأحمر. لأنّ أميّةَ بنَ خلف[1] قال لحسان بن ثابت:

همزتُكَ فاختضَعْتَ لذلٍّ نفس بقافيةٍ تأجّجُ كالشّواظِ[2]

فقوله: تأجّجُ، يدلّ على النار الحامية.

(41/ و) وأنّ (هيْتَ لك) أي هلُمّ لك. حكاية لسان نبطية حوران. وأنّ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء/ 98): الحَطب، بلسان الزنج[3] و(الغسّاق): المُنتِن: بلسان الترك[4].

بل كلّ هذه عربية في لفظها ومعناها، وأنْ وافقتْها ألفاظ بعضِ الألسن. وهذه الأشعار عربية، فمُحال أنْ يأخذوا معانيها عن العجم.

ويُقال، لِمَنْ أبى ما قلناه وزعَم أنه كلامُ أجناسٍ من الأمم وقعَ الى العرب فعرَّبته: ما برهانُك على صحّةِ ذلك؟ أحاجةٌ إلى ذلك اضطرّتهم؟ وما الفرقُ بينك وبينَ من عارضَك؟ فقال: بل أصلُها عربيّ، غير أنّها حروفٌ وقعَتْ إلى

---

(1) الجمحي، كان يعرف بالغطريف، قُتل ببدر، انظر: الاشتقاق 1/ 129، وجمهرة ابن حزم 1/ 159.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو ليس لأميّة، وإنّما هو لحسّان في ديوانه 148/ العلمية، وهو من قصيدة رد بها على أمية الذي كان قد هجا حسان بأبيات على نفس البحر والروّى والبيت في الديوان:

مُجلّلةٌ تُعمّمُهُ شنارٌ مُضرَّمةٌ تأجّجُ كالشواظِ

سوفي الزاهر 2/ 140، والروض الأنف 3/ 287.

(3) المتوكلي 29 والإتقان 2/ 111 . وفي اللغات 35: بلغة فريش.

(4) المعرب 283 والإتقان 2/ 115. وينظر ما تقدم في 75.

أجناسِ الأمم فنطقَتْ كلُّ أمّة منها ببعضِ ذلك، فلنْ يقولَ في شيءٍ من ذلك قولاً إلاّ ألزمَ في الآخر مثلَه.

وأمّا قول[1] ابن عباس: ليس في القرآن حرفٌ يخْرجُ عن لغة قريش غيرُ ثلاثة أحرفٍ فلعلّه عنى لغة قريش خاصّة، أنّهنّ لم يتقدّ مْنَ في لغتهم وهُنّ قوله: (فَسَيُنْغِضُونَ)[2] (الإسراء/ 51)، النغض: تحريكُ الرأس وليس من لغتهم. و(المقيت)[3] المقتدر. كما ذهبَ إليه الزبير بن عبد المطلب[4] فقال:

وذي ضِغْن كففْتُ النفسَ عنه وكنتُ على مَساءته مُقيتا[5]

فهذا قرشيٌّ قديم. وقوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال/ 57)[6]. كما قال حُذيفة بن غانم العدوي[7] يعني ابنه:

---

(1) القول منسوب إلى بكر الواسطي في الإتقان 2/ 104.

(2) من قوله تعالى (فسينغضونَ إليك رؤوسهم) وفي اللغات/ 32 بلغة حمير.

(3) من قوله تعالى (وكانَ اللهُ على كلّ شيءٍ مُقيتا) وفي اللغات 22 والإتقان 2/ 97 أنه بلغة مذحج.

(4) ابن هاشم بن عبد مناف، شاعر من شعراء قريش وفُرسانها قبيل الإسلام، شارك في حرب الفجار، عدّه ابن سلاّم من شعراء مكة، هو اكبر أعمام النبي (ﷺ). معجم الشعراء المخضرمين 166، وانظر: الروض والأنف 1/ 78، سمط اللآلي 743، وطبقات فحول الشعراء 233-237، العمدة 1/ 50، خزانة الأدب 8/ 95، والأعلام 3/ 42.

(5) البيت للزبير في سؤالات نافع 27 و اللسان (قوت) ونسبه الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح النطق 2/ 95 إلى ثعلبة بن محيصة الأنصاري، وآمالي ابن الشجري 1/ 91، والبيت بلا عزو في إصلاح المنطق 307، ومقاييس اللغة 5/ 38، والمخصص2/ 91.

(6) في اللغات 27: يعني: نكّل بهم بلغة جرهم.

(7) وفي الاشتقاق/ 140 حُذافة بن غانم بن عامر الشاعر، وانظر: معجم الشعراء 302.

(41/ ظ) أطوّفُ في الاباطحِ كلَّ يومٍ مخافةَ أنْ يُشرَّدَ بي حكيمُ [1]

وقوله: ﴿عِضِينَ﴾(عِضِينَ) (الحجر/ 91) بلغة ثقيف خاصّة. وهم فُصحاء لمجاورتهم قريشاً. ومُخالطتهم (آل الله)[2] - كما قال أعرابيّ فصيح لأهل مكة: أنتم آلُ الله. قيلَ له: ما تعني بذلك؟ قال: كلُّ حنيفٍ هو من آلِ الله. بميلهِ إلى الله، عز وجل. والمسلمون جميعاً ألُ رسول الله، (ﷺ)، لأنهم أهلُ دينه. وإنما يجوز ذلك في الرئيس الأكبر الذي الباقون تَبعٌ له، فإذا جاوزتَ هذا فأنّ (آلَ) الرجل أهلُ بيتهِ خاصّة. قيل: أفتقول لقبيلتِه: آلُ فلان؟ قال لا تقولُه إلا لأهل بيته خاصّة - فثقيف فُصحاء، أفقريش أخذَتْ عنهم اللغةَ أم هم أخذوا عن قريش؟.

و﴿قَوْسَيْنِ﴾(النجم/ 9)[3] بلغتهم: الذّراع. و(التخوّف) (النحل/ 47)[4] عندهم: التنقّص، وليستا من لغة قريش. وأنشدَ حمّادُ الرّاوية[5] لابن مُزاحم الثُمالي - وذلك أنَّ ابن عباس قال: ليسَ أحدٌ من العرب

---

(1) البيت غير منسوب في العين 6/ 242، والزاهر 1/ 521، ومتخيّر الألفاظ/ 69.

(2) قال ابن فارس في ألصاحبي 31: ولم تزل العرب تعرف قريشاً وفضلها عليهم وتُسميّهم أهل الله.

(3) من قوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى)، قال ابن مسعود: دنا جبريل عله السلام منه حتى كان قَدْر ذراع...

(4) من قوله تعالى (على تخوّفٍ).

(5) حّماد بن مَيسرة بن المبارك المعروف بالرّاوية، أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارِها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوكُ بني أمية تُقدِّمُهُ، كان يحفظ مائة قصيدة كبيرة على كل حرفٍ من حروف المعجم سوى المقطّعات من شعر الجاهلية وكان بحق من أعاجيب الدنيا..

خزانة الأدب 9/ 446 -447، وانظر: نُزهة الالباء 39، والمعارف 169، الأغاني 5/ 156.

أشبهَ لغةً بلغةِ قريش مِن أزد شنؤة - قال الثُمالي، من ثُمالة أزد عمان، والمبّرد منهم:

تَخوَّفَ السيرُ منها تامِكاً قَرِداً كما تخوَّفَ عودَ النبْعةِ السَّفَنُ[1]

التّامك: السّنام. تَمكَ: ارتفعَ.

ومن لغتهم، أنَّ (الرزق): الشّكر. كما قرأ عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[2]: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة/ 82).

(42/ و) وأمّا أزد عُمان فيُسمّون (العنبَ) خمراً. قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ ﴾ (يوسف/ 36) قال: عنباً. و(القمطرير) (الإنسان/ 10): ما قبّضَ الوجهَ بلسان حمير.

---

(1) البيت من البحر البسيط، منسوب لابن مزاحم عن حماد في الاغاني 6/ 70 والتاج(سفن) ومنسوب لذي الرّمة في الصحاح، وينسب إلى زهير في أساس البلاغة(خوف) ونسبه البكري في سمط اللألي إلى قُعْنَب بن أمّ صاحب، وليس له قصيدة على هذا الوزن، والبيت في المخصص 13/ 277 غير معزو، وفي تفسير البيضاوي لأبي كبير الهذلي وليس في شعره ذكر ذلك الميمني في هامش سمط اللألي 738.

والقَرِدَ: المتلبّد بعضه فوق بعض، و(السَّفَنُ) المِبْرَدُ، والسَّفَنُ أيضاً: جلدٌ أخشنُ كجلد التماسيح يُجعل على قوائم السيّوف، وسَفَنَ من باب ضَرَبَ. انظر: الصحاح (سفن) وتهذيب إصلاح المنطق 1/ 182.

(2) وابن عباس، ورويت عن النبي (ﷺ). وقال عنها ابن جنّي: هو على حذف المضاف، أي: تفعلون بدل شكركم ومكان شكركم التكذيب. المحتسب 2/ 361 (العلمية) وقراءة الجمهور: رزقكم.

و﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الصافات/ 62-63) قالوا: جعلها الله عز وجل: حريقاً للظالمين. لغة يمانية، كقولهم: فتنتُ الذهبَ و(أيامٍ حُسوماً).

أي: مُتتابعة، بلغة حمير. و(فكهين) مُعجبين، بلغة اليمن.

و﴿ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ (الفجر/ 5): لذي لُبّ. قال رجل من مذحج، جاهلي، لابنه:

وكيفَ أرجّي أنْ تتوبَ وإنّما يُرجّى من الفتيان مَنْ كانَ ذا حِجْرِ [1]

وقد دلَّ هذا على أنَّ العربَ كانت تتكلَّم به قبل أنْ يجيءَ الإسلام، فكُلُّهُ خارجٌ عن لغة قريشٍ داخِلٌ فيها، بما رضيَ الله به من العربية. وجعلَ رسولَه يَنطِقُ بلغاتهم عارفاً بها كما قال لرجل: (سَلْ عنْكَ)[2] فخاطَبه بلغته.

فأنْ قيل:بأيّ ألسنِ العرب أنْزلَ اللهُ القرآن، أبلسانِ بعضها أم بألسنِ جميعها؟ إذْ كانت العرب يجمعها اسمٌ في أنّهم عَربٌ، والنبيّ، (ﷺ)، عربّي، وهم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو المنطق في الخصوص والعموم؟ فالجواب: إنّه لا سبيلَ للعالِم إلى عِلْم ذلك إلاّ ببيانِ مَنْ جُعِلَ إليه بيانُ القرآن،وهو الرسول عليه السلام.

والدليلُ بظاهر الأخبار (42/ ظ) أنّه قال: "أُنزِلَ القرآن على سبعةِ أحرفٍ

(1) البيت من البحر الطويل، وهو مختلف في نسبته، فهو للحارث بن منبه الجني في إيضاح الوقف 1/ 75، و بلا نسبة في تفسير القرطبي 20/ 43 .

(2) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما هو: (سل عما شئت)، وفي سنن ابن ماجه 2/ 1022 يريد إن النبي(ﷺ) خفّفَها .

والمِراء في القرآن كفْرٌ، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردُّوه إلى عالِمه"[1] فيُمكِنُ أنْ يعني اللغات في تصرّفِ وجوهها.

وقال ابنُ مسعود: لو كان شيءٌ من الحرفين ينهى عن شيءٍ، يأمُر به الآخرُ، كان ذلك اختلافاً، ولكنّه جامعٌ لشرائع الإسلام، وأنْ اختلفتْ ألفاظ القراءةِ في معاني التأويل.

فمَن لم يعرف اتساع لغاتِ العرب في القرآن ويَعلمْ ألفاظه المختلفة المباني المؤتلفة في المعاني، ضَلّ عن معرفة الصواب ؛ لأنَّ من القرآن ما يَعلمُ تأويله كلُّ ذي علمٍ باللسان العربيّ الذي نَزلَ به القرآن، وذلك بإقامة إعرابه المُفهِم لغايةِ صوابه، ومعرفةِ المُسمّيات بأسمائها اللازمة لها غير المشترَك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة لها دونَ ما سواها، فأنَّ ذلك مالا يجهله أحدٌ من العلماء باللغةِ طبعاً او إتباعاً واستدلالاً بالأعراب، لأنّه لو سمع تالياً يتلو: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة/ 11) لم يجهل أنّ معنى الإفساد هو ما ينبغي تركُه ممّا هو مضرّة، وأنّ الإصلاح هو ما ينبغي فِعلُه منفعة. وإنْ جهلَ المعاني التي جعلها الله إفساداً والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً. فالذي (43/ و) ينبغي أنْ يعرفَه ويتعلّمه ما وصفنا من أعيان المسمّيات المُعربات، دونَ الواجب من أحكامها وهيأتها التي خصّ الله بعلمها نبيّه، (ﷺ).

(1) صحيح البخاري 12/ 258، وصحيح مسلم في باب أن القرآن نزل على سبعة أحرف 1/ 56، ومجمع الزوائد 7/ 150، وانظر: عمدة القارئين والمقرئين للشيخ أحمد ابن أحمد الشقنانصي القيرواني 259، وبيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للمهدوي 54.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ويؤيّد ذلك قولُ ابن عباس[1]: التفسيرُ على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، ووجهٌ: تفسيرٌ لا يُعذَرُ أحدٌ بجهالتِه، ووجهٌ: تفسيرٌ يعلمُه العلماء، ووجهٌ: تفسيرٌ لا يعلمُه إلاّ اللهُ، أي: المُتشابَه، لا يعلمُه إلا الله. فَمَن ادعّى علمَه مع الله فقد أبْعدَ في التأويل.

ومعنى قوله لا يُعذَرُ أحدٌ بجهالته. إنّما هوّ: أنّه لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يَجْهلَ من تأويل القرآن مالا يُدْرَك علمُه إلا بنصّ بيانٍ عن الرسول (ﷺ)، أو بنصهِ، عليه السلام، الدلالةَ عليه. فغيُر جائزٍ لأحدٍ القولُ خير برأيه. لأنّ إصابتَه ليست إصابةَ موقنٍ أنّهُ مُحِقٌّ، وإنما هي إصابة خارصٍ وظانّ. والقائل في دين الله بالظنِّ قائلٌ على الله مالا يَعْلمُ. وقد قال الله، عزَّ وجل: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ أي: حُجّة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف/ 33).

وكذا قولُ رسول الله، (ﷺ): "من قالَ في القرآن برأيهِ فأصابِ، فقد أخطأ"[2]. أي: في فِعْله برأيه، وأنْ وافقَ قولُه ذلك عينَ الصواب عند الله، فقد أثِمَ بِفِعْلِهِ ما قد نُهيَ عنه وحُظِرَ عليه.

ومَنْ قصر عن تزكيةِ طبعه بمعرفة معاني اللغةِ، وأنْ أختلفتْ ألفاظ الأسماء في لغاتهم، فالأعراب دليلٌ على معاني الألفاظ لاشتمالهِ على بيانِ جميع الكلام المختلف في التسمية.

---

(1) القول في تفسير الطبري 1/ 75.

(2) المعجم الكبير 2/ 163.

فأهلُ مكة [1] يُسمّون (المُسموح) التي يَجعلُ فيها أصحابُ الطعام البُرَّ: (البلاس) و(البَلَسَ)[2] وهو بالفارسية: (بلاس وبلاسها). فأمالوها وأعربوها. فقاربت الفارسيةُ العربية في اللفظ والمعنى. وأهلُ المدينة يُسمّون الأكارع: (بالغاء)[3]. وهي بالفارسية: بايها[4]. فتقاربَ اللفظانِ. وأحُدهما بالفارسية والآخر بالعربيةَ، واستويا في المعنى، وذلك غير مُنكر.

وكذلك (إستبرق) عربيّ، وهو بالفارسية: استبره[5]. ولذلك قَرأ قوم[6]: ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الكهف/ 31) جعَلَه من البريق. و(جوز) [7] بالعربية. وهو بالفارسية: كوز.

والعرب تُنقِصُ الحرف من الاسم وتُزيل الحرف، وتُميل الحرف اتساعاً ليُعرف المعنى بالرسم الذي تريده، والَعجم لا يتَّسعون كما تتسعُ العرب، وكذا فعلوا في اختلاف الأعراب، ولم يَخرجوا عن صحةِ ترتيبٍ وقياسٍ تُدركه الأفهام.

---

(1) انظر: المزهر 1/ 79، والصحاح(بلس)، وأدب الكاتب 384.

(2) بالتحريك: شيء يشبه التين يكثُر باليمن، وأهل المدينة يسمون الِسْحَ بَلاَساً، وهو فارسي معرّب – ومن دعائهم: أرانيكَ اللهُ على البُلُسِ بالضّم، وهي غرائر كبارٌ من مسوحٍ يُحبل فيها التين-(ولعلها التبن) – ويُشهَدُ عليها مَنْ يُنكَلُ به ويُنادى عليه. الصحاح (بلس).

(3) أدب الكاتب/ 386، و ألصاحبي/ 44، والمزهر 1/ 266.

(4) أدب الكاتب/ 386، والمعرّب 99.

(5) انظر: ألصاحبي/ 44، والمعرب 63، و زهر 1/ 266،: استفره.

(6) وهو ابن مُحَيْصِن، قرأ بالنصب ويوصل الألف، وذكر ابن جنّي في المحتسب 2/ 74 إنّ هذه القراءة سهو أدى لسهو، وبها قرأ ابان عن عاصم كما في مختصر الشواذ 79.

(7) ضربٌ من الفاكهة يكثر في شمال العراق، وذكر الجواليقي في المعرّب 147، أنّه فارسي معرّب.

فلم تزل العرب على ذلك في الجاهلية، هو عندها كلام عربيٌّ بمنزلة ما تكلّمتْ(44/ و) به على غير نقصانٍ ولا زيادة ولا إمالة، ثُمّ بعثَ الله محمداً، (ﷺ)، فأنزلَ عليه كتاباً بلسانِ قومه، ولسانُه مشتملٌ على جميع لغاتها.

ألا ترى أنّ العرب تقول للذي يُصلح القسيّ (القمَنْجَر) وهو بالفارسية: (الكمان كرْ) قال ابو زغيبة الأسدي[1] الراجز:

*مثل القسيّ؟ عاجَها القمنْجَرُ[2]

وإنما ذكر إبلاً قد انْحنَتْ أصلابها فشبّهها بالقسيّ.

وزعَم معمر أنه سمع في لغة ربيعة وقيس، بالجزيرة، من يقول: اللوابي وإنما يريد اللوبياء[3]. غير أنّهم إذا سألتهم عن واحدِها، فقلتَ: لوبياء، لم يعرفوه ولم يجترئوا عليه، فإذا قلتّ: اللوابي عرفوه كما تعرفُ سفلى تميم: الابازير[4]، وهم يريدون (الأبزار) فإذا سألتهم عن واحد الأبازير، لم يعرفوه ولم يجترئوا عليه. وهم مع ذلك يقولون: أكثَرْتَ أبازيرَ قِدرْك.

(1) لم أقف عليه، وفي جمهرة ابن حزم 2/ 361: وأبو زغبة الشاعر.

(2) هذا شطر بيت من الرجز، وهو غير منسوب في المعرب 301، والمزهر 1/ 290، والصحاح (قمنجر)، والمخصص 14/ 40، ونُسِبَ في الجمهرة 3/ 324 لأبي الأخزر الحماني. قال ابن قتيبة: "المُقَمْجَر" و"القَمَنْجَر" القَوَاس، وهو بالفارسية ؛ كمَانْكرْ. أدب الكاتب 387.

(3) جاء في الجمهرة 2/ 64: والدُّجْر الذي يُسمى اللوبيا بالفارسية. واللوبياء تقصر وتمّد.

(4) معناها التوابل.

و(الأبزار) بالعربية والفارسية: أبزار[1]، مفتوحة الأوّل. ولهذا اشباهٌ كثيرة واتساعهم في الأعراب كاتساعهم في غيره، وهو عربيّ كله أصلياً ومُعْربا' وأنْ وافق الفارسيةَ في اللفظ المعنى.

ومِما قالت العرب في الجاهلية في كلامهما وأشعارها: (الدّشْت) و(الدّست)[2] تريد (44/ ظ) الصحراء الواسعة، البسيطة الخالية.

وكذلك، قالوا: (الْخِيم) و(السُّوس) و(التّوس)[3] و(السَّخْت)[4] و(الزّور) و(النَّحيزة). قال أبو محمد التوّزي: (الصبيعة) و(السّليقة) و(النحيتة) (الدسيعة) و(الشّمل) و(الشَّمال) والجمع: الشمائل- وكلهُ يراد به: الطبيعة.

---

(1) جاء في كتاب تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي، بتحقيق عز الدين التنوخي – الملحق بكتاب المعرّب/ 24 ما نصه: "... ومن ذلك التابِلَ والأبزار يفرّق عوام الناس بينهما والعرب لا تفرّق بينهما: التابَل والأبزار، والقِزْح والقَزْح، والفِحا والفَحا كلّه بمعنى واحد، يُقال توبَلت القِدْر وفحيّتها وقزّحتها إذا ألقيت فيها الأبزار.
والأبزار – بفتح الهمزة – وليس بجمع، وهو فارسيٌ معرَب.

(2) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب 384: و (الدَسْت) الصحراء، وأنشد للأعشى:

قَدْ عَلِمتْ فارِسٌ وَحِمْيَرُ والـ أعرابُ بالدّسْتِ أيُّكُمْ نَزَلاَ

يريد الصحراء، وهي دَشْت بالفارسية.

(3) ومعناه الطبيعة، يقال: الفصاحةُ من سُوسِهِ، أي من طبعهِ، وفلانٌ من سُوسِ صدقٍ وتُسِ صدقٍ، أي من أصل صِدقٍ. الصحاح (سوس).

(4) قال الجوهري: السّخْتُ: الشديد. قال أبو الحسن الِحْياني: يقال هذا حَرٌّ سَخْتٌ. قال: وهو معروف في كلام العرب. وهم ربّما استعملوا كلام العجم، كما قالوا للمِسْحِ: بَلاَسٌ والسِّخْتِيتُ – بالكسر – الشديد أيضاً. الصحاح/ سخت/ .

اتساعاً في الألفاظ، وتفسحاً في الاسماء، وتنبيهاً على عجائب الطبائع في الخلق واختلافها في طبقات ذوي الأفهام، دونَ الرجال الأبكام.

وجمعُ السليقة: السلائق. والطبيعة: الطبائع [والنحيتة]: النحائت و[الدسيعة]: الدسائع. وأما (السّوس) و(الخيم) و(التّوس) فلا جمْعَ لـة لأنه فارسي عَّربتْه العرب.

وقال الراجز، يعني كساء:

تَخذْتُهُ من نعجاتٍ ستٍّ سودٍ جعادٍ من نعاجِ الدَّشْتِ[1]

تَخْذْته واتَّخذْته: واحد. وهو يريد الصحراء.

ويقولون: فَلاةٌ دَشْت: واسعة. و: دَسْت: شديدة الانبساط. وذو الرمة قال:

• فلاةٌ كظهر الكِفِّ....* [2]

ولم يَجْتَرِئْ أنْ يقول: (دَشْت) ولا (دسْت) كما قال الأوّلون من الجاهلية وذلك لقربِ تَشبهِهِ من طبائع المولّدين، ولمُخاطبتِه إيّاهم بالخِلْطَةِ.

وقال الاعشى[3]:

---

(1) بيت من بحر الرجز لرؤية بن الحجاج في ذيل ديوانه 1/ 23، وبلا عزو في مجاز القرآن 2/ 243، والخصائص 1/ 279، واللسان والصحاح (دشت) والمزهر 1/ 267.

(2) لم أجده في ديوانه.

(3) ميمون بن قيس بن جندل أبو بعير، رابع شعراء الجاهلية المقدّمين وهو أول من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يغنّي في شعره، فكانت العرب تسميه صنّاجة العرب أدرك الأعشى الإسلامَ في آخر عمره، كان يَفِدُ على ملوك الفرس، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره. وقد أنشد قصيدةً في مدح النبي (ﷺ) مطلعها :

=

قـد عَلِمـت حِمْـيرٌ وفـارسُ والْ أعــرابُ بالدّشــتِ أيّكــم نــزَلا [1]

وقال معمر: سمعتُ أفّار بن لقيط[2] وأفّار هو: أبـو خـيرة العـدويّ وقـد كان أدْركَ الجاهلية – يقول: ليسَ لهذا الحبل زورٌ[3].

=

أَلَـمْ تَغْـتَمِضْ عَيْنـاكَ لَيْلَـةَ أرْمَـدا وعـادَكَ مـا عـادَ الـسَّليمَ المُـسهّدا

وهو القائل كذلك:

تقولُ بِنتــي وقـد قَرَّبـتُ مُرْتحــلاً يارِبٌ جَنّبْ أبي الأوصابَ والوجَعَا

عليــكِ مثــلُ الــذي صــلّيتِ نوماً فأنّ لِجـنبِ المرءِ مُضْطَجَعَا

انظـر: جمهـرة أشـعار العـرب 1/ 321، 121، معجـم الـشعراء المخـضرمين 32، والاشتقاق 354، والبيان والتبيين 4/ 83، 84.

(1) البيت من البحر المنسرح وهو في ديوانه 237، وفي أدب الكاتب 384.

(2) من فصحاء العرب المشهورين الذين سمـع مـنهم العلمـاء، وأخـذوا عـنهم، ونقـل ابـن النديم في الفهرست: أنّه كان يجلس على زبالة عالية واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنـه، فقال: ما هذه القنحة ؟ فقال بعضهم انّك لعلى شبحٍ منها.

(3) الزُّورُ: القوّة. وزوّر فلانٌ الكلام تزويراً، إذا قوّاه وشدّده، وبه سمّى شهادة الـزُّور؛ لأنّـه يقويّها ويشدّدها، وزعموا أنّه فارسي معرّب، لأنّ الزور بالفارسية: القوة و "الـزّور" بمعنـى القوة، حكيت بضم الزاي وبفتحها، وفي اللسان (زور) عن أبـي عبيـدة، في قـولهم لـيس لهم زّور – بفتح الزاي – أي ليس لهم قوة ولا رأي، وحبل له زور، أي قوة، قال: وهـذا وفاق بين العربية والفارسية".

وقال محقّق المعرّب العلامة أحمد محمد شاكر: وقد يكـون هـذا وفاقاًكمـا قـال أبـو عبيـدة ولكن المطلع على المادة ومعانيها في لغة العرب يجزم بأنّ الكلمة عربية لأصـلية "المعـرب هامش 8 ص165 – 166.

يريد: (45/ و) ليس له قوّة. والفرس يقولون في ذلك: زورس ناشْت و: نيشْت او زاروا فقد استويا في اللفظ والمعنى. والعربُ أولى وأحرى أنْ يُضاف ذلك إليها لأنّهم يقولون: زوَّرتَ كلامك. أي حسَّنْتَهُ وقوَّيتَه. و: زوّرتَ لي كلاما "حَسناً". وشهادةُ الزور من ذلك، يُزيّنها الشاهد بما ليس فيها.

وأما (الخيم) بالعربية والفارسية. فهي: الطبيعة. قال الشاعر:

ومَنْ يبْتدِعْ خِيماً سوى سوس يَدعْهُ ويُرجعْه إلى النفس خيمُها[1]

والفرس يقولون: مُردى بذْخيم أي: رديُء الطَّباع. و: بذسوس، وبذتوس: اي ردّيء الطباع. و(السَّخت): الشديد. بالفارسية والعربية. وتقول: السِّختيت والسَّخْت، على وزنين والأمرُ واحد. قال:

هل يُنْجيَنّي حَلِفٌ سِخْتيتُ أو فضّةٌ أو ذَهبٌ كبريتُ[2]

أي: يمينٌ شديدة. والفرس يقولون: سَتْ كندى سَخْت. كما قالت العرب: قَسَمٌ شديد. فاتّفاقٌ مثلُ هذا غير ضائر، كما يقعُ في كلام العرب اخْتلاف اللفظين والمعنى واحدٌ. كقولك: جلستُ وقعدتُ، وذارع وساعد، وأنْفٌ ومِرْسَن.

وكذا في اخْتلاف مراتبِ الأعراب، يقولون: (45/ ظ) انْقضّ الجدار،

(1) البيت من البحر الطويل، وفي نسبته اختلاف كبير فلم يثبت لأحد، إذ هو لكثيرٌ عزّه في ديوانه 148، ولحاتم الطائي في ديوانه 305، وللأعور الشنّي في الوساطة 200، لسليمان بن المهاجر في حمامة اليعربي 266، ولخالد بن عبد الله الطائي في الفاضل 40، ولذي الإصبع في محاضرات الأدباء 1/ 276، ولم يرد في ديوانه.

(2) البيت من بحر الرجز، وهو لرؤبة في ديوانه 26 برواية: هل يعصمنّي.

وانهدَمت الدار. فيرفعونَ، وكلٌّ واحدٍ منه في النعنى: مفعولٌ به؛ وذلك لأنَّ هذا الفعل انما ذُكِرَ ليُعلَمَ أنَّه قد وصِلَ إلى هذا المذكور، ولم يُذْكَرْ معه من فَعلَه، فصار كالمالك له. فأرادوا أنْ يكون بينَهما في اللفظ فَصْلٌ حتى يكون لفظُ (خرَّقَ الثوبين) على غير لفظ (يُخَرَّقُ الثوبان) إذْ كان فيه هذا المعنى الذي ذكرْنا أنّه لا يجيءُ معه فاعل فجُعِلَ لفظُ ما لا يجيءُ معه أبداً "مخالفا" للفظ ما يجيء معه الفاعل لانّه قد صار كأنه هو الفاعل بنفسه، وكذالك: طلَعَت الشمس، وجرت السفينة، وهبَّت الريحُ - والله يرسل الرياح - لانّ ها كلّه لم يُذْكر معه فاعله في اللفظ، وأنما أضفتَ إليه فِعلاً لتُخْبِرَ أنّهُ صار فيه. ففُصِلَ بين ذا وبين المذكور فاعله. نحو: أجرى اللهُ السفينةَ، وأطْلعَ اللهُ الشمسَ، وأما قولُكَ: أبكاني زيدٌ وهو ميّتٌ. فأنما المعنى: بكيتُ إذْ ذكرتُ زيداً

فلَّما جِئتَ به في اللفظ الذي يكون الفعلُ فيه واقعاً، بل أجريتَه على ذلك الأعراب.

وفصلوا بالأعراب بين اللفظين في قولهم: أبكى زيدٌ عمراً. و: أبكى زيداً عمرٌو. وكذالك (46/ و): أعجَبتْ زيداً دارُك. لأنَّ هذا قد يكون أنْ تقول: أعجبَ "زيداً" عمرٌو، فيكون الذي أعجب هذا الأخيرُ، وأنْ لم يكن مِنه فِعلٌ البتَّةَ. لكن "هذا المعنى قد يكون من الأوّل إلى الأخرِ. ومن الأخر إلى الأول، فلما جاء أعجبَتْ زيداً" دارُك كان حالُ زيدٍ كحالِه في قولك: أعجبَ زيداً عمورٌ، والدار لا تُعْجِب.

وأما قولك: تأتّى لي فِعلُه. و: تهيَّأ لي صنعُه فَصنعْتُه. فأنَّ ذا لا يُمكِنُ الأخبار عنه إلاّ هكذا. وهذا معنى مفهوم إنَّما هو: قد أمكنَنَي أنْ أفعلَ وأنْ أصنعَ، والمصنوع لم يفعلْه بعْدُ. وأنّما هو كقولك: فرَضَ علي فِعْلَ كذا وليس قولك: فَعَلَ - لشيءٍ حاضرٍ.

وكذا: فُرِضَتْ عليه الصلاةُ. ولم تكن صلاةً ذاتَ جسْمٍ ولا فِعْلٍ، وإنّما المعنى فُرِضَ عليَّ أنْ أفعلَ وأنْ أصلّيَ. فلَمّا كان نحوذا مفهوماً وكانَ له نظائرُ في الكلام، استقامَ.

فمنها قولُك للنسّاج: اعْملْ لي هذا الثوبَ. وإنما معك غَزْلٌ. وتقولُ للصّواغ: إذا عملتَ لي هذا الخاتَم شارطْتكَ على السّوار. وإنما معك ذَهَبٌ أو فضّة.

وإنما وضِعَ الكلامُ ليدُلَّ على المعنى كدلالةِ الأعراب، وأرادوا أنْ يكوَن للمُتأتّي وللمُتهيئ لفظٌ (46/ ظ) من الأعراب غيرُ ما يكون للمؤتَّى والمهيَّأ هذا يكونُ نصْباً لأنّه مفعولٌ به، والأوّلُ مرفوعٌ معروف المعنى.

وأمّا (دحْرجتُ الحُبَّ فتدحرجَ) فهذا جسمٌ موجود انْقادَ لِما أردتُ به وطاوعَ فعلي، ولا اختيار له. وهذا من اتساع معاني اللغة.

وجاء في الحديث: (رأيتُ علياً في السوق يُدحرج حُبّاً)[1] تواضعاً، والله المنانّ على عباده بأيسر فعال. وأجزل منال. وهو الكبير المتعال.

وأمّا ما ذكرتْ الرّواة من العلماء بالتنزيل، وعن أهل التفسير والتأويل، من أنّ حروفَ الفواتح في سور القرآن يدل كلُّ حرفٍ منها [على] أنّه مأخوذ من أسماء الله، عز وجل، وأنّ رسول الله (ﷺ) قال: (تعلّموا أبا جادٍ)[2] وتفسيرُه،

(1) لم أقف على هذا الحديث.

(2) لم أقف عليه.

روُيَ لنا ذلك عن معاوية بن قُرَّة[1]: أنّ رسول الله (ﷺ) قال: (ويلٌ لعالمٍ جَهلَ تفسيرَ أبي جاد)[2] فقِيلَ: يا رسول الله: وما تفسيرُ أبي جاد؟ فقال: (أما الألف فحرفٌ من اسم الله- عز وجل-، وأمّا الباء: فبهاء الله، والجيم: جلال الله (و) الدال: قدير (و) الهاء: الهاوية- نعوذُ بالله ممّا في الهاوية، والواو: فويلٌ لِمَنْ هوى فيها، والزّاي: الزّاوية، نعوذ بالله مما في (47/ و) الزّاوية، وأمّا الحاء: [فحظوظ الخطاي][3] عن المستغفرين بالأسحار، وأمّا الطاء فطوبى لهم وحسنُ مآب، شجرة غرسَها الله تُنبتُ بالحُلَيّ، وأمّا يافَيدُ الله على خلقهِ، وكلمنْ: الكاف: كلام الله لا مُبدّلَ لكلماته، وأمّا لام: فتلاوة أهل الجنة بينهم بالتحيّة وأمّا ميم: فُمْلك الله الذي لا يزول، وأمّا نون: فنون والقلم، يجري بما هو كائن. صعفص: صاع بصاع – الجزاء بالجزاء، قُريشيات: قسَرهم[4] فجمَعّهَم. يحشُرهم[5]، يقضي بينهم بالحق. فهذه رواية قد جاءت، الله اعلم بصحتها.

وسمعتُ بمكة عن العسقلاني،[6] لم يرفعْه، ورفَعه مِسعر بنُ

---

(1) ابن إياس، أدرك سبعين من الصحابه، ثقة، الجرح والتعديل 4/ 4/ 378، والصفوة 3/ 179.

(2) لم أقف عليه.

(3) في الأصل فحظوظ الحظايا، وهذا لا يستقيم ولعل الصواب ما صحّحناه.

(4) يعني: قاف: قسرهم، وشين: يحشرهم

(6) آدم بن أبي إياس عبد الرحمن بن محمد الخراساني المروزي أبو الحسن العسقلاني، أصله من خراسان ونشأ ببغداد، وبها طلب الحديث ورحل إلى الكوفة والبصرة والحجاز ولقي الشيوخ واستوطن عسقلان إلى أن مات بها سنة (220 هـ)، طبقات الحفاظ 172، تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 409، وتهذيب التهذيب 1/ 196، وطبقات ابن سعد 7/ 186، والمعارف 524، واللباب 2/ 339.

كِدَام[1] عن عطيّة العوفي عن أبي سعيد الخدرى[2]، قال: قال رسول الله، (ﷺ): (إنّ عيسى أسلمتْه أمّه إلى الكُتّاب، فقال له المعلّم: اكتب (بسم)، قال: وما (بسم)؟[3]، وعن الربيع بن أنس[4]. قال له المعلّم: اكتبْ ما يقال لكَ، قال لا أكتبُ مالا أعلمُ، (قال): وأن كُنْتَ لا تعلمُ علّمتك. قال علّمني، قال: الألف: من الآء الله، والباء: من بهاء الله، والجيم: من جلال الله، والدّاذل: وأدّوا الأمانات إلى أهلها[5].

قال[6] وحروف أبي جاد سبعٌ وعشرون مكتوبة على (47/ ظ) العرش. ما منها كلمةٌ إلاّ في الآء الله وبهاء الله، وفي مُدّة قومٍ وفي آجال آخرين.

---

(1) ابن ظهير بن عبيدة الهلاليّ العامري، أبو سلمة الكوفي، روى عن قتادة وعطاء وعدي بن ثابت، وعنه أبو حنيفة، وسليمان التيمي، وشعبة والسُّفيانان، قال عنه التوزي: كنّا إذا اختلفنا في شيء سألنا عنه مِسعراً، وقال شعبة: كُنّا نُسمي مِسعراً ؛ المصحف، مات (سنة 153 هـ). طبقات الحفاظ 88، تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 88، وتهذيب التهذيب 10/ 113، والمعارف 481.

(2) سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة، وممن شهد الشجرة، روى أحاديث كثيرة وأفتى مدّة. مات (سنة 74هـ). طبقات الحفاظ 19، تاريخ بغداد 1/ 180، تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 44، وشذرات الذهب 1/ 81.

(3) الحديث أخرجه الطبري 1/ 121 بسندهٔ عن ابن مسعود، وفي إسناده إسماعيل بن يحيى، وضعّفه السيوطي في اللألي 1/ 172، فقال ضعيف، إسماعيل بن عيسى كذّاب.

(4) البصري ابن زياد البكري سمع من أنس، وروى عن أبي العالية، مات في خلافة المنصور. الجرح والتعديل 1/ 1/ 454، ولمعارف 466، والتاريخ الكبير 3/ 272.

(5) يبدو أنّ هناك تناقضاً في الكلام وخلطاً ؛ فالمعلم سأله أولاً عن (بسم) ولم يسأله عن (أبجد).

(6) يعني الربيع.

فأمّا ابن عباس فقال ليسَ شيءٌ إلاّ وله سببٌ، وليسَ كلُّ أحَدٍ يَفْطن لـه، ولا بلغَه علمُ ذلك، إنّ لأبي جاد لحديثاً عجيباً أمّا أبـو جـاد: فـأبى آدم الطاعـةَ وجدّ في أكلِ الشجرة، وأمّا هوّاز: فنزل أدمُ فهوى من السماء إلى الأرض، وأمـا حُطّي، فحُطَّتْ عنه خطيئتُهُ، وأمّا كلمنْ: فأكلَ الشجرة ومُنَّ عليه بالتوبـة، وأمّـا صعفص: فعصى آدم ربّه فأُخرجَ من النعيم الى النَّكدِ المقيم، وأمّا قُريشيات: فأقّر بالذنب، وسَلِمَ من العقوبة.

وقال قوم: بل هي أسماء الأيام الستَّة التي خَلـقَ الله تعـالى فـيهنَّ الـسماء والأرض. قال الضَّحّاكُ[1]: ليس منهنّ يومٌ إلاّ له اسم أبجد، هوز، حُطّي، كلمنْ، صعفص، قُريشيات. فهذه ستَّةُ أيام، أولَها الأحد وآخرُها أجمعه.

والأصوب في قياسِ اللغة والأشبهُ بالصواب أنْ تكـون أسمـاءً إمّـا لقـومٍ وأماّ لأيام. فأمَّا ما رُفِعَ إلى رسول الله، (ﷺ)، فلو صحّ ما عُدِلَ عنه ولا اختُلِـفَ فيه، ولكنّها أسانيدُ منفردة واهيـة لا يجـوز الاحتجـاج بهـا، وقـد اختلـفَ فيهـا المتأوّلون. فأعدلُ الصواب وأجزلُ المقـالى، أن يُختـارَ القـولُ الـذي علـى دلالـة واضحة من معروفِ كلام العرب.

وشاهدُ فطرةِ العقـل أنّ قـولَ القائـل: أبـو جـاد بكنيـةِ آدمـيّ أشـبهُ منـه بالحروف المقطعة التي يدلُ كُلّ حرفٍ منها على ما فُصل من اسمٍ أو فِعْل. وكـذا هوّاز بأسماء بعض بني آدم أشبهُ منه بحروفِ المعجم هَّواز نظيرُ روّمأّدٍ وجَّـواب. والعرب تقول هوّاز مـن (هـوز)، إذْ ذهـبَ وحُطّـيّ علـى وزن (فُعلـيّ) مثـل:

(1) ابن مزاحم الهلاليّ، أبو القاسم الخراساني في المفسَّر، صدوق كثير الإرسـال مـن الطبقـة الخامسة (مات سنة 105هـ)، طبقـات المفـسرين (دار الكتـب العلميـة) 155، و التـاريخ الكبير 4/ 332، وغاية النهاية 1/ 337، وميزان الاعتدال 2/ 325.

دُبّيّ ودُرّيّ أشبهُ منه بالحروف. وأنَّ كلمُنْ بالاسم الذي يأتي على مثل (فَعَلول)[1] كـ (القرَبوس)[2] و(طرسوس) أشبهُ منه بذلك. وأنّ صعفصَ بالاسم الذي يأتي على مثل (فَعْلَل) مثل جعفر وزنْفَل، أشبهُ منه بغير ذلك وأنَّ قُريشِيات بالاسم الذي يأتي على (فُعيلِيات) التي هي نظيرُ (عُرَيْتِنَات)[3] و(وصُنَيبعات)[4] اشبهُ منه به. واللغة دليلة متَّبعة أذا كانَ الآمرُ كذلك فلاشَكَّ أنها المُسمَّيات بهنّ. إمّا من بني آدم أو مِن غيرهم.

ولو كانَ كما قيل، أنّها حروفُ هجاءٍ كل حرفٍ منها من كلمة، وإمّا من فِعْل، و(إمّا) اسمٍ ينفصلُ منه، فاستُغنيَ بذكره عن سائر(48/ ظ) حروف ذلك

---

(1) يريد أنّ الأصل (كَلَمون) وأنّ الواو حذفت للاختصار وما لا يجاز، وسيذكر المؤلف ذلك.

(2) قال الجوهري: القَرَبوُس للسرج، ولا يُخفّف إلا في الشعر مثل طَرَسُوسَ ؛ لأنّ (فَعْلوُل) ليس من أبنيتهم.

الصحاح (قربس) وانظر: ليس في كلام العرب 253.

(3) بضمّ أولّه، وفتح ثانيه بعده ياء ساكنة وتاء معجمة باثنتين من فوقها مكسورة، ثم نون على لفظ تصفير الجمع: وهو من مواضع ديار بني أسد، كما ذكر البكري في معجمه 2/ 81، 3/ 200 وأنشد قول بشر بن أبي خازم:

عَفَا منهنّ جِزعُ عُرَيْتِناتٍ فصَارةُ فالفَوارعُ فالحِساءُ.

وقال عنه سيبويه: أصل هذا الاسم (عَرْتَن)، وهو الشجر المعلوم، ثم جُمِعَ بالألف والثاء. انظر: الكتاب 4/ 270.

(4) بضم أوله وفتح ثانيه.... مياهٌ لِغَطَفَان، قال زهير بن أبي سُلمى :

فأوْرَدَها مياهَ صُنَيْبعَاتٍ فألفاهُنَّ ليس بهِنَّ ماءُ.

معجم ما استعجم 3/ 119.

الاسم أو الفعلِ لدلالتِه عليه- لجاءَ مُقطّعاً كما جاءَتْ أوائلُ السّور. ولم يجيءْ مجيءَ أسماءٍ وكنىً على ما يُعرفُ من أبنيةِ أسماءِ العرب وكُنا هاو [ما] لم يُعرفْ. ولكنَّها وقّفتْ لأنَّ الأعراب أنما يدْخلُ على الأسماء إذا كانَ لها مُعْرِب.

فأمَّا إذا لم يُقصَد قص الخبر عنها بما يُعربُها فلا وجهَ لأعرابها. ولو أخبرَ عنها مُخْبر لوجبَ أنْ يُلْزِمَها من وجوه الأعراب ما يَلْزمُ سائر الأسماء، فيقول: هلك أبو جادٍ وبقيَ بعده هوازٌ فَعرّبهُ. غيرَ أنه ما كان مثلُ ذلك من الأسماء التي لا تُعرَب في أسماء العرب وكان من أسماء العجم فأنّه لا ينبغي أنْ يُجْريَه.

فأن قيل: لِمَ كتبوا (أبجدَ) بغير الواو؟ فالجواب: إنّ الخطّ لم يَجْرِ في كلّ الأشياء على قياسٍ مُطّرد. فكتبوا (أبجد) بحذف الواو من (الأب) والألف من (جاد)، لعلمهم بموضِعه، طلباً للاختصار والإيجاز إذْ كان المُراد وصولَ قارئ الكتاب إلى معرفة ما تضمَّنهُ من المعاني، دونَ تقويم رِسومِ هجاءِ ما فيه من صور المباني. وكذا القولُ في حذْفهم الألفَ من (هوز)، بعد الواو، وحذفهم الواو من (كلمن) بعد الميم، وبهذا احْتَجّ أبو عمرو في قراءة: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾[1] (المنافقون / 10) أنّه إنّما (49/ و) كُتبَ (وأكن) كما كتبوا (كلمن)[1].

(1) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: (وأكُنْ) جَزْماً بحذف الواو. وقرأ أبو عمرو وحده (وأكونَ) بواو.

فحجّة مَن قرأ: (فأصَدّقَ وأكُنْ) فهو عطف على موضع قوله: (فأصّدّقَ) لأنّ (فأصّدّقَ) في موضع فعل مجزوم.

=

وبعدُ، فأنّ هذه الواو من نوع الضم والرفع، وكذا (اليا) من نوع الكسر والخفْضِ ولا يقعانِ ألاّ وما قبلهما منهما، كما لا تقَع الالفُ إلاّ وما قبلَهما مفتوحٌ أبداً فكلُّ واحدٍ من هذه الحركات قد ينوبُ عمَّا هو من جنْسه ونوعه، فينوبُ الفتْحُ عن نوعه الذي هو الألف، والضُّم عن نوعه الذي هو واو، والكسرُ عنِ نوعه الذي هو ياء. ولا حرفَ من سائر حروف المعجم سوى ذلكَ ينوبُ عن غيره. فلذلكَ ٱستجازوا حذف الألف والواو والياء في المواضع التي حذفوا ذلك فيها. إذْ كانت الحركات الباقيةُ في الحرف الذي حُذِف ذلك منه دالّةً على المحذوف منه، كما قال الشاعر:

إذا ما شاءُ ضرّوا مَنْ أرادوا ولا يسْطيعُهمْ أحدٌ ضِرارا[2]

وهو يريد: شاءوا فاكتفى بضمّ الهمزة من (شاء).

=

وأما قراءة أبي عمرو: (وأكونْ) فانه حُمِل على اللفظ دون الموضع، وكأنّ الحمل على اللفظ أولى ؛ لظهوره في اللفظ وقربه؛ ولأنّ ما لا يظهر إلى اللفظ - لانتقاء ظهوره- قد يكون في بعض المواضع بمنزلة ما لا حكم له.

وزعموا أنّ في حرف أبيّ: (فأتصدّقَ وَأكونْ).

انظر: الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي (دار الكتب العلمية) 4/ 442، السبعة في القراءات 637، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه 319، وقراءة أبي كعبي، ومشكل إعراب القرآن 737.

(1) وفي تأويل مشكل القرآن 56: إنّ الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المدّ واللين في (كَلَمُن) وأشباه ذلك.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو في معاني الفرّاء 1/ 91، وفيه أنّ البغدادي قال عنه في شرح شواهد المغني 2/ 897، إنّ "هذا البيت مشهور في تصانيف العلماء ولم يذكر أحد منهم قائله. وانظر: خزانة الأدب 5/ 231، والإنصاف في مسائل الخلاف 1/ 212.

والدليل على أنّ الاختيار ما قلنا، من أنها تكون أسماءً أشبهَ منها بالحروف- أنّ الرواة قال بعضُهم[1]: هوّاز وأخواتُها أسماء ملوك مَدْين، سُمّوا بالحروف لئلاّ تبيد، وهلكوا في زمن شُعيب - عليه السلام، يوم الظُّلّة[2] (الشعراء/ 189) فكان أعظمُهم كلَمُنَ، فلمّا هلك قالت أخته:

كلمن قد ههدَّرُكني هلْكُه وسْطَ المحلَّة[3]

وكان شعيب (49/ ظ) بن صفوان بن عنقاء بن ثابت بن مدين بُعث إليهم فعصوا. وقال الشعبي[4]: كفر قُريشيات فمُسِخ أحدها قاله سبعةَ أرؤسٍ بعددِ حروف قُريشيات، فقال رجل[5] من أهل مَدين:

ألا يا شعيبُ قد نطقْتَ مقالةً سببتَ بها عمراً وحيّ بني عمرِو
ملوكُ بني حُطّي وهّوازُ منهم وصَعْفصُ أهلٌ للمكارمِ والفخرِ[6]

---

(1) هو الإمام الشعبي كما في تفسير الطوسي 1/ 50.

(2) من قوله تعالى: (فأخذَهم عذابُ يومَ الظُّلّة) قال الجوهري في الصحاح/ ظلل/ : "عذابُ يومَ الظُّلّة" قالوا: غيمٌ تحتهُ سَمُومٌ.

(3) البيت من مجزوء الرمل، وله حكاية وتتمّة سأذكرها بعد قليل إن شاء الله.

(4) عامر بن شراحبيل أبو عمرو التابعي الكوفي، من كبار الفقهاء، أدرك خمسمائة من الصحابة، وكان يقول: ما كتبتُ سوداء في بيضاء قط، ولا حدّثني رجلٌ بحديث فأحببتُ أن يعيده عليّ، ولا حدّثني رجل بحديث إلا حفظته.

انظر: طبقات الحفاظ (العلمية) 40، والمعارف 449، واللباب 2/ 198.

(5) هو المنتصر بن المنذر المديني كما في مروج الذهب 2/ 150، والمزهر 2/ 348.

(6) البيتان من البحر الطويل، وهما في تاج العروس مادة/ بجد/ وقد وجدتُ من النافع أن أسوق كلام الجوهري كلّه عن أبجد هوّز، حيث قال في التاج/ بجد/ :

=

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

=

(وأَبْجَدُ، كَأَحْمَرَ، وقيل مُحرّكة ساكنة الآخير، وقيل أباجادٍ، كصيفَة الكُنْيَة إلى قَرَشَتْ، محركة ساكنة الآخير، و (كَلَمُنْ)، بالضبط السابق: رئيسهم، وقد رُوي أنّهم كانوا مُلوك مَدْيَنَ، كما قيل، وفي ربيع الأبرار للزمخشري أنّ أباجّادّ كان مَلِكَ مكّة، وهَوَّز وحُطّي بوَجٍّ من الطائف، والباقِينَ بمَدْيَنَ. وقيل: بل إنّها أسماء شياطينَ، نقله سحنونُ عن حَفْص بن غِياثٍ وقيل: أولاد سابورَ، وقيل غير ذلك.

وهم أولُ ما وَضَعوا الكتابةَ العربّيةَ على عَدَد حُروفِ أسمائِهم. وقد رُوِي عن بد الله بن عَمرو بن العاص، وعُروة بن الزُّبير أنّهما قالا: أوّ مَن وَضَعَ الكِتَابَ العربيّ قَومٌ من الأوائل نَزَلوا في عدنانَ بن أُدَدَ واسْتَعْرَبوا، وأسماؤهم: أبجد، وهوّز، وحُطّي، وكَلَمن، وسَعْفَص، وقَرشَتْ، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، وهكذا ذكره أبو عبد الله حمزةُ بن الحَسَن الأصفهاني قال: وقد رُوي أنّهم هَلَكُوا يوم الظُّلّ مع قوم شُعَيْبٍ عليه السلامُ، فقال ابنةُ كَلَمُنْ - محرّكةً - وقيل - بالضّم - ويقال بسكون الميم مع التحريك، ومنهم مَن ضبطه بالواو بعد الميم - وفي (ألف با) للبلويّ أنّها أخت كلمن، ترثيه: وفي التكملة تُؤبِّنُه :

* كَلُمنَ هَدّمَ رُكْنِي *

وفي ألف با:

ابن أمي هَدّ رُكني ... هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّةْ

سيّدُ القومِ أتاه الـ ... ـحتفُ ناراً وسْطَ ظُلَّةْ

جُعِلَتْ ناراً عَلَيْهِ ... دارهمْ كالمُضمَحِلَّةْ

وقال رجلٌ من أهل مَدينَ يرثيهم، فذكر البيتين، ثم ذكر لهما ثالثاً وهو قوله :

هُمْ صَبّحُوا أهلَ الحجازِ بغارةٍ كمِثْلِ شُعاعِ الشّمسِ أو مَطْلَعِ الفجْرِ

... وذكر أنّ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه لقِيَ أعرابياً فقال له :هل تُحسِنُ أنْ تقرأ القرآن؟

=

=

قال: نعم. قال: فاقرأ أمَّ القرآن. فقال واللهِ ما أُحسِنُ البنات فكيف الأمّ. قال: فَضَرَبَهُ ثمّ أسلمهُ إلى الكُتّاب، فمكث فيه ثم هَرَب وأنشأ يقول :

أتيتُ مهاجرينَ فعلّمُوني ثلاثةَ أسطُرٍ مُتتابعاتِ
كتابَ اللهِ في رَقٍّ صحيحٍ وآياتِ القُرآنِ مفصّلاتِ
فَخطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا تَعلَّمْ سَعْفَصاً وقُرَيِّشاتِ
ومَا أنَا والكتابةَ والتَّهجِّي وما حَظُّ البنين من البناتِ

ثم وَجَدوا بَعدَهُم أحْرُفاً ليست من أسمائهم، وهي: الثاءُ، والخاءُ، والذال، والضاد، والظاء، والغين، يجمعها قولك: (ثَخَذْ) محركةً ساكنة الآخر، و(ضَظَغْ) بالضبط المذكور، وفي بعض الروايات: ظَغَش - بالشين - بدل الغين، فسمَّوْهَا الرَّوادف.

وقال قُطْرب: هو أبو جاد، وإنّما حُذفت وامره وألفه ؛ لأنّهُ وُضِعَ لدلالة المتعلّم، فكُرِهَ التطويلُ والتكرار، وإعادة المِثْل مرّتين، فكتبوا (أبجد) بغير واوٍ ولا ألف ؛ لأنّ الألف في أبجد والواو في هوّز قد عُرِفَت صُورتُهما، وكل ما مُثِلَ من الحروف استُغنِيَ عن إعادتِهِ... وقد سَرَدَ نصّ هذه العبارة أبو الحجّاج البَلويّ في (ألف با) أيضاً.

ثم الاختلاف في كونها أعجميّات أو عَرَبيّات كثير، فقيل إنّها كلها أعجميات كما جوّزه المبرّد، وهو الظاهر، ولذلك قال السِّيرافي: لاْ شكَّ أنَّ أصلها أعجمية أو بعضها أعجميّ وبعضها عربيّ، كما هو ظاهر كلام سيبويه، وغير ذلك مما ذكره الرَّضي وغيره. ووسَّع الكلام فيها الجَلال السيوطي في المُزهر.

قلت - والقول للجوهري -: وبقيَ إن كان (أبجد) أعجمياً كما هو رأي الأكثر فالصواب أنّ همزته أصلية، وأنّ الصواب ذكره في فصل الهمزة كما أشار إليه شيخنا. وجزم جماعةٌ بأنّ أبجد عربيّ، واستدلوا بأنّه قيل فيه: أبو جادٍ بالكنية، وجاد من الجَود، وهو قول مرجوح أ. هـ.

=

وقد جاء في خطّ المصحفِ حَذْف الألف والواو والياء في المواضع المختلفة لذلك. وحُذِفَت الياء في مواضعَ لا تُحذف في مثلها، ولكنّه اتساعٌ في الخطّ، وإيجازٌ في اللفظ، كقوله: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ﴾ (النساء / 146) والأصل: يؤتي الله، وكذا قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ (الرعد/ 9)، لأنّ هذه الياء[1] لامُ الفعلِ، فإثباتُها واجب.

فأما من زعَم أنّ في القرآن واواتٍ مزيدةً، وأنَّ الكلام بطرْحِها تامّ، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ (الزمر/ 73) المعنى: فُتِحَتْ. وكذا قوله: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (الزمر/ 73-74) والواو دَخلوا لأنّهم قد أُمِروا بذلك، فقَبِلوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا﴾ (الزمر/ 74) وأذِنَ لنا في دخولِ الجنّةِ نتبوّأُ منها حيثُ نشاء.

فأمّا قوله في أهلِ النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ (الزمر/ 71) إنّما فُتِحَتْ حينَ جاؤوها (50/ و)، وأمّا الجنّةُ فأنّ أبوابَها فُتِحَتْ قبل مجيء أهلها فيما ذكرَ بعضُ أهل العلم، ومَنْ زَعَم أنّ في القرآن حَرْفاً زائداً لغير معنىً به (و) لا توكيدٍ، فَقَد ابْعَدَ القول.

أقول: بل هو قول راجح، فهذه كلّها عربية محضة، ولكني لا أجد تعليلاً لأقوال كثير من العلماء الذين ردّوا نصف لغتنا العربية إلى الفارسية والرومية والحبشية والقبطية والحورانية وما إلى ذلك؟ وهذا منافٍ ومجافٍ للحقيقة العلمية والتاريخية والإنسانية، وأرى أنّ كثيراً من هذا الكلام هراء، ومحض افتراء مع أنّي أشكّك في نوايا وطوايا كثير من العلماء الذين يُعجِّمونَ ما كان فصيحاً، ويستعجمون ما كان واضحاً وصريحاً.

(1) يعني ياء (يؤتي).

وقول امرئِ ألقيس:

فلما أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتحى بنا بطنَ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[1]

فزعمَ الأخفش والفرّاء[2] وغيرُهُما[3] أنّه أرادَ: انْتحى بنا والواو زائدة. وإنما هذا من سوءِ جسارةٍ على توهين العبارة، لأنّه يُمْكِنُ أنْ يكونَ تَرَكَ الخبرَ الذي تَرْكهُ موجودٌ في القرآن وغيره.

وكذا قولُ أبي كبيرِ الهذلي[4]:

فإذا وذلكَ ليسَ إلاّ ذِكْرُهُ وإذا مضى شَيءٌ كأنْ لم يُفْعَلِ[5]

---

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه بتحقيق ياسين الأوبي 62، وفي أشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الكتب العلمية) 33، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات 54.

(2) في معاني القرآن 2/ 211.

(3) كابن قتيبة في تأويل مشاكل القرآن 197.

(4) واسمه عامر بن الحُلَيس، شاعرٌ صحابيٌ، اشتهر بكنيته: أصابني سهل بن هذيل، والحُليس: مصغّر الحِلْس ؟، بكسر الحاء المهملة وسكون اللام والحِلْس للبعير: كساء رقيق يكون تحت البَرْذعة.

وأبو كَبير،بفتح الكاف وكسر الباء أسلم ثمّ أتى النبي (ﷺ) فقال له: أحِلَّ لي الزِّنى. فقال: أتحبُّ أنْ يؤتى إليك ذلك؟ قال:لا. فقال: فارضَ لأخيك ما ترضى لِنفسِكَ قال: فادعُ لي أنْ يُذهِبَ عنّي. خزانة الأدب 8/ 209، والشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) 404.

(5) البيت من البحر الكامل، وهو في الشعر والشعراء (العلمية) 405، جاء مع قصيدة وهو آخر بيتٍ فيها، والبيت في خزانة الأدب 11/ 58-59 وقد نقل البيت عن كتاب التفسح هذا، والبيت في مجالس ثعلب 126، والخصائص 2/ 171، والعمدة 2/ 61، والضرائر لابن عصفور 72.

أنما أرادَ فإذا هـذا وذلـكَ، وأضْـمرَها، وقـال: لـيس إلاّ ذِكْـرُه أي ضِـكْرُ الحاضر، فأمَّا الماضي فمعدومُ الذّكْر بالأياس منه.

وكذا قول تميم (بن أُبيّ) بن مقبل[1]:

فـإذا وذلـكَ يـا كُبيـشَةُ لَـمْ يكُـنْ إلاّ كلمَّـــةِ حـــالمٍ بخيـــالِ[2]

فَلَمْ يَخصُصْ واحداً. لأنَّ كُلَّ شيءٍ زائل، فهو كالأحلام.

وإنّما أرادَ مَنْ زَعَم أنَّ الواواتِ مزيدةٌ أنّها جاءَتْ لغير رباطٍ، وهذا مفُصّلُ الكلام.

وقـد وصـفَ اللهُ تعـالى قُريـشاً باللّـددِ في الخـصام، وقـال: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ

---

(1) (وأُبيّ) بالتّصغير وتشديد الياء، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يبكي أهـل الجاهلية، وكان يُهاجي النجاشيّ الشاعر، فهجاه النجاشيُّ فاستعدى عليه عُمر رضـي الله عنه، فحبسه، وقيل جلده. عاش مائة وعشرين سنة.

خزانة الأدب 1/ 231، ومعجم الشعراء المخضرمين 69-70.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو احد شـواهد البغـدادي في خزانـة الأدب 11/ 58، وعلّـقَ عليه حيث ذكر: أنّ "الواو" ليست زائدة كما يقول الكوفيون، بل هي عاطفة علـى مبتـدأ محذوف، والتقدير: فإذا إلمامكَ وذلك الإلمام... فجعل المعطـوف والمعطـوف عليـه شـيئاً واحداً لأجل قوله: لم يكن. وصحح نسبة البيت إلى ابن مقبل عن طريق صـاحب كتـاب التفسّح.

واللَّمَّةُ: بفتح اللام، قال صاحب الصحاح. يقال: أصابت فلاناً من الجنَّةِ لَمَّة، وهـو المَسُّ وال شيء القليل، و (كُبيشة) من أسمـاء النـساء، مـصغّر كبـشة بالـشين المعجمـة، و(الحالم) اسم فاعل من حَلَمَ -يحلُمُ من باب قَتَلَ يَقْتُلُ حُلَمـاً بـضمتين وإسـكان الثـاني تخفيفاً أي رأى في منامه رؤيا، وكذا احتلم، و(الخيال) كـل شـيء تـراه في الظـل.خزانـة الأدب 11/ 60، 1/ 231.

حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب/ 19) أي: بالغوا في الأقاويل البعاد والأفاعيل (50/ ظ) الشّداد، والله لا يُخلِفُ الميعادِ.

ألا ترى قوله: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الصافات/ 87) هذه كلمةُ تهدّدٍ ووعيدٍ شديدٍ قال الشاعر[1]:

للهِ درُّكَ ما تظنُّ بثائر اسْهَرْتَهُ عَنْ نومهِ يا راقِدُ[2]

وكذا اللّددُ موجودٌ في قبائل من العرب، كما جَلسَ معاويةُ يوماً للناس مجلساً عامّاً فلمّا اطمأنّ المجلس بأهله دَخَلَ فتىً جميلُ الوجهِ، مديد القامةِ، بّينَ الدّرابةِ[3]، فأجْتَهَرهُ[4] معاوية فقال: مِمّنْ أنت؟ قال من رؤساءِ السَّلوف[5]

---

(1) هو قبيصة بن عمرو الحنفي في الوحشيات 121، أو الجراح الغطفاني في محاضرات الأدباء 3/ 174.

(2) البيت من البحر الكامل، وقد ورد في الوحشيات واللباب بقافيه مكسورة، وبرواية:

لله درّك ما ظننتَ بثائرٍ حرّان ليس عن التّراتِ براقدِ

أحْقَدْتَهُ ثم اضطجعْتَ ولم تَنَمْ أسفاً عليكَ وكيفَ نومُ الحاقِدِ

(3) الفصاحة، وأذرَبَ الرّجُلُ، إذا فَصُحَ لسانُهُ بعد حَضْرَمةٍ، ولسانٌ ذَرِبٌ: حديدُ الطَّرَفِ، وفيه ذرابة أي: حِدَّةٌ.... وأصل معنى الذّرابةِ: حدّةُ نحو السّيف والسِّنانِ... وتُستعارُ لِطَلاَقةِ اللّسان مع عَدَم اللُّكْنَةِ.

تاج العروس/ ذرب/ .

(4) جاء في الصحاح: جَهَرتُ الرُّجلَ وأجتَهَرْتُهُ، إذا رأيتَهُ عَظيمَ المَرْآةِ.

تاج العروس والصحاح/ جهر/

(5) والسَّلُفُ: الناقة تكون في أوائل الإبل إذا وردت الماء. الصحاح/ سلف/ ، يريد أنْ لا أحد يتقدّم عليهم لمكنتهم ومنزلتهم العالية.

وحُماةِ الصفوف ومُعلمي السيوف ومُقاري الضيوف وعُقُلِ[1] الألوف، قال معاوية ومَن هُم؟ قال: أربابُ القبابِ والأعطان[2] الرِّحاب والعيدانِ الصّلاب، والعطايا الرّغاب. قال: مَنْ هم لله أبوك؟ قال: أطولُ الناسِ رماحاً وأكرمُهم صَباحاً وأحسنُهم صِفاحا وأبذلُهم سَماحاً: بنو عبد الدّار مُقَعْضِبوا[3] الأقْران ومنازلو الفرسان. فقال له معاوية: أنّك لَتَفْخَرُ سائرَ اليوم بأعيْرابِ أجْلاف على ذوائبَ قُريش الأشْراف، ونَسبُك خاملٌ وشَرفُكَ ما حِلّ. فقال: مَهْلاً فرُبّ سَيّدٍ من قومي مهيبُ الجلال، جمُّ النّوال، كريمُ الفعال، شديدُ المِحال، واري الزّناد، عالي العِماد، عظيمُ الرّماد، عطاؤه جَهْر(51/ و) وأخذُه قَهْرٌ ونوالُهُ غَمْر[4]، ورُبّ مَلِكٍ - يا معاويةّ - بالتاج مُعْتصِبٍ بالعزّ محتجبٍ للأمَمِ[5] مُستَلِبٍ، قد أبْناه على ضَمدِه[6] وقوّمنا من أودِه

(1) يعني: نعطي ديّة القتيل ولو كانوا ألوفاً، فهي من قولهم: عقلتُ القتيلَ: أعطيتُ ديتهُ وَعَقَلْتُ له دمَ فلانٍ، إذا تركتَ القَوَدَ للدية، قالت كبشةُ أخت عمرو بن معد يكرب:

وأرسلَ عبدُ اللهِ إذحان يومُه إلى قومِهِ لا تَعْقِلُوا لَهُمُ دَمِي.

عَقَلْتُ عن فلان، أي: غَرِمْتُ عنه جنايته ؛ وذلك إذا لزِمَتْهُ ديةٌ فأدّيتَها عنه.

انظر: الصحاح/ عقل/ .

(2) والمَعَاطن، وهي مَبَرِك الإبل عند شرب الماء لتشربَ عَلَلاً بعد نَهَلٍ، فإذا استوفت رُدّت إلى المراعي والأظماء. والأعطان الرّحاب كناية عن الغنى وكثرة المال. الصحاح/ عطن/ .

(3) قَعْضَبَهُ، بمعنى: استأصَلَهُ كما في الصحاح.

(4) الغَمْرَ: الماء الكثير، والفرس الجواد، ورجلٌ غَمْرَ الخُلُق وغَمْرُ الرّداءِ إذ، كان سخياً، انظر: الصحاح/ غمر/ والمراد هنا انّه يعطي الكثير من ماله.

(5) الأمَم: الرّقاب.

(6) معناه: أبتناه على غضبهِ (رمم).

وَرَمَمنا[1] من لدَدِه[2]، حتى ماتَ غيظاً كمدَ الحبارى[3] إذْ قومُكَ مُعْتَصِمونَ بالأنصاب والأزلام، يكظمونَ على الأوتار، فقال معاوية: أني أخالُ جَهْلَك سيذرأُ بك في صدور المهالكِ، ولولا فضلُ أناةٍ وعواطفِ حِلْم، لسطوتُ بكَ سَطْوةً تكن لِمَنْ طَمَح به جهلُهُ بعدكَ نكالاً.

فقال الفتى: دونَ ذلك لو رمتَه رجالٌ أُنُف، وخيلٌ خُنُف، ورماحٌ رُعُف وسيوف حُذُف، وإنّا وايّاك لكما قالَ الأوّل[4]، يعني اليمامة:

هلمّ إليها قد أنافتْ عروسُها ... وكرّتْ عليها المنجنون تكدّسُ[5]

تمّثل به على طريق التهكمّ والوعيد. أي، إن قدرت فتقدّمْ، فكان الأعرابيّ مِطعنًا سَلاَّقا، حَسَن الوجه مبهاجاً يقتحم البلاغةَ شِرعةً ومنهاجاً".

---

(1) أي أصلحنا، جاء في الصحاح: رَمَمْتُ الشيء أرُمُّهُ وأرِمُّهُ رَمّاً ومَرَمَّةً إذا أصلحتَهُ، يقال: قد رَمَّ شأنَهُ

(2) الشّدّة في الخصومة.

(3) هذا مثل من أمثال العرب، وذلك أنّهم يقولون: مات فلان كمد الحُبارى، انظر: مجمع الأمثال 2/ 170، وجمهرة الأمثال 133، والحيوان 5/ 445. وعندهم أن الحبارى إذا تحسّر وقع ريشه فيُريد الطيران فلا يقدر فيموت. وذكر الزّبيدي في تاج العروس/ حبر/ شرحاً مقارباً لهذا حيث قال: فلانٌ ميّتٌ كَمَدَ الحُبارى. وذلك أنّ تحْسِرُ مع الطَّيْرِ أيّام التَّحسِير؛ وذلك أنْ تُلقيَ الرِّيش، ثم يُبْطِيء نباتُ رِيشِها، فاذا طار سائرُ الطير عَجَزَتْ عن الطيران فتموت كمداً، ومنه قول أبي الأَسْوَد الدُّؤَليِّ:

يَزيدُ مَيِّتٌ كَمَدَ الحُبارى ... إذا ظَعَنَتْ أُمَيَّةُ أو يُلِمُّ.

أي يموتُ أو يَقرُب من المَوتِ.

(4) هو الشاعر المتلمّس.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/ 122، باختلاف بعض الألفاظ.

قال ربيعة بن الحارث:

أكرِمْ بقوم رسولُ الله شِرعتُهم ... إذا تَفرّقت الأشياعُ في الأمم

يدعو إلى الحقّ ميمونا نقيبتُه ... يجلو بضوء سناهُ داجيَ الظُّلَم[1]

ويقال: كفى بلسان رسولُ الله (ﷺ)، بياناً في إيجازٍ وإعرابٍ في غير إعجاز، من غير تمطيطٍ (51/ ظ) ولا تشديق.

وقال أبو سفيان بن الحارث[2]:

ومنّا خيرُ من ركبَ المطايا ... رسولُ الله يُسمِعُنا القرانا

متى ينزلْ بساحةِ دارِ قوم ... يُغشّيها المذلّةَ والهوانا[3]

---

(1) البيتان من البحر البسيط، وهذا البيت وحده في سؤالات نافع/ 10 منسوب إلى أبي سفيان، وكذلك في الإتقان 2/ 57.

(2) ابن عبد المطلب، واسمه المغيرة، ابن عمّ النبي (ﷺ)، كان أبو سفيان أخا النبي من الرّضاعة، وكانت "حليمة السعدية" هي التي أرضعتهما معاً، وكان يشبه رسول الله (ﷺ).

كان أبو سفيان شاعراً في بني هاشم، هجا النبيّ فردّ عليه حسّان بن ثابت بقوله:

ألا أبْلِغْ أبا سُفيان عَنّي ... مُغلغلةً فقد بَرِحَ الخَفَاءُ

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ... وعند الله في ذاك الجزاءُ

ثم اسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وثبت مع النبي، وأحبه الرسول الكريم وشهد له بالجنة مات (سنة 20 هـ) وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

معجم الشعراء المخضرمين 190، خزانة الأدب 4/ 249، الروض الأنف 2/ 182-187، ومعجم الشعراء 271، والاشتقاق 67.

(3) البيتان من البحر الوافر.

والقرآن هو لسانُ إسماعيل، كما قال أمّيه بن أبي الصلت- وكان حكيماً في شِعْرِهِ، وقد أدْرَكَ من عِلْمِ قريش وهم بقية ولدّ إسماعيل - يذكُر وفاء إبراهيم بنَذْرِه، وطاعةِ ابْنه لأمرهِ، في قوله (تعالى): ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات/ 102):

ولابْراهيمَ الموفّيَ بالنَّذْ ... ر احْتساباً أو حاملِ الأجزال
بِكْرُهُ لم يكنْ ليصبرَ عنهُ ... لو رآهُ في مَعْشَرٍ اقْيال
بينما يَخْلعُ السرابيلَ عَنْهُ ... فكَّهُ رَبُّهُ بكبشٍ جُلال[1]

وقولهُ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ (الصافات/ 103) معناه: استَسْلما لأمرِ الله وأذْعَنا لَهُ. قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ (الصافات/ 103) أي: صَرَعهُ. والجواب محذوف لأنَّ طاعَتهُ قد عُرِفَتْ، فالتقدير: فلمَّا أسْلمَا سَلِما وتلَّهُ فحذف قوله: سَلِما، وهو الخبُر والله اعلم.

وقال ابْن أوفى العبسي[2]:

سَلكْتُ لهُ بالرُّمْحِ جنْبَي قميصِه ... فَخَّر تلِيلاً لليدينِ ولِلفَمِ[3]

---

(1) الأبيات من البحر الخفيف، وهي في شعره 251-253، باختلاف بعض الألفاظ.

(2) شُرَيْح بن أوفى، لم تذكر المصادر من ترجمته سوى أنّه شاعر من شعراء الخوارج، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 204.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو لشريح في طبقات ابن سعد 5/ 39، ولعصام بن وحده في أدب الكاتب 401، وتأويل مشكل القرآن (دار التراث) 569 بلفظ :

* فخرَّ صريعاً لليَدينِ وللفَمِ *

واستشهد به على مجيء "اللا" مكان "على" ومثّل بقولهم "سَقَطَ لِفِيهِ" بمعنى على فيهِ.

وصدر العجز الذي رواه المؤلف قوله :

=

ويُقال: تلّه للجبين الأيسر والإنسان جبينان بينهما الجبهةُ، قتال الرّاجر:

ألا يُقاسي الرأس أو يُقنّعُ ما رأسُهُ إلاّ جبينٌ أجمعُ[1]

(52/ و) أي هو أصلح.

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ (النحل/ 125) أي: إلى دينه (بالحكمة) أي: بالقرآن.

وسُئِل هَرِم بنُ حيان[2] فجودل، فقال: اللهم إني أعوذُ بك من شرّ زمانٍ يتمرّدُ صغيرُهم ويأمل فيه كبيرُهم وتقربُ فيه آجالهم.

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل/ 125) هذا قبل أنْ يُؤمر بالقتال.

وقوله تعالى (52/ ظ) ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب/ 19) حدُّ كل شيءٌ: حِدَّتُه ويقال: خطيب مِسلق سلاّق ومِسْلاق ومِسْقَع: أي وقّع على سَقْع كلّ خَطابٍ بليغ.

و(حدُّ) كلّ شيء: ذَلَقُهُ وسرعته في المَضاء، وقال أبو محمد[3]: يقال: لسانٌ ذَلِقٌ طَلِقٌ، وطُلُقٌ - بضمتين- ويُقال: أذلقِ السيفَ، أي أحِدّهُ، وانشَدَ لأبي ذوّيب:

---

* تناولتُ بالرّمح الطويل ثيابَهُ *

والبيت تجاذبه كثير من القراء فقد نسب إلى الأشعث بن قَيس، والى المكعبر الضبْي.

(1) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في ديوان المعاني 2/ 161، وبرواية

* ما رأس ذا جبيناً أجمعُ *.

(2) من الفصحاء الزّهاد، روى عن الحسن البصري وغيره، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه، المعارف 435 و الإصابه 3/ 569، وحلية الأولياء 2/ 119.

(3) التّوّزي.

فتخالَسا بمُذالقين كأنَّما بهما من النَّضْجِ المجسَّدِ أيْدعُ[1]

والمُجسَّدُ: المصبوغ المُشْبِعُ. والأيدُع: دَمُ الاخوين.

وقال أخر[2]:

* وقد بَلَغَ الدَّلْقُ الشواربَ أو نَجَمْ *[3]

يعني: حدّ السكين. و(نَجَم)، يقال: ما نَجَم هذا الكلام من في فلان أي ما خرجَ من فمه.

فما من هؤلاء، مع لددِهم وتمكّنِ عداوتهم، أحدٌ طَعَن (52/ ظ) على قراءة القرآن في لغةٍ ولا أعراب، ولا تقصيرٍ في خطابٍ ولا نقْص. هذا عُمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لَّما قَدِمَ عليه غبدُ يسوع بن حرب التغلبي وكان لَسِناً،

---

(1) البيت من البحر الكامل، وهو في شرح أشعار الهذليين (دار الكتب العلمية) 1/ 8. جاء في قصيدته المشهورة:

أمِنَ المنونِ وريبِهِ تتوَجَّعُ والدَّهرُ ليسَ بمعتِبٍ مَن يَجزَعُ

وانظر البيت في جمهرة أشعار العرب 693.

(2) عِلباءُ بنُ أرقَمَ بن عوف بن الأسعد، شاعر جاهليّ، كتاب الاختيارين 205، وخزانة الأدب 4/ 364.

(3) هذا عجز بيت من البحر الطويل ورد ضمن قصيدة طويلة للشاعر في كتاب الاختيارين 209 وصدره:

* يُثيرُ عَليَّ التُّربَ فحصاً بِرِجْلِهِ *

والدَّلقُ "الحَدُّ. يقال: سشنانٌ مُذلَّقٌ و "الشّوارِبُ": مجاري النَّفَسِ، و"نَجَمَ": طَلَعَ.

وقف بين يديه، وقال: إنّ حذريات[1] قريش توهس[2] إلينا أنّكَ لنا ضغينٌ، فقال عمر: أجل، وذو طِنى "كمينٍ[3]، قال: وَلِمَ ذاك؟ قال: استأْدَيْتُكم الأتاوةَ المرقومةَ في كتاب الله فتعكَّسْتم عنها، وسأبعثُ إليكم من يأخذُها منكم عن يَدٍ وأنْتُم صاغرون، قال عبد يسوع: إذنْ تَجِدُ أسيافاً حِداداً. ورجالاً شِداداً يدفعونَ عن بيضَتِهِم، وتُشرَعُ إليكم الأسنَّة الرهاف بأيدي أشرافٍ لا اسراف، على خيلٍ غير عجافٍ، ورجالٍ لم يُهْجَنوا باقتراف. لا يقيلونكمُ العَشْرةَ يا عبدَ مناف، فقال عُمر: إذنْ تطأكم الضُّمَّرُ المخاصيُر، على متونها الأُسْدُ المغاوير، فقال يسوع: إذنْ نلقاكَ بالبيضِ المُرْهَفات، والدّلاصِ السابغات فقال عمر: إذنْ تلقاكم الصّبْرُ بألويةِ النصر، بهم يضْمحلّ الكفْر ويَقْذِفُ الله بالحق على الباطل فيدمغَه فإذا هو زاهق[4] ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء/ 18). فخرَجَ مُغْضَباً وهو يقول:

أبَتْ لأبي حفْص مناصلُ حُدِّدَتْ ... بحُرَّةِ دَمْخٍ أنْ يُضامَ إمامُها

(53/ و)وأمْضتْ له أحكامَهُ سمْهريّةٌ ... كأنَّ سنا وجْهِ الصباح اضْطرامُها[5]

فقد جمعت العرب بلاغةً وشعراً وشجاعةً وصبراً، فما ظنُّك بفصاحةِ قريش؟ هذا ابنُ عباس جمَع مع الفصاحة فِطْنةً وصبَاحةً فرَوت الرواة: أنَّ مَلِك

---

(1) لعلها "الحُذَارِياتُ" بالضم: وهم القوم الذين يُحذِّرُون، أيْ: يُخَوِّفون، كما جاء في تاج العروس/ حذر/.

(2) من وعاني الوهس: النميمة، فلعله أراد أنّ أناساً يحذّروننا منك وهم بذلك كأنّهم يسعون بالنميمة. والله أعلم.

(3) الطَنَى: لَزَوق الطِحال بالجَنْبِ من شدّة العطش.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ (الأنبياء/ 18).

(5) البيتان من البحر الطويل.

الروم لمّا بعثَ إلى معاوية يسألهُ عن: رجلٍ لا أبَ له، ورجلٍ لا عشيرةَ له، وعن شيءٍ لا قِبْلةَ له، وقبرٍ سارَ بصاحبه،وعن ثلاثةٍ من الخلْق ذوي أرواحٍ لم يُخْلَقوا في رَحِمٍ ، وعن شيءٍ ونصفِ شيءٍ ليس بشيءٍ، وما موضعٌ لم تُصبْه الشمس إلاّ مرة واحدة، وما بقعةٌ رُفِعَتْ من الأرض؟ فتثبَّتَ معاوية في الجواب - والعرب تقول: من أعْجَلَهُ الحرص عن التثبّت غمَرهُ الخطَل وحالفه الزلل، ونصب ورأيَهُ غرضاً للملام، واستهدفَ لعوارض المكروه من الأيام، ومَن زلّت به القدَم لم يعدمْ بوادرَ الندم وجوائح السّدم - فأجاب عنه ابن عباس فقال: من لا أبَ له: عيسى، ومن لا عشيرةَ له:آدم، ومن لا قِبْلةَ له: ظهرُ الكعبة، والقبرُ الذي سار بصاحبه هو: حوت يونس، والثلاثة: عصا موسى وكبش إبراهيم وناقة ثمود، والشيء:الرجل الكامل الحازم، ونصف الشيء: الذي إذا نزلَت به الأمور شاورَ ذوي الحجا، والذي ليس بشيء: الرجلُ لا عقلَ له، وموضعٌ لم تُصبِهْ (53/ ظ) الشمس قطّ إلا مرة واحدة: البحر- انفلقَ لبني إسرائيل، وبقعةٌ رُفِعَتْ من الأرض: الجبل الذي رُفِع كأنه ظلُّه.

وهذا داخلٌ في علوم القرآن، لأنّ القرآن على مثل ما تشتمل عليه الفِطَنُ والأفهام.

وقد يأتي فيه اللفظةُ باطنُها مُخالفٌ لمعنى ظاهرها، كقوله، تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾(المجادلة/ 18) ومُمتنِعٌ في الأفهام أنْ يكونوا شاكّين في أمرهم، وهم مبعوثون بعدَ موتهم وقد عاينوا الآيات وإنّما معناه، والله أعلم: أنّهم يفعلون فِعْلَ مَنْ يَحْسِب أنه على شيء، وهم في الحقيقة عالمون أنّهم ليسوا على شيءٍ ولكنّهُ كالمثل.

ونظيُره قوله: ﴿ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ﴾ (هود/ 101) ولم يوقعِ الله عز وجل عليهم اسمَ آلهة على أنّها آلهة تُعبَدُ معه- تعالى عن ذلك- وإنّما معناه: ما أغنَتْ

عنهم آلهتُهم في زعمهم. ولهذا نظائرُ كثيرة، ومعانيه قريبة عند أهل الفهْم والبصيرة مِمّنْ إذا سَمِعَ ما يَرِدُ عليه من لفظ شكٍّ أو محسبَةٍ أو تطنّ أو استخبار، اعتبره و ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/ 37) أي: يشهد بقلبه ما تعي أذُناه فلن يكذباه، ولم يكن كما قال الشاعر:

هُما حادياكَ اليومَ ساقا مطيّةً ... ألا ربما كُذْبَ السميع عن السّمع[1]

يريد أذناك ساقتا إليك ظنّاً من القول ولم يكن حقّاً. (54/ و) (ربما كُذْبَ) فأسكن الذال، لأنَّ العرب تسكن الضمّ والكسر تخفيفاً.

فأن تهيّأ أنْ يُمضي ما سَمِعه ووعاه على ظاهرِهِ أمضاه ولم يطلُبْ له تأويلاً يصرفه إليه، وأنْ استحال عنده إمضاؤه على ظاهره لدليلٍ من الأدلّة صرفه بفهمهِ وذهنه وعلمه إلى الجهة التي تصلح لها

وكذا سبيلُ الكنايات إذا جاءت فحقُّها أنْ تُقصر على أقرب المذكورات فان جاءت دلالةٌ تستوي بين المذكور الأول والثاني في الكناية دَخلا معاً في الاستثناء، وأنْ جاءت دلالةٌ تُخرج الآخر وتُدخِلَ الأول سَلِمَ للدلالةِ كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ (الجمعة/ 11) فلولا التأنيث لكانت الكنايةُ عن اللهوِ وحده، لأنّه آخرُ المذكورين. ولكنْ ردّ المؤنّث إلى المؤنث أشبهُ بالحكمة، وأفسحُ في فِقْه العربية، إذْ كانت التجارةُ هي المقصودة بالعناية منهم. وقال أعرابّي، فجمعَ بين الكنايتين فقال:

وما دَبَّ من قومي وقومِكِ بيننا ... بنقضِ العُرى يا عزُّ إلاّ شِرارُها[2]

---

(1) البيت من البحر الطويل ولم أقف عليه ولا على قائله.

(2) البيت من البحر الطويل، ولعله لكُثيّر بدليل (يا عزّ) وليس في ديوانه.

فلو قصرَ الكنايةَ على قومها- لأنّها أقربُ إلى الكناية- لبقيَ ذكرُ قومهِ عارياً من المعنى، وشعرُه يقتضي الطائفتين جميعاً، أي: لا ينقض العُرى بيننا إلاّ شرارُ الفريقين. والكنايات ضربٌ من المُختصرات الموجزات، وليسَ (54/ ظ) يُكنى إلاّ عن مذكورٍ أو مدلولٍ عليه.

والاختصار وأنْ كان مُجزياً من الإكثار عند أهل الفطنةِ والاعتبار، فأنّه لا يتقرّر في أفهام أهل الغباوة حتى يتبيّنَ لهم معناه بالتأكيد والإكثار، فتصير الأطالة في هذه الحال كالاختصار عند ذوي الأفكار، إذ كانت المعاني لا تتضح لذوي العجز إلاّ بالبَسْط والتَّرداد. وكلا الأمرين من الله حكمةٌ وبيان لَخلقِه، وامتحانٌ لهم بلطفه الرّبيح النجيح. إذْ كانَ هو تبارَك اسمُهُ أعلمَ بطبائعهم، منها الذكيّ والغبيّ، فهو أقدرُ على ما يُصلِحُ كلَّ فريقٍ منهم. قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام/ 38) و ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (ق/ 8).

وعباراتُ العرب العاربة من أولها إلى آخرها لا تنفك من ثلاثةِ أقسامٍ بها خاطبَهُم الحكيمُ العلاّمُ بما يوصِلُ الحقائقَ إلى الأفهام. فأولها: خطابٌ فيه حَذْفٌ يُعرَفُ بما بقيَ منه ما أُلقيَ عنه، وهذا هو الخطاب الموجز، ثُمَ: خطابٌ يُعَبرُ عن المعنى في نفسه بغيرِ نُقصانٍ من لفظه يُستدَلُّ عليه من غيرهِ، ولا زيادة في أخره يكون تأكيداً لأوله. وهذه هي العبارة المتوسطة تَبْيينٌ لذوي التفرّس واليقظةِ. وخطابٌ ثالث: يُعّبر عن حقيقةِ المعنى ويزيدُ عليه بياناً مؤكّداً أو بُرهاناً نيّراً ليقرّبَهُ (55/ و) من فَهْم مَنْ بعُدَ عن فَهْمِه، ويُزيل به مواضعَ الشكوك عن وهمه، وهذه هي العبارةُ التي لا يَقعُ العذرُ لِمَنْ ادّعى أنْ قد أشكلَت عليه أو قصَر بهِ الأعراب عن ألهدايةِ إليه.

فأمّا الاختصار الذي يُستدَلُّ بباقيه على معنى ماضيه إيجازاً واختصاراً فكقول الله تعالى لنبيّه، (ﷺ): ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(الأنعام/ 35) فقوله: (إن استطعت)، شرط ولابُدّ له من جزاء، وجزاؤه: فافْعَلْ، أو كلمةٌ نحوها. فالأعراب قد أنْذَرَ بالإيضاح فَمنْ ذهَب عن الدلالةِ بهذا، فقد بعُدَ عن معرفة الأفْصاح.

ومثلُ هذا الحذْفِ اختصاراً، من كلام العرب قبل الإسلام- قولُ الكنديّ[1] لّما تقطَّعَ بدنُه بقميصٍ مسمومٍ ألبَسهُ إيّاه ملك الروم، قال:

فلو أنَّها نفْسٌ تموتُ جميعةً ولكنَّها نفْسٌ تَقطَّعُ أنفُساً[2]

والمعنى:فلو أنّها نفْسٌ تموتُ جميعةً لَهانَ عليّ أمرُها.وكذا قولُ أبن الطَّثْرِيَّةِ[3]

فأُقسِمُ لو شيءٌ أتانا رسولُه سواكَ، ولكنْ لم نَجِدْ لكَ مِدْفعاً[4]

يقول: لو أتانا رسولٌ غيُرك ما أطعنا. فحذف جواب (لو) إذْ كان معلوماً أنْ لابُدَّ من الجزاء.

---

(1) امرؤ القيس.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه (بتحقيق الأيوبي) 286، بلفظ: تَساقَطُ أنفساً. وقوله: جميعةً، أراد بها: جميعاً، فبالغ بإلحاق الهاء - وحذَفَ الجواب للعلم به، كأنه قال: لَفَنيتْ واستراحتْ.

(3) يزيد بن سلمة بن سمرة، شاعر مطبوع من شعراء بني أميّة، مقدّم عندهم، والطَّثْريّة أمّهُ، كان حلو الحديث، شريفاً، متلافاً للمال، عدّه ابن سلاّم في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين، قتل غيلةً سنة 126هـ.

الشعر والشعراء (العلمية) 258، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 538، وطبقات فحول الشعراء 777.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوان امريء القيس بتحقيق الأيوبي 416، برواية: وجَدِّكَ لو شيءٌ.... وجدِّك قسمٌ عربي قديم، تقسم بجّده وأبي آبائهِ.

ومّما عليه دليلٌ يُستدَلّ به جوابات الأدوات المفصول منها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾(فصلت/ 41) إ لم يصحبْ (إنَّ) خبرُها (55/ ظ) فذكرت العلماء، منهم الاخفش، أنَّ الخبرَ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت/ 44) المعنى يقتضي ذلك. والقرآن سورةٌ واحدة يشهَدُ بعضُه لبعض. والله الموفّق للصواب.

وكذا قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ (الحجر/ 90-91)، ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر/ 94) وما بينهما[1] اعتراض. وقوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الأنفال/ 5).

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال/ 1) فقدَّمَ الكلام. وهذه التشبيهات تقديرها: كما كان كذا، فافعلوا كذا.

وقال الأخفش[2]: بل المعنى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال/ 74)، ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (الأنفال/ 5) أي: هذا حقّ، كما أنَّ هذا حقّ.

وأُخبِرْتُ عن أبي يعقوب[3] لقارئ: أنَّ الاخفش قال في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ (الرعد/ 31) محذوف الخبر، لعِلْمِ المخاطَب بما يُراد من ذلك؛ لأنَّ (لو) لابُدَّ لها من جواب[4].

وقال الكسائي: هو محمولٌ على ما قبْله. على قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ

---

(1) وهو قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر/ 92-93)

(2) انظر: القول في معانيه 2/ 318.

(3) يوسف بن موسى بن أسد الكوفي القطان، حدّث عنه البخاري، وأبو داود والترمذي وابن ماجة وابن معين. مات سنة 253 هـ. غاية النهاية في طبقات القرّاء (العلمية) 2/ 350.

(4) انظر: معاني الاخفش 2/ 467

أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (الرعد/ 30-31) الآية، كقولك: فلانٌ هو لا يُحبِّني ولو موَّلْتُه. وهذا أوضَح القولين، على تقدير: وهم يكفرون بما أنزلَ الرحمن من القرآن، ولو صادَفوه على هذا الوصف.وقد رأيتُ (56/ و) الأخفش ذَهَبَ إليه ورضيهَ، و الله اعلم بالصواب.

ولا تصحُّ الانتزاعاتُ بالدلائل من القرآن إلاّ لكلّ ذي فَهْمٍ عليم، فينبغي للمتَّقي أنْ يَتوقّى العَجَلَةَ في هذه الأشياء فيما بَعُد عن فَهْمه، فأنَّ كثيراً من ذلك قد يفْضُله غيرُه فيه، وقد لا يدري كيفَ هو حتى يُنْعِمَ النظر ويُجيلُ الفكر.

ومثله في كتاب الله تعالى كثيرٌ، والذي ذكرناه هو أبيْنُ مِمّا تركناهُ من ذلك توقّياً.

وأما إعطاءُ الكلام حقَّهُ، وتجريدُه عن الاختصارات وعن التأكيدات، فلا سؤالَ فيه، كما قال المتلمّسُ[1]، فجاء بالشرط وجزائه جميعاً فوفَّى الكلامَ حقَّه:

---

(1) جرير بن عبد المسيح، شاعر جاهلي فحل، عدّه ابن سلاّم في الطبقة السابعة من فحول الجاهلية، هجا عمرو بن هند الملِك، وحرّم عمرو حبّ العراق على المتلّمس، فقال قصيدته المشهورة التي أوردها أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب وهي من المنتقيات ومطلعها :

كم دون مَيَّةَ من مُستعمَلٍ قَذَفٍ ... ومِن فَلاةٍ بها تُستَودَعُ العيسُ

إلى أن قال:

=

فلو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصَتي جَعلْتُ لهم فوقَ العرانينَ ميْسما[1]

ومثلُه ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ (الأنعام/ 9) فأتى بجواب (لو) وأكّده باللام، فأمّا المعنى في قوله: ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي: في صورةِ آدميّ، لأنَّ المَلَك لو نظَر إليه ناظرٌ على هيئتهِ لصعِقَ أو بَعِلَ[2]. ورُويَ: أنَّ اللهَ تعالى قضى ألاّ ينظر الناسُ في الدنيا الى مَلَكٍ في صورتِه التي هي صورتُه. ولو نزل مَلَكٌ ثم لم يتوبوا، لم ينظُروا. وكان يَلْحقُهم من اللبْسِ والأشكالِ ما لَحِقَ ضعيفَهم، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (المؤمنون/ 33)، واللبْسُ معروف عند العرب، يقولون لبَّسَ عليّ فُلان أمْرَه، أي: خلَطَ عليّ (56/ ظ) وعمّى، فلم أتوجّه لمعرفةِ أمْرِهِ، وما لبّس قومٌ على أنفسهم إلاّ لبَّسَ اللهُ عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام/ 9). وأمّا[3] معنى التأكيد المُبيَّن بالشرح والتزْييد فلُه وجوهٌ منها: إنه بلسان العرب، فخوطبوا على حسَب ما جرى في عاداتهم، فكانَ مِماً تعوّدوه بينَهم أنْ يختَصروا أحيانا فيلْقفَهُ ذوو الفاهمةِ، ويؤكّدوا المعاني أحيانا ليفْهمه ذوو الفَهامةِ فجاءَهم القرآن بمثل ما يعرفون في مخاطباتهم ويستعملونَهُ في محاوراتهم، ومنها: إنَّ اللهَ تعالى بيَّنهُ بضروبٍ من البيان

=

آليتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهرَ أطْعَمُهُ والحَبُّ يأكُلُهُ في القَريةِ السُّوسُ

جمهرة أشعار العرب 561-565، الشعر والشعراء (العلمية) 91، طبقات فحول الشعراء 155.

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 29.

(2) بَعِلَ الرجُل - بالكسر - دُهش. الصحاح/ بعل/.

(3) هذا النوع الثالث من أنواع الخطاب، وهو مما جاء مؤكداً.

للتفاضُل، فيفهمَه قومٌ يعقلون ويتفكَّرون، ويجهلَه آخرون، ليكون فوقَ كلّ ذي علمٍ عليم.

وأمّا إعادةُ قصص الأنبياء فأنَّ الله تعالى له في إعادتها حكمةٌ لطيفة. لم يُنزّلْه جُملة، إنمّا نُزّلَ فِرَقاً، فكانت كلُّ فِرْقةٍ تنزل تصير إلى الحاضرين في وقتها وتعزُب عن آخرين، فيكون لكلّ حِزْبٍ حظّ. ومع ذلك أنَّ الرجلَ إذا سَمِعَ الموعظة مرَّة ثُم لم تُعَدْ عليه خفيَ قَدْرُها وذهبَ عنه وصفُها، فأذا وعِظ بها مرَّةً بعد مرَّة صارت نصْباً لخواطره وفِكْرِهِ ووقفاً على همّتهِ وذكْرِه ؛ ولذلك صارت الخطباءُ تُعيدُ الموعظة الواحدةَ في كلّ مَقامٍ ومشْهدٍ ومحضرٍ، وتُردّدُ القصَّة في المجتمع بكل مَحْفِلٍ فلا تُسميّ ذلك عِيّاً.

(57/ و) وقد يردّدُ القارئُ الآية مِراراً فيزدادُ بها ذو الفكرة تذكرةً واعتباراً قال الله تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (ص/ 29) ولم يقلْ: ليقرءوا آياتهِ، فيكون قراءةُ الشيء من التّلاوة مرّةً مُجزيةً من إعادتها حالةً بعد حالة، بل قد ذمَّ اللهُ مَنْ يمُرُّ بالآيات فلا يتدبرها، ويرى المعجزات فلا يتأمّلها، قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ (وسف/ 105) أي: عن الأعتبار بها.

وكلُّ قصّةٍ جاءت ففيها فائدةٌ وضَربٌ من اللفظ ليس في أُخْتها ليكونَ آنقَ في السمع وأبْعدَ من الملال وأقربَ إلى الأفهام وألصقَ بالقلوب، وأشبهَ بالحكمةِ عند ذوي الألباب العارِفين بقدرة ربّ الأرباب ولم يعْنِ بخلقهم لا لاجتلابِ منفعةٍ أو دفع مضرَّة عنه، إذْ كان ذلك يوجِبُ النقصَ في المحتاج إلى المنفعة.

فوضُح أنّه تعالى خلق الخَلْقَ لعلَّه التفضّل على خلقه، حكمةٌ لا يُنكِرُها ذو فهْم صحيح. فألهمَتهم تعظيمَه، وجَبلَهم على عِلْم مُراده بهم، وأخبرَهم بما وعدَ

به المتّقين وما توعّدَ به العاصين، فقال تعالى مُخاطبا- لِمن عَلِمَ منه أنّه يبتغي مَراماً لسبُل الطّاغين من المرتابين – خطاباً لفظه أمرٌ وهو خَبرٌ في المعنى: (57/ ظ) ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن/ 33) إنّما أراد أنْ ينبّههم على أنّهم غيرُ مستطعينَ، كما تقول العرب للرجل، يُريد أمراً صعبا تعلَمُ أنّه لا يستطيعُه ولا يُطيقه: مُسَّ السماءَ. و: أزلِ الجبالَ. وأنّما أخْبروه أنّه لا يقدِرُ على ما يحاول، فالمعنى: لا تعُرضْ لهذا الأمرِ الذي ترومَه.

ولم يَدعِ الله تعالى لفظَ الأذْنِ في النفوذ مُرسلاً في القرآن حتى وصلَه بقوله: ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن/ 33). فوضُح الدليل على أنّه إنما قرعَهم بعجزهم عن أنْ ينفذوا بغيرِ حُجَّة، ثُمَّ أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] واستَدلَّ أهلُ العلم باللغة أنّه لم يَتعبَّدْهم بالنفوذ.

وكذا قول الراغبين عن السِّحْر لفرعون: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ (طه/ 72) فلم يُبيحوه، بل جعلوا الأمر في يديه، فأنْ يُقْدِمْ على قتلهم فهو الذي قد وطَّنوا أنفسَهم عليه، إذْ كانوا غيرَ راجعين إلى طاعته بعدما وضُح لهم من إصابةِ الرشاد في معصيته، وأنْ يَرغبْ في تركهم فهو الذي قد ندَبوه إليه. ولم يتركوا لفظ التخيير مُرسَلاً فيكون تأويلُه مُشكِلاً، ولم يكنْ قولهم: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أمْراً منهم له بقتلهم فيجبُ عليهم به عقابٌ في آخرتهم إذ أعانوا على قتل أنفسهم، (58/ و) وهذا مَذْهبٌ مشهور في كلام العرب مُستعملٌ عند وقوع الغضب، كما

(1) وردت هذه الآية في مواضع متعددة من سورة الرحمن.

قال أبو صخر الهذليّ[1]:

فتيقّني أنْ قد كلفتُ بكم ثُمَّ أصنعي ما شئتِ عن عِلْمِ[2]

فلم يأمرْها أنْ تصنعَ ما يكره، ولكنْ لمّا لم يجدْ منها بُدّاً أحبَّ أنْ يؤكّدَ لنفسه عندها ما ترعاهُ به، أو تُقيمَ على ما أحبَّتْ من أذاه، على عِلْمٍ بما يلقاه، فيحتمل ذلك ترضّيا لها.

فهذا من المخلوقين احتيالا، وهو من الله - تعالى - تهدّداً وإنذاراً كقوله: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ (الأنعام/ 135) و: ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة/ 64) فلا يتهدّدُ الكفار إلاّ بالسطوةِ والاقتدار، كما أمرَ عباده بجهادِ أعدائهم بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/ 14-15) فهو وأنْ كان في المُحاربَةِ ألمُ الجراح وبذلُ الأرواح، ففي الآخرة النجاح والفلاح، وفي العاجلةِ تجرُّعُ الآحقاد بمسالمةِ الأضداد، وفي مجانبتهم الرشادُ والسَّدادُ وقد يُبتلى الرجلُ بكيد خصمهِ ويُمنَعُ من الانتصار لنفسه فيودُّ أنَّ الموت نزلَ به، كما قال الشاعر في بعضهم:

يرى الموتَ خيراً من حياةٍ وصحّةٍ على الذلّ إنْ نابت عليه النوائبُ

---

(1) عبد الله بن سلمة، كان شاعراً أمويّاً يجيد الغزل، وكان تابعاً لبني مروان في الحجاز، ومدح عبد الملك بن مروان، وهو من الشعراء الهذليين، له شعر رقيق.

معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 212، ورسالة الغفران 428، وخزانة الأدب 1/ 39، شرح أشعار الهذليين (العلمية) 323 .

(2) البيت من البحر الكامل، وهو من قصيدة طويلة في شرح أشعار الهذليين (العلمية) 358.

مـعَ أنَّ الله قـد أخـبرَهم: (58/ ظ) ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ (التوبـة/ 120) فهـذا في الآجلـة، وفي العاجلـة أخبرَهم أنَّ مُحاربتَهم مـع النـصر علـيهم شـفاءٌ لـصدورهم وذهـابٌ لغـيظهم، وانتصارٌ من عدوّهم، فلو لم يكن في مُحاربتِهم إلاّ واحدةٌ من هذه الخِلال لكـانَ فضْلاً عظيماً وحظّاً جسيما. ولذا قال رجُلٌ من بني عبد شمس:

دعـوتُ الله إذ قُـدْنا إليهـم ... نِلقـى مِنْقـراً وبنـيَّ عمْـرو

فـأنّي قـد نَقِمْـتُ وكـانَ بِـرّي ... بقـرْواش بْـنِ حارثـة بْـن صَـخْرِ[1]

وقال شيخٌ من باهلة، وقد دُعيَ إلى المُبارزة، فخرجَ علـى فـرسٍ أعْجـفَ، فقال أبو موسى[2]: بالٍ على بالٍ، فقال الشيخ:

رآنـي الأشـعريُّ فقـال: بـال ... علـى بـال ولم يَعـرِفْ بلائـي

(1) البيتان من البحر الوافر وهما في الحيوان 6/ 421 لرجل من عبس وبين البيتين بيت أخر:

وكانـتْ حِلْفـةً حُلِفَـتْ لـوترٍ ... وشـاءَ اللهُ أنْ أدركـتُ وِتْـري.

(2) الأشعري عبد الله بن قيس، استعمله النبي (ﷺ) مع معـاذ علـى الـيمن ثـم ولـي لعمـر الكوفة والبصرة، وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الـصوت بالقرآن، حدث عنه طارق بن شهاب، ومعيـد بـن المسيّب وخلـف، قـال أبـو إسـحاق: سمعت الأسود يقول: لم أرَ بالكوفة أعلم من علي، وأبي موسى، مات سنة 44 هـ.
انظر: طبقات الحفاظ 15، طبقات القُرّاء 1/ 442، وطبقات القرّاء للذهبي 1/ 37، الإصابه 2/ 351.

ومثلِكَ قد كسرتُ الرّمحَ فيهِ فآبَ بدائهِ وشَفيتُ دائي[1]

وقد أمر الله تعالى نبيه علية السلام، أنْ يُخاطِبَ أعداءَهُ، عند اغْتمامِهم بما أنعَم به عليه: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران/ 119). ومن كلام العرب:

فقلْنا لَهُمْ موتوا خزايا أذلَّةً ولم نَخْضُبِ الأرماحَ إلاّ من الثُّغَرْ

(الثُّغَرُ): جمع ثُغْرة، وهو موضع النّحر بين الحلقوم والصدر، يقول: قد خَضَّبنا رماحَنا مَن دمائكم(59/ و) فموتوا بغيظِكم ذلاً، إذْ لا تقدرون على الانتصار مما نزل بكم. وقال بعضهم في صفة سيف:

حسامٌ غداةَ الّروعِ حتى كأنَّهُ من الله في قبضِ النفوسِ رسولُ[2]

وكذا قولهُ تبارك اسْمهُ: (مَن كَانَ يَظُنُّ) أي: يتيقَّنُ بزعْمه (أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ) أي ينصُر محمّداً (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء) أي: بحبْلٍ إلى السقف ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ (الحج/ 15) إذا تعلَّق بهِ وقطعَه مُختَنِقاً.

وذهب السُّلمي إلى هذا المعنى فقال:

فذُقْ هجرَها قد كنتَ تزعُم أنَّهُ رَشادٌ، ألاَ يا رُبَّما كذِبَ الزَّعْمُ[3]

---

(1) البيتان من البحر الوافر، وهما في الحيوان 6/ 422، والبيت الثاني في بهجة المجالس 1/ 475.

(2) البيت من البحر الطويل، ومختلف في نسبته، فإلى أبي الهول الحميري في نهاية الأرب 6/ 210، والأنوار ومحاسن الأشعار 20، والى الغنوي في العقد الفريد 1/ 217.

(3) البيت من البحر الطويل، والبيت في مجالس ثعلب 1/ 236، منسوب إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، وفي أمالي القالي 2/ 20، وخزانة الأدب 9/ 133، ونسبه القرطبي في تفسيره 14/ 99 إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في ديوانه.

أي: كانتْ محبَّتي لها غَرَراً ومزعماً كاذبا.

وقيل في قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في نُصرةِ رسوله ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت/ 3) أي: ليَميزَنَّ[1]. كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (الأنفال/ 37) وقيل: فيه معنىً آخرُ، تأويلُه: فليُعرِّفِ اللهُ ذلك لهم وليشْكُرَنَّ المُحسِنَ، كقولك: لأُعلِمَنَّ لك إحسانَكَ وأساءَتَك. أي: لأُكافِئَنَّكَ وكذا قال المفسرون: ليعْلَمَنَّ اللهُ للمؤمنين إيمانهم، أي: يكافئهم كقول العرب: لا عرفنَّ ما صنعْتَ.

وقال مَعْمَر: هذا صواب بيّنٌ في اللغة، حَسنٌ جميل، قد جاء في القرآن (59/ ظ) مثلُه قرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي[2]: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾[3] (التحريم/ 3)

---

(1) عَدّها أبو عُبيدة معمر بن المثنى من المجاز، فبعد أن ذكر الآية قال: "مجازه: فليُميزنّ الله؟ لأنّ اللهَ قد علم ذلك من قبل". مجاز القران 2/ 113.

(2) عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعَة الكوفي، الإمام، مقرئ أهل الكوفة، ولد في حياة النبي (ﷺ)، وقرأ القرآن، وبرع في حفظِهِ، مات سنة 74هـ.

معرفة القرّاء الكبار للذهبي بتحقيق طيّار آلتي 146-151، الجرح والتعديل 6/ 3، وغاية النهاية في طبقات القراء 1/ 497-498.

(3) (التحريم/ 3) من قوله تعالى: (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ)، وبها قرأ الحسن البصري وقتادة وأبو عمرو البصري - والكسائي - وهي قراءة سبعية. انظر: البحر المحيط 8/ 290، وفي السبعة 640 أنّها للكسائي وحده، والباقون بالتّشديد.

قال الأزهري: من قرأ (عَرَفَ بَعْضَهُ) فالمعنى: أنّ النبي (ﷺ)، قد عرف كل مكان أسرّه إلى حفصة، والإعراض لا يكون إلا عن ما عرفه.

ومن قرأ (عَرَّفَ بعضَهُ) بالتشديد، فمعناه: خبّر بعضه، أي: عرّف بعضه حفصة، وأعرض عن بعض أي: عرفها بعض ما أفشت من الخبر في أمر ماريه.

=

مخفَّفة، وزعَم ألكسائي أنَّ عليا - كَرمَ الله وجه - خفَّفها[1]. ومعنى عرَفَ: غضبَ منه وجازى عليه، وقد (جازى حفصةَ بأنْ طَلَّقها واحدةً)[2] وهو وجهُ هذا، والله اعلم. وأنشدوا لطُفيل[3]:

وللخيلِ أيامٌ فمَنْ يصْطبِرْ لها ويَعرفْ لها أيّامَها الخيرِ يَعْقُبِ[4]

أي/ يحفظ لها.

وكذلك نفاق القائلين: ﴿ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الفرقان/ 8) فسَّروه على وجهين: سُحِرَ من السّحْر، أي: غُرَّ بالسحر، وقيل: بل أرادتْ قريشُ الوضعَ منه بأنَّه بشَرٌ، كقولهم: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان/ 7) أي هو بمنزلة بَشَرٍ ممّنْ له سَحْر - بفتح السين لغتُهم، ولغةُ نجدٍ بالضّم يقولون انتفخَ سُحْرُكَ أي: جبُنتَ وضعُفْتَ عن اللقاء، والبطَّن نصفان: الأعلى منهما هو: السُّحر منه يخرج النَّفَس والصوتُ، وهو متعلّقٌ بالمريء والحلقوم.

والقلبُ بضْعةٌ واحدة من الفؤاد. وقال الأصمعي: من له سُحْر يُخدَع

=

انظر: السبعة في القراءات 640، وكتاب معاني القراءات للأزهري (العلمية) 495، والبحر المحيط 8/ 290.

(1) انظر تفسير الطبري 18/ 187.

(2) سنن النسائي 6/ 213.

(3) ابن كعب الغنوي، كان من أوقف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهلية المُحَبِّر لحُسن شعره، قال عنه عبد الملك بن مروان: مَن أراد أن يتعلّم ركوب الخيل فليَرْوِ شعر طُفيل.. الشعر والشعراء (العلمية) 275.

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/ 35.

ويُغرُّ بالطعام والشراب كما تُغُّر العصافير. وإنما ذهب إلى ضَعْف العصفور - يقولون: فمحُّمد كأحدنا، فكيف صارَ أحقَ (60/ و) بالرسالة؟: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (الفرقان/ 7-8) وهم الظالمون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ لا نِظام له، وقال حمزة[1]:

وعابوا قَتْلَنا عمْراً علينا ... وما في قَتْلِ عمرو مِنْ نَدام
وقالوا: حُرمةٌ، وهُم أباحوا ... فحلَّتْ حرمةُ الشّهر الحرام
وقد كانوا هناك أشدَّ جُرْماً ... بمكّةَ بينَ زمزَم والمقام
بما صَدّوا الرسولَ وأخْرجوه ... وقالوا: ما لأمركَ من نِظام[2]

ومَن تفقَّدَ بذهنه معاني الألفاظ، ولم يجدْ بعدها خبراً يوضّحُها ففيها لا مَحالة دليلٌ لَمن اختبرها، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ (غافر/ 4) لأنَّ الغرَرَ في كلام العرب إنّما هو توهّمُ ما ليس بمُستيقِنٍ، فلما كان تقلّبهم في البلاد غيرَ دالٍّ على سوءِ عاقبةٍ ولا حسنِها، اعْتبَر الفَهِمُ بقوله: ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ (آل عمران/ 197) وعلمَ أنَّ ذلك التقلُّبَ عارٌ عليهم. فهو كلام منفردٌ بنفسه مُستغنٍ عن دلالةِ غيره عليه، إذْ كان التقلُّبُ مَتاعاً قليلاً. وهذا المعنى في كلام

(1) عم النبيّ محمد (ﷺ).
(2) الأبيات من البحر الوافر.

العرب كثيرٌ، كقول أحدِهم[1]:

فلا تحْسبي أنّي تخشّعتُ بعدكمْ لشيءٍ ولا أنّي من الموتِ أفْرَقُ[2]

فقوله: لا تحسبي، معناه: اعلمي أنّي بخلاف ذلك (60/ ظ) لأنّه نهاها عن وقوع المَحْسَبَة فيها ثُمَّ تركَها في عمياءَ من أمرها لا تدري أكانَ ما حَسِبتْه حقّاً أمْ باطلاً (61/ و) وقال آخر[3]. في[4] مثله:

فأنْ شاءَ كانَ الغزوُ جوداً ولذّةً لديهِ ولكنْ ما لدى اللهِ أوفرُ

أراد: ولكنّه وَفر أمرِ الله، ومالَهُ عندهُ من الأعمال الصالحة ليُجازيَه عليها.

وفي القرآن: ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ (الإسراء/ 63) يقال: وفَرَ الشيءُ يَفِرُهُ وفْراً وَفِرةً، ووفَّرتُ الشيء وأوفرتُه وَوَفرتُه (بالتخفيف) ولَنْ يكونَ قولُه (مَّوْفُوراً) إلاّ من قولهم: وفَرْتُه، بالتخفيف، ولَنْ يَجدوا من دون الجزاء الموفورِ (مُلْتَحَداً)[5]، المُلتَحَدُ: المُدْخَل في الأرض. كما قال خصيبُ الضّمري[6]:

---

(1) جَعفر بن عُلْبة بن ربيعة الحارثي، أبو عارم، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، شاعر غَزِلٌ مُقلّ، فارس من شعراء الحماسة لأبي تمام، لص.
معجم الشعراء المخضرمين ولأمويين 282، الأعلام 3/ 125، خزانة الأدب 2/ 130، سمط اللالي 1/ 100، ديوان اللصوص 1/ 180 (دار الكتب العلمية).

(2) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوان الحماسة للجواليقي 32، والحلل 190، وشرح التبريزي 1/ 27، وشرح المرزوقي 1/ 54، وخزانة الأدب 10/ 304، وديوان اللصوص (العلمية) 188.

(3) انتهى الجزء الأول من كتاب التفسح.

(4) من هنا يبدأ الجزء الثاني من كتاب التفسح.

(5) الكهف 27، والجن 22.

(6) شاعر جاهلي، ذكر ابن حبيب في "المحبَّر" 498 مع طائفة من الفرّارين العرب.

يا لهْفَ نفسي ولهفي غيرُ مُجْديةٍ عنى وما عَنْ قضاءِ اللهِ مُلْتحَدُ[1]

وروِيَ أنَّ ابن عباس سأل كعباً[2] عن أمّ الكتاب فقال: عِلْمُ الله عز وجل ما هو خالقٌ وما خَلْقُه عاملون، فقال لِعلْمِه: كُنْ كتاباً. وقال ابنُ سيرين[3]: أعوذُ بالله من مُخبّآت القَدر، أي ما عَلِمَه الله فاسْتطرْ كما أمَرَ، وأنشدوا:

المانع الهادي المُضِلُّ الرازقُ إذا قضى دانتْ له الخلائقُ

لأنّه بتوفيق الله وصلَ إلى طاعته، وبمعونته (61/ ظ) بُلِغَ رضوانُه، وبألهامهِ عُرِفَ فضلُه، وبتأييده استُحِقّ شكُره، وبصنعه تمّت النعمةُ على عباده.

قال الحسن[4]: إنّ الله عز وجل، لم يُطَعْ بأكراهٍ، ولم يُعصَ بغلَبةٍ، ولم يُهملَهُم من المَلَكةِ، ولم يُخرجْهم من القدرة، فهو المالكُ لِما أمْلَكهم والقادر لِما أقدَرهم، فأنْ ائتُمِروا بطاعةٍ ورشْدٍ لم يكن الله عن ذلك مُبطِئاً ولا صادّاً، ولكنِ الذين ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (محمد/ 17) وأنْ ائتُمِروا بمعصيةٍ فأنْ شاءَ اللهُ أنْ يحولَ بينهم وبين ما ائتُمروا به فَعَل، وليس كلُّ مَن لم يَحلِ الله بينه وبين المعصية، حتى ركبَها، أجْبَرهُ عليها، وأبنُ آدمَ صريع دنياه، قتيلُ هواه،

---

(1) البيت من البحر البسيط، وقد جاء مع أبيات أُخر في المحبّر 499، وهو وحده منسوب في إيضاح الوقف والابتداء 1/ 90، وبلا عزو في البحر المحيط 8/ 353.

(2) كعب الأحبار، واسمه كعب بن ماتع الحميري.

(3) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري، فقيه، محدث، مفسر، معبّر للرؤيا، ولد بالبصرة ونشأ بزازاً، وكان في أذنهِ صَمَم، اشتهر بتعبير الرؤيا، استكتبه أنس بن مالك، له كتاب (تعبير الرؤيا). معجم المؤلفين 10/ 59، تاريخ الإسلام للذهبي 4/ 192، والأعلام 7/ 25.

(4) البصري.

مُعْدِمٌ مِمَّا يُحبُّ بقاءه، مُثْرٍ مّما يكره فناءَه، والدنيا تُخْلِقُ الأبدان وتُجدّدُ الأحزان و وتُقرّب المَنِّية وتُباعِدُ الأمنية، والرأيُ والهوى مُتعاديان، ومِنْ شأنِ الناس تسويفُ الرأي واسعاف الهوى. فإذا اشتبَه أمران لا يُدرى في أيّهما الصواب، فَمَن وفّقَ لرُشده نظَرَ أهواهُما عِنْده. وطبائعُ الناس مُختلفة وأهواؤهم مؤتلِفة، توصَفُ بجملتها ويضيقُ القولُ عن تفسيرها، وإنّما تُوصَفُ إذا ظَهَرت، ولا تُعَرفُ بصفةٍ قبلَ أن تكونَ، فمثلُها كقول الشاعر في المنظر المُخالف للمخْبَر:

(62/ و)فمثلُ السيوف الناسُ والنصلُ ويبدو لعين جَفْنُه وحمائِلُه[1]

وقد أعْذرَ الله إلى خَلْقه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ ﴾ (التوبة/ 115) أي: يُسمّيهم ضلالاً وحتى يبينَ لهم ما يَتقون، لأنّ الضّلال لا يقَعُ لِمَنْ لن يَنْهَ عن شيء ففعَلَه، أنّما يقع استحقاقُه لِمَنْ أُمِرَ بشيءٍ فتركَه أو نُهيَ عن شيء فارْتكبَه مُخالفاً فيه لِمَنْ يعبدُه.

وقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ (الإسراء/ 106-107) ليس بتخيير، ولكنّه تهديدٌ ووعيدٌ لِمَنْ قال: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ ﴾ (سبأ/ 31) فتصد يقُهم بالقرآن وتكذيبُهم له سيّان ومثله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف/ 29) لا تخيير، ولكنْ تخويفٌ وتحذيرٌ وكذا قوله: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ ثمَّ قال: ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت/ 40). و ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴾ (الأنعام/ 59) من ظاهرٍ وكامنٍ و وما كُلّ امرئٍ عامل.

فأمّا قوله تعالى: ﴿ مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ (الأنعام/ 63) وليس بمُظْلمين،

(1) البيت من البحر الطويل ولم أقف عليه ولا على قائله.

فقالوا[1]: تأويلُه: شدائدُهما من قولهم لليوم الذي تلقى فيه شِدَّة: هذا يوم مُظْلِمٌ. وتقول: هذا يومٌ ذو كواكبَ أي اشتدَّتْ ظُلْمَتُه حتى طَلعتُ نهاراً كواكبُه، كما قال الشاعر:

بَنى أسَدٍ هل تعلمونَ بلاءَنا إذا كانَ يومٌ ذو كواكبَ اشْهبُ[2].

(62/ ظ) قال الأصمعي: إنّما ظُبِطت العربية قبل الإسلام بمئتي سنة. وذلك لخروج النبي (ﷺ) باللسان العربيّ المُبين المعاني، وإنّما سُميّت الجاهليةُ، لأنّها جَهلتْ بما جاء به الأنبياءُ عليهم السلام.

وقوله: ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ (المرسلات/ 6) واحد. والأعْذار والإنْذار واحدٌ، إلاّ أنَّ الأعذار من الله تعالى، والإنذار من الرسول ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (يس/ 6).

---

(1) (انظر التأويل في الكشاف 2/ 33) وزاد المسير 2/ 57.

(2) البيت من البحر الطويل ويبدو أنّ البيت مُلفّق، والصحيح أنهما بيتان رواهما سيبويه، فالبيت الأول في كتاب سيبويه 1/ 47، والمقتضب 4/ 96، واللسان وتاج العروس (شهب) مرويّ:

فدىً لبني ذُهْلِ بن شَيْبَانَ ناقتي إذا كانَ يَومٌ ذوب كَواكبَ أشْهَبُ

وقد نسبه سيبويه لمقّاس العائذي.

ثم روى سيبويه البيت الأخر ونسبه إلى عمرو بن شَأس، وهو قوله :

بني أسدٍ هل تعلمونَ بلاءنا إذا كان يوماً ذا كواكب أشْنَعا

ثم اتبعه ببيتٍ ثانٍ يقول فيه:

إذا كانت الحُوُّ الطوالُ كأنّما كساها السلاحُ الأرجوانُ المضلَّعَا

انظر البيتين في ديوانه 31-32، وكتاب سيبويه 1/ 46-47 والأول في النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشّنتمري 1/ 184.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقد ذكرنا أنَّ في القرآن من فوائدِ اللغات مثلَ ما في الكلام العربيّ من الغريب ومن المُحْتمِل للاختصار والحذْف والكفّ عن الأخبار ومجازِ ما لفظُه الواحدُ ووقَعَ على الجمع[1].

وما جاءَ من كلام العرب ليس على جَمْعٍ مُطّردٍ نحو: الجمْع الذي هو على غيرِ واحدِه، يقولون: ظِئْرٌ و ظُؤَار[2]، وللحمار: عِيرٌ ومَعْيورَاء للجميع، وشَيْخ ومشْيوخَاء - فكلُّ ذا على غير قياسِ ما جُمِعَ عليه الواحُد. وإنّما ذلك لأنَّ ذا لا يُفْسِدُ من المعنى شيئاً، وأنما هو كالأسماء المفرَدة التي يوضَعُ كلُّ واحدٍ منها على شيء ليُعرفَ به. والقرآن قد جاءَ بمثله، كقوله تعالى: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[3] (التغابن/6) لأنّه اسمٌ للجمعِ. ألا ترى قولَهم: (إبل) لجماعة الجَمَل وغَنَم لجماعة الشّاء، (63/و) وخَيل لجماعة الفرَس، ونساء لجماعة المرأة، فالمعْيوراء والمشْيوخَاء أقربُ من هذا إذ كان فيه حرفٌ من حروف الواحد.

وليس في كلامهم شيءٌ يكثُرُ فيه ما لا يطّردُ فيه القياس، إلأشباهُ، هذا المعنى مِمّا لا يُغيّرهُ ترك القياس.

ومن كلامهم ما لفْظهُ لفظُ الجميع ويَقعُ معناه على الاثنين، اتساعاً من العرب في كلامها ومعاني ألفاظها، فالاثنان جَمْعٌ في حقيقة القياس لأنّه جُمِع أحدُهما إلى الآخر.

---

(1) هذا الكلام منقول عن مجاز القرآن 1/ 18 بتصرف.

(2) جاء في الصحاح (ظأر): الظِئْرُ مهموز، والجمع: ظُؤَارٌ على فُعالٍ - بالضم - وظؤُورٌ، وأظآرٌ، وظُؤُورَةٌ... و ظَأَرَتْ النّاقةَ ظَأْراً، إذا عَطفْتَها على غير ولد غيرها. وانظر: العين 8/ 167.

(3) (التغابن/ 6) قال الأخفش في معانيه 2/ 501 ؛ لأنّ البشر في المعنى: جماعة.

وهم يتكلّمون بألفاظٍ مختلفةٍ لمعنى واحدٍ، ويُضمرون كلاماً لو أظْهروهُ حَسُنَ إظهاره، وأنّما تركوهُ استغناءً عن إظهاره، ويكَّررونَ التوكيدَ يقال: تكرير وتكْرارٌ، وكلُّ هذا جائزٌ عربيٌّ قد تكلّمتْ به فُصحاءُ العرب.

ويتكلّمُ بعضُهم بألفاظٍ لا يتكلّمُ بها الآخرون، ولعلّ عامّةَ الأجناس من العَجَم لا يفعلونَ ذلك، فليسَ لأحدٍ أنْ يَحْملَ ألفاظَ العرب على ألفاظِ العَجَم ولا ألفاظَ العَجَمِ على ألفاظِ العرب، وليس لأحدٍ أنْ يَدْخل على أحدٍ في لغته.

وسنذكرُ علّة ما اتّسعوا فيه من هذه الأبواب، ففهمُها واجب لطالبٍ راغب لا لنحويّ بزعمه، وهو عن محْضِ الصواب ذاهب، لأنّه قلّ نحويٌّ للرزق طالب إلاّ (63/ ظ) وهو لاشْتغاله بدَنيّ المكاسب لا يُحيطُ بعلم ما يرجو نفعَه في العواقب من سَنيّ الذخائر وشريف المراتب، ومَنْ لم تَسْمُ نفسه لعِلْم تلك المواهب لم يكُنْ بالقرآن ذا فهْمٍ وعلم ثاقبو وأنْ كانَ متعمّقا في الشعر وعويصه، والغريب ووحشيّه، ولَعمْري، لو اختُبِروا لعزَّ أنْ يوجد الواحدُ منهم بعلم كتاب الله – تعالى – ماهراً، بل تراه في طلب عِلْم القرآن زاهداً وفي معاني الشّعر راغباً، مؤْثِراً لقرآنِ الشيطان[1] على تنزيل الرحمن فمثَلُهم كقول الشاعر[2]:

---

(1) يريد به الشّعر، كما قال أبو النجم العِجْلي:

إني وكلّ شاعرٍ مِنَ البشرْ ... شيطانُهُ أنثى وشيطاني ذكَرْ

فما رآني شاعرٌ إلّا أستتَرْ ... فِسْلَ نجوم الليلِ عاينَّ القمَرْ

انظر: خزانة الأدب 1/ 103.

(2) عبد الله بن الحارث، كما ذكر السهيلي في الروض الأنف 3/ 213.

إنّـا تبعنـا رسـولَ الله واطّرحـوا قـولَ الرسـولِ وعـالوا في المـوازينِ [1]

وقد أوضَحَ الله الحقَّ ودَلَّ عليه، وأقامَ الحُجَّة فيه، وأنزلَ كتابَه باللغة الـتي يعرفُها أهلُها ويُجْرُونَ عليها معانيهم بلا كُلْفة ولا اعتياصٍ.

فأما نحن - بعد تغيير الطبائع - فنحتاجُ أنْ نتكلَّفَ ما يُقرّبُنا مِـن اللحـاق بهم في مذاهبهم، فنعتمدَ على الأخبار عـن اتّساعهم في اللغـة الـتي فـضَّلها الله تعالى بذلك، فالطاعنُ على العرب في كلامها جاهل هالكٌ بذلك، لأنّه كـالوحي منها والإيماء إلى معانيها، فيقعُ فيه الاختصار والإيجاز.

وإنّما الاحتجاجُ باللغة علـى أهـل الإلحـاد في الـدين لّمـا أنكـروا التوكيـد والتكرير (64/ و) في التنزيل بعدَ الإيجاز، جهلاً منهم بالتأويل، فتعلَّقوا بمثل قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ (النحل/ 26) والسّقفُ لا يكون إلاّ مِـن فوق، وبقوله: ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (الأنعام/ 38) وما أشبه ذلك، وقـد بيّنـاه في (معاني القرآن).

وإنما وقع التوكيد في كلام العرب للاتّساع، وذلك غيرُ مدفوع، قـال أوس بن حجر[2]:

---

(1) البيت من البحر البسيط، وهـو غـير منسوب في سؤالات نـافع 20، وأسـاس البلاغـة (عول)، والجمهرة 3/ 140.

(2) ابن عتاب الشاعر الجاهلي الوصّاف، للحُمُر والسلاح، كان شاعرَ مُضَرَ حتى نشأ النابغة وزهير، فأخملاه. فكان شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع، . قال عنه الأصمعي: أوس بـن حَجَر أشهر من زهير، ولكنّ النابغة طأطأ منه.

الشعر والشعراء (العلمية) 107- 109، وانظر: الاشتقاق 207.

الَمْ تكسفِ الشمسُ شمسُ النهار مـع الـنّجْم والقمـر الواجـبِ [1]

والشمس لا تكون إلاّ بالنهار، وقال آخر[2]:

أجلْ شُغِلْتَ فما أُعطيتَ من سعةٍ حتـى يُغيّـبَ لحْيـيْ رأسـكَ الجْـولُ [3]

أي جانب القبر. واللحْيان لا يكونان إلاّ للرأس. وقال عنترة [4]:

حَـرِقُ الجنـاحِ كـأنَّ لحْيـيْ رأسـهِ جَلَمـانِ بالآخبـارِ هـشٌّ مولَـعُ [5]

---

(1) البيت من البحر المتقارب، والبيت في ديوانه/ 10 باختلاف الألفاظ.

والواجب هنا: الغائب، قال ثعلب: وجَبَت الشّمْسُ: غَابَت.

انظر: شرح الفصيح، لابن هشام اللخمي 102، وتاج العروس (وجب).

(2) أبو عطاء السندي كما في أمالي ابن دريد 162.

(3) البيت من البحر البسيط، وليس في شعره.

(4) ابن شدّاد العَبْسيّ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، شهد داحس والغبراء، فحسُنَ فيها بلاؤه، وحُمدت مشاهده، وكان يلقب بعنترة الفلحاء، ذهبوا به إلى تأنيث الشّفَة، مأخوذ من الفَلَح وهو انشقاق الشفة السفلى. وهو صاحب المعلّقة المشهورة من البحر الكامل ومطلعها:

هَـلْ غـادرَ الـشُّعراءُ مـن مُتَـرَدَّمِ أم هَـلْ عرفـتَ الـدّارَ بعـد تـوَهُّمِ

انظر الشعر والشعراء (العلمية) 137، شرح ديوان عنترة (العلمية) 3.

(5) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوانه (العلمية) 84، وهو البيت الثاني من قصيدة مطلعها :

ظَعَـنَ الـذين فـراقُهُم أتوقَـعُ وجـرى (ببينـهمُ) الغـرابُ الأبقَـعُ

وقد ورد بلفظ (بينهم) وبذا يختل وزن البيت، فلا يستقيم عروضياً.

والجَلَمان: مثنى: جَلَم، وهو المِقَصّ، أو المِقراض. وهذا المعنى أراده المتنبي عندما قال :

مِن أيّة الطّرقِ يأتي لحوكَ الكرَمُ أينَ المحاجِمُ يا كافورُ والجَلَمُ

ومثله كثيرٌ في كلام فصحاء العرب.

وفي كتاب الله - تعالى - ألفاظٌ كألفاظهم تسبقُ إلى القلوب معانيها على ظاهر لفظها، وتأتي العلماء بخلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج/ 29)

قالوا: ليس عِتْقُه قِدَمَه، ولكنّه عُتِقَ من مَلِك الجبابرة[1].

وقوله: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ (التغابن/ 14) قالوا: معناه: محبّتُكم لهم تدعوكم إلى أنْ تعْصوا الله - تبارك وتعالى - في ارْتكاب المحظوراتِ احْتياطاً لهم، لأنّه لم يخْصُصْ كبيراً دون صغير، فتلك عداوتهُم، والله أعلم.

وقوله تعالى: (64/ ظ) ﴿ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾(الأعراف/ 163) بمعنى/ يَعتَدون.

(وقوله تعالى): ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ (العنكبوت/ 29) أي: في أدبارِكم، وإنما خوطبِ بهذه الآية قومُ لوطٍ، فكنى عن الأدبار، وعن ابن مسعود: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ أي: من أمرائِكم، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ (الأنعام/ 65) بسقلتكم. وهذا يُصحّحُه ما نراه في زماننا.

(وقوله تعالى): ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ (محمد/ 22) بمعنى: ولّيتُم، وقد قُريء (تُولّيتم) بضمّ التاء[1].

---

(1) فلم يظهر عليه جبّارٌ قطُّ، وهذا قد رواه ابنُ الزُّبير في حديثٍ مرفوع، وصححه السيوطي، انظر: تاج العروس/ عتق/ والجامع الصغير 1/ 103.

وكله عربيّ أنزلَه الله بألفاظهم المعروفة عندهم، وأراهم قدرته فيه، بعجزهم عنه في فهمهم له ومعرفتهم به، قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور/ 34) والحديثُ في كلام العرب هو الأخبار. فأخرسَ الله تعالى الألسن عن الأخبار بمثله، فلما بهرهم صوابُه وأعجزهم جوابه، ولم يقدروا أنْ يعيبوا منه مقالاً، ولم يَدعوا في إعرابه مجالاً ردُّوه من جِهة المُعانَدة بالمجاحدة، فقالوا: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت/ 26).

وفي كتاب الله تعالى من لغات العرب المُحتَمِلة للمجاز مثل هذا كثير، مِمّا عرفتْه العاربة المكَذّبة بالقرآن، فلم يجنحوا عن إبطالها، وعن الجحود بأنزالها عناداً وكفراً وهم بصحّة تأويلها عالمون، وأنكر تأويلها (65/ و) المتُعَربةُ مِمَّنْ لم يعرفْ تصرّفَ لغاتها فظلَّتْ أفهامُهم زائغةً عن صوابها، فلاهُم- إذْ لم يعرفوا – تعلَّموا أعراضَ اللغات، ولا – إذْ جهلوا – سَلِموا من التبعات.

فمن ذلك أنَّ الحرفَ عند قوم يُقام مقامَ الحرف في بعض اللغات اتساعا، كقوله: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود/ 6) فَظنَّ من لا يعرفُ كلام العرب أنّه – جل ثناؤه- مُكفّل بأرزاق خلقه وعباده أجمعين، ولو كان كذلكَ ما رأيتَ جائعا، وأنتَ قد تراه ميّتاً جوعاً وعطشاً، وإنّما المعنى عند أهل الكوفة: ألا إلى الله رزقها، يُعطي ويمنع، وكذا قوله – تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (النحل/ 9): أي إلى الله ذلك، ولو كانَ مُتكفّلاً بقصْد السبيل ما =

(1) والواو وكسر اللام. بها قرأ عليّ رضي الله عنه، ويعقوب، وأويس، وعبد الله بن أبي إسحاق، قال ابن جني معناها: ان تولاّكم الناس، وقال العكبري: أي ولّي عليكم.
انظر: المحتسب (دار الكتب العلمية) 2/ 321، إملاء ما منّ به الرحمن 2/ 237، الإتحاف 394، وقرأ النبيّ (ﷺ) وُلِّيْتُم".

جارَ احَدٌ ولا ضَلّ، والصوابُ عند الفقهاء من أهل اللغة ألاّ يُخرجوا الحرف عن بابه ما وجَدوا لمعناه مَساغا، فالتقديرُ عندهم: إنّ الله - عز وجل - إذا رَزَقَ عبادَه رزقاً فعلى الله سَوقُه إليه حتى يُوفّيَه إيّاه، وعلى ذلك قولُ الشاعر:

إنَّ المقاسمَ أرْزاقٌ مقدَّرَةٌ ... بين العباد فمحرومٌ ومُدّخِرُ
فما رُزِقْتَ فأنَّ الله جالبهُ ... وما حُرِمْتَ فما يَجري به القَدَرُ
فالهمُّ فضْلٌ وطولُ العيش مُنْقطعٌ ... والرزقُ آتٍ ورَوْحُ الله منتظَرُ[1]

(65/ ظ) ولله – عز وجل- أن يبتليَ من عباده مَنْ شاءَ بما شاء كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ (المعارج/ 24-25).

وقد وصَفَ اللهُ نفسَه بأشياءَ قد وصَفَ بها بعضَ خلْقه فاتَّفقتْ الأسماء في المعلوماتِ المشاهَدات، واختَلفَتْ في الذوات المغيبات، فأرادَ تعالى منا أنْ نِستدِلَّ على ما لا نَعْلَم من صفته بما قد عَلِمناهُ من صفاتِنا وهيآتنا، فالأسماءُ بألفاظِها واحدةٌ وهي في ذاتِها مختلفةٌ متباينة، فنَسبَ - عز وجل- إلى نفسه الرِّضا والغَضَبَ، وقد عرفناهُما من أنفسِنا، فكان رضاه ثواباً وغضَبُه عقاباً، وهو مِنا- وأنْ وافقت الأسماءُ الأسماءَ - على خلافِ ذلكَ، فغَضبُنا ألَمٌ ورضانا سرورٌ، وهو عن ذلك - جل وعز- مُتعالٍ وكذلك الرحمةُ من الله - عز وجل- تَفضُّلٌ ورأفةٌ، ومِنّا ضَعْفٌ ورِقّة.

وفي القرآن ألفاظٌ للمعاني مترجِماتٌ، وقد تحْتمل التأويلات، فلا يُقطَع على الله تعالى أنّه أرادَ كذا دون كذا، إلا فيما لا يَحْتملُ غير تأويلٍ ظاهرٍ و قد

(1) هذه الأبيات من البحر البسيط جاءت في قصيدة أوردها أبو علي القالي البغدادي في أماليه 2/ 223، ولم يُشر إلى اسم الشاعر.

جاءَ عن ابن عباس أنّه قال[1]: ليس في الدنيا شيءٌ من وصْفِ الآخرة ألا الأسماء، فأمّا المعاني فمختلفة.

وكذلك ليسَ شيءٌ مِن أفعالِ المخلوقينَ يُشْبِهُ أفعالَ الخالق، وهي عنه- عز وجل- مُخْبِرةٌ وعليهِ دالّةٌ، فالألفاظ (66/ و) متّفقَةٌ مسموعةٌ والمعاني مفهومةٌ معلومةٌ.

فالدنيا مرآةُ الآخرةِ تُريكَ ما غابَ عنها بما شاهدْتَ منها فالأسماء تَجمَعُ بالصفات وتَفْتَرِقُ بالذات.

فاليقينُ ما باشَرَتهُ بحواسّك، والأيمان ما عرفته بقلبكَ.

فجَعَلَ اللهُ القرآن هُدىً لِمَنْ رفَعَهُ إلى عِلْمِ فَضْلِهِ، وعمىً على تركَه الله في ضَلالتِه عِنْد إعراضِه عَنْ تَفهّم فضيلتِه، كالمُعاقَبِ له، بذلك تركهم في ضلالتهم يعمهون.

فالقرآن رحمةٌ من الله تعالى لِمَنْ رفَعَهُ إلى عِلْمِ فضْلِهِ، ولا حُجَّةَ على الله لِمَنْ رُفِعَ فَضْلُه عنه، لمعرفةٍ بعيدةٍ، وقد جعَلَ الله القرآن تِبْيانا لكلّ شيء، وهدى ورحمةً، يقول تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (النساء/ 59) أي: إلى كتابه الذي وصفه فقال: ﴿حُكۡمًا عَرَبِيّٗا﴾ (الرعد/ 37) فأحكامُهُ لعباده مُنيرةٌ شافيةٌ، والسُّنَّة العادلةُ بإيضاحها ماضية.

وفي القرآن ألفاظٌ تَحْتَمِلُ معنى شدّةٍ ولينٍ، ومعنى لين - ليكونَ مَن هَمَّ بها خائفاً من شدَّتها وأليمِ عقوبتها، ومَنْ وقعَ فيها كان راجياً للينِها،

(1) انظر: القول باختلاف في تأويل مشكل القرآن 57.

مؤمّـــلاً للخلاص منها، كما قال القائل:

أمـــورُ اللهِ مُرتَجـــةٌ علينـــا ليـــأمنَ خـــائفٌ ويخـــافَ راجٍ

فأحَدُ المعنيين غير مُـرخِصٍ في معاصـي الله تعـالى (66/ ظ) والأخـر: غـيرُ مُقنط من رحمة الله تعالى - وهو كقولـه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (المائدة/ 44)، والكفْرُ على وجوه: فقد يكـونُ غـيرَ حـاكمٍ بهـا وهـو مُقيمٌ على جحودها والتكذيب بها، فيكون ذلك مـستوجِباً لاسـم الكفـر. وقـد يكون: غير حـاكمٍ بمـا أنـزلَ الله تعـالى علـى غـيرِ الجحـود والتكـذيب، فيكـون مستوجِباً لاسم الخطيئةِ دون الكفْر، فأُنزِلتْ مُجْمَلةً غير مُفسَّرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ (النساء/ 93) فجاءتْ على لفظٍ يحتملُ وجهـين:أحـدُهما:إيجـابُ النـار، والآخـر: الأخبار عن الجزاء، أي: فجزاءُ العبْد هـذا الجـزاء. كقولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ (النساء/ 10) فـالظُّلْمُ قـد يكـون: شِـرْكاً [1]، كمـا قـال عـز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/ 13) والظّلْمُ يكون: الخطيئة.

فالواجبُ علينا انْ نكونَ من ذلك خائفين، ومـن رحمتـهِ غـير آيـسين، وأن نؤمنَ بالألفاظ التي نزلَتْ في كتاب الله عز وجل ونَـردَّ الحكـم فيهـا إلى عِلْـم الله تعالى بعد التفهُّم لأمثالِهنّ قبل الابتلاء بهنّ وقـد يجـيء اللفـظُ في القـرآن علـى معنيين كما جاء في اللغة الواحد في موضـع الأثـنين، كقولـه تعـالى: (الـسّلطان) يكون على وجهين: حُجَّة وقدرة (67/ و)، فالقـدرة: قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ (الحجر/ 42) أي: قدْرة، بعصمتي لهم. والباقي حُجَّة.

(1) انظر: تأويل مشكل القرآن 359.

ومثل ذلك: (المُلْك) يكون مُلْكاً وعِلْماً، كقوله في آل إبراهيم: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/ 54) أي: عِلْماً، ألا تراهُ قال: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ أي: صَدَّقَه ﴿ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾ (النساء/ 55) أي: عن العلم، وقال تعالى في التمليك: ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن ﴾ (آل عمران/ 26).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء/ 16) ولم يقل: (إنَّا رسولا) استغنى بعِلْم المُخاطَبِ أنّه ذلك يعني.

وقد قيل[1]: إنَّ الرسولَ قد يكون بمعنى: الرسالة، كما قال لبيد:

* ولا أرْسَلَتْه أُمّهُ برسولِ *[2]

أي: برسالة.

وكقوله تعالى: ﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر/ 45) ولم يقل: الأدبار. وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ (الشعراء/ 77) وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم/ 4) ولم يقل: ظُهرَاء، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر/ 54) وذلك كقول العرب: ظَلَلْنا في خوخةٍ وتفّاحةٍ ورمّانةٍ، وما أشبه ذلك، وقد ظلّوا في كثيرٍ من ذلك، وكقولهم: هَلكَ الشّاةُ والبعيرُ، وأهْلَكَ الناسَ الدِّينارُ والدِّرْهم، يعنونَ الجماعة، فكذلك قوله: (ونَهَرٍ) بمعنى الأنهار.

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ (النساء/ 4) وقال تعالى: (67/ ظ) ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (غافر/ 67) وقال عز وجل: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء/ 69) وقال تعالى: ﴿ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ (الملك/ 11)، وقال تعالى:

---

(1) القائل أبو عبيدة في مجاز القرآن 2/ 84.

(2) هذا عجز لبيت من الطويل، وهو غير موجود في ديوان لبيد.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ (الملك/ 13) ولم يقل: أقوالكم، وقال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم/ 43).

فكلّ هذا اتساع معلوم، ومعنىً مفهوم، ومثلُه في اللغة قول العباس بن مرداس[1]:

فقلنا أسْلموا إنّا أخوكمْ وقد برئتْ من الأحَنِ الصدورُ[2]

ولم يقل: إنّا إخوتُكم، وقول الآخر:

يا عاذلاتي لا تُرِدْنَ ملامتي إنَّ العواذلَ ليسَ لي بأمير[3]

أي: بأمراء. وقال جرير:

دعونَ الهوى ثُمَّ ارْتَمينَ قلوبنا بأسْهمِ أعداءٍ وهُنَّ صديقُ[4].

أي: أصدقاء.

وقد يجيء قولٌ يسبقُ إلى القلوب خلافُه، قالَ الله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا

---

(1) ابن أبي عامر بن رفاعة بن الحارث، أحد فرسان الجاهلية وشعرائها المذكورين، وفد على النبي (ﷺ)، وأسلم قبل فتح مكّة، شاعر مخضرم، أمُّهُ الخنساء الصحابية الشاعرة، كان من المؤلفة قلوبهم، يُدعى فارس العُبيد (والعَبيد: فرسه) وكان ممّن ذم الخمر في الجاهلية وحرّمها. (مات سنة 18هـ).

معجم الشعراء المخضرمين 236، سمط اللآلي 1/ 32-33 – البرصان والعرجان/ 182.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه/ 52.

(3) البيت من البحر الكامل، وهو غير منسوب في معاني الاخفش 2/ 423، والخصائص 3/ 174، والمغني 1/ 232، و شرح أبيات المغني لعبد القادر للبغدادي 4/ 283 نقلا عن التفسُّح والعجز وحده في مجاز القرآن 2/ 45، وتأويل مشكل القرآن 220 .

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه/ شرح عمر فاروق الطباع 331.

وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ ﴾ (التوبة/ 102) فسبَقَ إلى القلوب أنّهم أساؤا، فرَجاهُم أنْ يتوبوا، وذُكِرَ ذلك لسفيان، فقال: والله ما خلطوها، ولقد أفردوا كُلَّ واحدٍ منهما، ولكنّهم قومٌ عَمِلوا السيئات وهم يعلمون أنّها مُحرَّمةٌ عليهم،وهم ضِدُّ قوم وبَّخهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (فصلت/ 22-23).

وقوله تعالى: (عسى الله) فهذه عِدةٌ من الله واجبة (68/ و) لعبْده إذا رَجاه وفّاه، فهذا خاصٌّ للخالق تعالى، و للمخلوق علّتان هما منفيّتان عن الخالق – جلّ و علا- فقدْ يَعِدُ الرجل الشيءَ يرى أنّه يتمُّ ولا يُساعده عليه القدَر، أو تسبقُ منه عِدَةٌ ثُمّ يبدو له في ذلك فيكونُ له الرجوع، وليسَ لهذا مجازٌ في الخالق – تعالى، وقد اوجَبَ على نفسه – عز وجل- بأنْ قال: ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران/ 9) أي: إنّ الله لا خُلْفَ لوعده.

وقد توّهم قومٌ في إعراب القرآن مجازاً مُخالفاً لِما نطقَتْ به اللغةُ القويمةُ في قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (طه/ 63) فلّما أعجزَهم فهْمُه توّهموا أنها (إنّ) الثقيلة العاملة و نسبوه إلى اللحْنَ، وإنّما معناها (نَعَم)[1] لاتّساع اللغة في فنون العربية، كقول الأسدي[2]:

قالوا غدرْتَ فقلتُ إنَّ و ربّما ... نالَ العُلى و شفى الغليلَ الغادرُ[3]

(1) (هذا رأي المبرّد قال: أولي الأمور بـ (إنّ) المشدّدة أن تكون هاهنا بمعنى (نَعَم). انظر: الحجة في القراءات لابن خالويه 243.

(2) مسعود بن عبد الله كما في حماسة البحتري 12.

(3) البيت من البحر الكامل، وغير منسوب في إعراب القرآن للنحاس3/ 44، وآمالي ابن الشجري 1/ 323.

وأمّا النحويّون فقد احتجّوا بغير ذلك[1] وليسَ الاحتجاج بالشواذ من اللغات حُجَّة، ومعاني الفصاحة موجودة.

فكذلكَ توّهموا في معرفةِ إعراب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/ 5) والعرب تقول: إياك وأياها. وأصل الكلام عندهم: لقيتُك إيّاك، يجعلون: إياكَ، صِفةً للكاف وتبَعاً لها. وقد يستغْنونَ أيضا ب (كاف) المُخاطَبة و بـ(الهاء)، (68/ ظ) اللتين يكونانِ في آخِرِ الفعْل، عند إدخال إيّاك بعدهما، إذْ كانَ كالنَّعت فتقول: لقيتُكَ، وتسكت، ولا تذكرْ إيّاكَ بعده.

وربَّما اتَّسعوا فجعلوا (إياك) في موضع (كاف) المخاطبة و(الهاء) في

---

(1) وكان مما أحتجوا به أنْ قالوا: "ويجوز أن تكون (إنْ) مهملة، فـ (هذان) مبتدأ، و (ساحران) خبره واللام هي الفارقة التي تُشعر بكون (إنْ) مخفّفة وقالوا: إنْ: نافية، واللام: بمعنى "إلّا" وفيه بُعد وتوجيهها أنَّ الأصل (إنَّ هذين) فخفّفت (إن) بحذف النون الثانية وأُهملت كما هو الأكثر فيها إذا خُفّفت وارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر، فجيء بالألف، ونظيرهُ أنّك تقول: (إنَّ زيداً لقائمٌ) فإذا خفّفت فالأصح أنْ تقول: (إنْ) زيدٌ قائمٌ) على الابتداء والخبر.

وقرأ أبو عمرو بن العلاء (هَذينِ) وشدَّدَ النون يعني: (إنَّ هذان) بالتشديد والإتيان بالألف؛ لأنّ إنّ يجب إعمالها مكان الظاهر الإتيان بالياء - وقد أجيب عنه من وَجهين:

أحدهما: أنّها على لغة بلحارث، وخثعم، وزبيد، وكنانة، وآخرين، ممن يستعملون المثنى بالألف دائماً يقولون: جاء أخاك، ورأيتُ أخاكَ، ومررت بأخاك.

وعليه جاء شاهد ابن عقيل :

إنّ أَبَاهَا وأبا أباها قَدْ بَلَغَا في المجدِ غَايتاها

والآخر: أنّه لمّا كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في التثنية كالمفرد ؛ لأنّه فرعٌ عليه، واختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الغائب، اللتين في آخر الفعْل، كقولهم:

* إيّاك حتى بلَغَتْ إياكا[1] *

يريد: حتى بلغتْكَ. وكقوله:

مُبّـرأٌ مـن عيـوبِ النـاسِ كُلِّهـمُ واللهُ يرعـى أبـا حَـرْبٍ و إيّانـا [2]

ولم يقل: ويرعانا. فحذفوا كما تـرى (كـاف) المُخاطَبـة، وجعلـوا إيّـاك في موضعها و خَلَفاً منها لاصْطحابها، كما قال تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ﴾.

ومثلُه: إيّاكم طلبْنا، وإيّاهم لقينا. ليس قبلَ هذا الكـلام فِعـلٌ و لا غـيره، فيكون(إيّاك) تابعاً، فلذلك صارت(إيّاك) بمنزلة الظاهر، إلاّ أنْ يحتـاجَ عربـيٌ أنْ يُدخِلَ (كاف) المخاطَبة على ما حقّه التأخير ضرورةً، كقوله:

فلـو أنّهـا إيـاكَ عـضَّتْكَ غيرُهـا جَرْرتَ على ما شئتَ نحراً و كلْكلا[3]

---

(1) شطر بيت من الرجز لحُميد الأرقط كمـا في كتـاب سـيبويه 2/ 362، وانظـر: الخـصائص 1/ 307، والإنصاف 699، وخزانة الأدب 2/ 406، ومعناه: إنّ هذه الناقـة سـارت إليـك حتى بلغتك، وقبله :

* أتتْكَ عنس تقطع الأدراكا *

والشاهد فيه: وضع "إيّاك" موضع الكاف ضرورةً.

(2) البيت من البحر البسيط، وهو مجهول القائل، من الأبيات التي لم يتمكّن الدكتور رمـضان عبد التواب من نسبتها إلى قائل معين في بحثه أسطورة الأبيات الخمسين 244، المنـشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والعشرون لسنة 1974م.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو للمرّار بن سعيد الأسدي كما في الكتاب 1/ 150، ولم يرد في شعره، أو لعبد الله بن الزّبير الأسـدي كمـا في فرحـة الأديـب 180-181، ولم يـرد في شعره المبدع أيضاً.

ووجه الكلام: فلو أنّها إيّاك عضّلٌ غيرُها؛ لأنّ الفعلَ لـ (غير) فيجب تذكيرهُ لتقدّمهِ.

وكذا قوله: فلو أنّ حفْصاً إياك ضربَكَ غيرُهُ غضبتَ. والتقدير: فلو أنّ حفْصاً إياك ضربَ غيرَه غضبتَ. (69/ و) ولا يُحتاج إلى الكاف في (ضربكَ)؛ لأنّ الكاف في(إياك) دلّتْ على المعنى، والتقدير: ضَرَبَ غيرُه إياك، ألا ترى أنّه لا يَحسُنُ: إياكَ نعبُدكَ.

وهذا التفسُّحُ في الشّعر أوسعُ منه في الكلام.

وتقول العرب على هذا الحدّ و قياسِ هذه اللغة: أتاني القومُ خلا إيّاكَ. في لغة من ينصبُ بـ(خلا)، وكذلك: أتاني القومُ ما خلا إياه. لأنكَ قد تقول: ما خلاك. فجعلتَ (إيّا) في موضع الكاف.

ومثل ذلك قولهم: أتاني القومُ ليسَ إياكَ لأنّكَ قد تقول:أتوني ليسَكَ.غيرَ أنّه في باب (كان) أحسنُ منه في باب (ليس) و(خلا) لأنّهما لا يتمكّنان تمكُّنَ (كان) و لا يتصرّفان تصرّفه، لأنّه أصلٌ في بابها. فهذا فِقه اللغة، ولا يخرج شيءٌ منه عن قياس.

وتميم تَجعلُ (أنتَ) تَبعاً للكاف، وهو قياس صحيح، لأنَّ الفعلَ لا يخلو من فاعِله، مُضمراً أو مُظهراً، كقولهم: لقيتُكَ أنتَ. فإنْ بُديَ بها قبلَ الفِعل، لم يجعلوها: أنْتَ. لا يقولون: أنتَ لَقِينا، ولا: أنت طَلَبْنا، لأنّها إنّما تَقَع تأكيداً. وقد يجعلون: أنْتَ في موضع (إياكَ) كما قال الشاعر[1]:

(1) جِران العَوْد النميري.

يـا ليـتنى و أنـتِ يـا لمـيسُ ببلـدةٍ لـيس بَهـا انـيسُ [1]

(69/ ظ) ف (النون و الياء) نَصبٌ. و(أنتِ) رفع، وكذا قوله [2]:

وألاّ فـاعلموا أنـا و أنـتُمْ بُغـاةٌ مـا بقينـا في شِـقاق [3]

وكذلك يفعلون بالـشّريك الـذي ب(الـواو) و يُقدّمونَـهُ قبْـلَ المُـشْرَك بـه اتّساعاً، كقوله[4]:

ألا يـا نَخْلـةً مـن ذاتِ عِـرق عليـكِ و رحمـةُ اللهِ الـسلاَّمُ [5]

وكذلك قول الأخر[6]:

أتجْـزَعُ إنْ نفـسٌ أتاهـا حِمامهُـا فهـلاّ الـتى عـن بـينِ جنبيـكَ تَـدْفعُ [7]

والوجه: فهلاّ عن التي بينَ. فَقَّدمَ (التي) فجعلَها قبل (عن) اتّساعاً.

---

(1) البيت من بحر الرجز، وهو في ديوانه 97 بتحقيق د. نوري حمودي القيسي، مع اختلاف في ترتيب الأبيات والأشطر. والرجز قد نسب إلى رؤبة في ديوانه 176.

(2) البيت لِبشِر بن خازم الأسدي.

(3) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه 165. والبيت من شواهد سيبويه 2/ 156.

(4) هو الأحوص كما في تزيين الأسواق 1/ 59.

(5) البيت من البحر الوافر ولم يرد في ديوان الأحوص، وهو غير معزو في الخصائص 2/ 62، والمغني 1/ 395، وباختلاف في مجالس ثعلب 1/ 198، و تهذيب اللغة 3/ 62، و خزانة الأدب 1/ 400.

(6) زيد بن رزين الملوح كما في المؤتلف والمختلف291، أو لرجل من محارب كما في ذيل أمالي القالي 105.

(7) البيت من البحر الطويل، وهو في معاني الاخفش 2/ 327، و أضداد أبي الطيب 2/ 726، و المحتسب 1/ 281، و المغني 1/ 160، وخزانة الأدب 10/ 144.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وفي القرآن مواضعُ كثيرةٌ تكون (ما) في معنى (ليسَ) و كذا (ليس) في معنى (ما) و مثلُه في كلام العرب قولهم: ليسَ خَلَقَ الله مثلَ أدَمِ الأروى للدّلاء: الأروى الكبير من فحول الظباء- كأنك قلت: ما خَلَقَ الله - عز و جل- مثل أدَمِ الأروى للدّلاء، فـ (ليس) و(ما) بمعنى واحد.

ويقولون الاتّساع: ما في الدنيا خَلَقَها الله مثلُ أدَمِ الأروى للدلاء. فاختصروا و قدّموا الكناية عَن (الأروى)، وإنّما تقعُ الكناية بعد تقديم الاسم، نحو: جاءني زيد - حيّاه الله- فأكْرمْتُه.

وكذا يتّسعون في المتشابهات، كقوله:

تركضُ بالرّاياتِ شتّى نَحْرُها ... كأنَّ طيراً سودُها و حُمْرُها[1]

(70/ و) ووجه الكلام: كأنّ سودَها و حُمْرَها طيرٌ، لأنّه يُشبِّه الرايات بالطير و لا يُشبّه الطيرَ بالرايات، ولكنّه لمّا شُبِّهتْ هذه بتلك جازَ أنْ يُشبّهوا تلك بهذه توسّعاً لكلامهم و لا إشكال في أفهماهم. فهل ترى شيئا من هذه الاتساعات فارقَهُ الأِعراب أو دَلَّ على معانيها غيرهُ؟

ومثلَهُ:

حتى إذا احْتَدَمتْ وصا ... رَ الجمْرُ مثلَ تُرابِها[2]

---

(1) البيت من بحر الرجز ولم أقف على قائله.

(2) البيت من مجزوء الكامل، وهو للأعشى الكبير، وميمون بن قيس، في ديوانه (دار الكتب العلمية) ص18 برواية:

حتّى إذا ما أوقِدَتْ ... فالجَمْرُ مِثلُ تُرَابِها

وإنّما: حَميَ التُّرابُ، ومثلَه:

لَـنعْمَ الحـيُّ حـيٌّ بـنى نُمـير إذا مـا المـسْكُ شُـبِّهَ بالقُتـار[1]

أي: شُبِّه القتار بالمسك. وفي القرآن من الاتساع الذي لا يخرجُ عن صحيح اللغة، قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ (آل عمران/ 117) وإنما يقع المعنى على الحرْث الذي اهلكتْهُ الريح، فحوَّل اللفظ إلى الريح التي أهلكت الحرث لما كانت من الأمر بسبب. وكذا قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ (البقرة/ 171) وإنّما يقع التشبيه على الغَنَم التي يَنْعقُ بها الراعي فحوّل اللفظ إلى الراعي الذي يَصيحُ بها لمّا كان من الأمر بسبب.

ومثله: قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ (يوسف/ 70) العِيرُ لا تَسْرق ولكن على الناس الذين فيها.

وقالت العرب في (70/ ظ) المثل: الطريقُ يطؤنا. أي: أهْلُ الطريق[2] و: ما زلنا نَطأُ السماءَ يعنونَ المطَر، ويُنْشدون:

و أعْـوَر مـن نَبْهـانَ أيْمـا نَهـارُهُ فـأعْمى و أيْمـا ليلُـه فَبـصيرُ[3]

وإنّما هو الأعمى لا النهار، و(أمّا) و(أيْما) واحد.

وفي القرآن: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء/ 37) المعنى و الله اعلم: خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان.

---

(1) البيت من البحر الوافر ولم أقف عليه.

(2) انظر كل هذه الأمثلة والشواهد الدّالة على التوسع في كتابي: التوسُّع في كتاب سيبويه ص 130 وما بعدها.

(3) البيت من البحر الطويل وهو لجرير في ديوانه بشرح الطبّاع 232، بلفظ:..... أمّا نهارهُ..... وأما ليله.

قال المبّرد: المعنى: خُلِقَ الانسانُ ومنه العَجَلةُ.

فأمّا مَن روى[1] إنَّ ابن عباس قال: العَجَلُ:الطين فليس بمعروفٍ في اللغة.

وقول الشاعر:

فلا يكْسِروا أرْماحَهم في صدورِكُمْ فَتغشِمَكَم إنَّ الرماحَ من الغَشْمِ[2]

أراد: الغَشْم من الرماح، وقال آخر

* تَمادُوا فالفجورُ مِن التمادي *[3]

أي: و التمادي من الفجور.

ومكورة [4] وأبو رجاء يقولان، وهما فصيحان: حكَّني رأسي، وثوبي، فحكْكتُهُ، والرأسُ لا يَحكُّ، وكذا الثوب، ولكنّه كقولهم: هذا الثوبُ لا يقطعُني. وأنشد أعرابي:

قد حكَّني الأسيّدُ الأصكُّ أحُكُّ حتى منكبي مُنْهكُّ[5]

---

(1) الذي روى ذلك ابن الإعرابي كما في تهذيب اللغة 1/ 369.

(2) البيت من البحر الطويل وهو للأعشى في ديوانه (ط. دار الكتب العلمية)185 ، برواية: فلا تكسِروا....

(3) عجز بيت من البحر الوافر غير منسوب في أضداد ابن الانباري 100، وأضداد أبي الطيب 2/ 724، وصدره:

* فأنَّ بني شرَحبيل بن عمرٍو*

(4) هو العلاء بن بكر بن عبد ربّ بن مسحل، من فصحاء الأعراب الذين أُخذت عنهم اللغة، انظر: الفهرست 76.

(5) البيت من بحر الرجز، وهو في كتاب الحيوان 5/ 391، والأضداد لأبي الطيب 2/ 731، واللسان (حكك).

يعني: البرغوث. والفصحاء يقولون: أكلني رأسي.

وقال أعرابي:

* إنّي أراني في زمانٍ أعْجِبُهْ[1] *

قيل: ما تعني؟ قال: يُعجبني وقال:

يا طولَ ليلي و عادَني سَهري ... ما تلتقي مُقلَتي على شُفُري[2]

(71/ و) والشفران يلتقيان على المقلة.

وفي القرآن: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ (القصص/ 76) لَمّا كانت العصبةُ تنؤُ بالحِمْل و ينؤُ بها لم يُبْلْ أيّها يقول، ومثله في اللغة: إنّها لتنؤُ بعجيزتها، وإنّما العجيزة تُثقِلُها فتنؤُ بها، وفي القرآن: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ (يونس/ 24) وإنّما الماءُ يختلط بالنبات.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ (الحاقة/ 17) وهم الرُّسل، واللفظ موَّحدٌ، والعرب تتَّسعُ في واحدهِ و جمعه، وتقديمِ همْزهِ و تأخيره، فقال عديّ بن زيد[3]:

---

(1) شطر بيت من الرجز.

(2) البيت من البحر المنسرح.

(3) العِباديُّ، شاعر قديم، له حديث. وكان ترجمان (أبرواز) ملك فارس وكاتبه بالعربية، قال عنه أبو عمرو بن العلاء: كان عديُّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجاريها. قال: والعرب لا تَروي شعره ؛ لأنّ ألفاظهُ ليست بنجدّية، وكان نصرانياً من عِباد الحيرة قد قرأ الكتب، قال ابن دريد: والعِبادي منسوب إلى دِينه ؛ لأنّه تنصَّر. حبسه النعمان بن المنذر. فمات في سجنه.

انظر: الشعر والشعراء (ط. دار الكتب العلمية) 121، والاشتقاق لابن دريد 217.

* أبْلغِ النعمانَ عنّي مالكاً *[1]

فالجمع على هذا اللفظ: ملائِك، الهمزة مؤخّرة، والأصل تقديمُها، كما قال لبيد:

وغلام أرسلته أمُّهُ بألوكٍ (فبذلنا ما سأل)[2]

وقال الأعشى:

..... مألكةً..... [3]

و الجمع على هذا: مآلك، وألائك. وقال النابغة:

* ألكْني..... * [4]

تركَ الهمزة، وجعلها على تقدير: أقِلْني، وكان أصلُها: أأْلِكْني على تقدير: أأمنّي. وهم يُقدّمون في كلامهم الهمزةَ و يؤخرّونها اتساعا كما قال:

---

(1) هذا صدر بيت من بحر الرمل عجزه :

* أنّهُ قد طالَ حَبْسي و انتظاري *

والبيت في ديوانه 93، وانظر: التّوسُّع في كتاب سيبويه 169، والشعر والشعراء 124، والمألكة معناها: الرسالة.

(2) البيت من بحر الرمل، وهو في ديوانه (بشرح الطبّاع) 118.

(3) هذه كلمة من بيت من البحر البسيط له في ديوانه (ط. دار الكتب العلمية) 133، والبيت هو:

أبْلِغ يَزيَد بني شيبانَ مألكةً أبا ثُبَيْتٍ أما تنفكُّ تأتكِلُ

(4) وهذه كلمة من بيت من البحر الوافر له في ديوانه، والبيت هو:

ألكْنِي يا عُيَيْنُ إليكَ قولاً سأهدِيهِ إليكَ إليكَ عَنِّي

تَقَـرَّبَ يخبـو ضـوؤهُ و شُـعاعُه ويَمْحَصُ حتى يُستراءَ فلا يُرى[1]

تقديره: يُستراء. والأصل: يُسْترأى، أي: (يُسْتَفعَل) مِن: رأيتُ.

وكـذا اتّـسعوا أيـضا في معنـاه، فقـال الـشاعر[2] (71/ ظ) وأنّمـا المعنـى للمفعول لا للفاعل، فقال:

ألكـنى يـا عـيينَ إليـك قـولا سـتحملُه الـرّواةُ إليـك عـنّ[3]

يريد: اسْمع أنت قولي. فقال: ألكني، بمعنى: أسمعني.

واللألوكة: الرسالة.

ومثله في التحويل قولُ الآخر[4]:

ألكنى إلى من كانَ بالصيّنِ أورَمتْ بـه الهنـدَ ألـواحٌ عليهـا جلالُهـا[5]

ووجه الكلام: أيكْ من كان بالصين.

وقد أبانَ ذلك قولُ الآخر[6]:

---

(1) البيت من البحر الطويل، جاء ثالث ثلاثة أبيات منسوبة إلى حسّان السّعدي في كتاب النوادر في اللغة لأب زيد الأنصاري (ط. دار الكتاب العربي) 112، ولكن باختلاف كبير في الألفاظ. وروايته:

تَقـارَبَ يَخْبُـو ضَـوْءُهُ وشُـعاعُهُ وَيَمْـصَحُ حَتّـى يَسْتَـسِرَّ فَمـا يُـرى

يُقال: هِلالٌ ما صِحٌ إذا نَقَصَ.

(2) النابغة الذبياني.

(3) البيت من البحر الوافر وقد ذكرناه في الموضع السابق.

(4) الشاعر الفرزدق.

(5) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه (شرح الطّباع) 479.

(6) هو عمرو بن شأس الأسدي.

أَلِـكْ قـومي الـسّلامَ رسـالةً بآيةِ ما كانوا ضِعافاً ولا عُزْلا [1]

ومعناه: ألكْ قومي السلام، أي أبلغْهم. واللفظ على معنى: أبلغني، ولكنّه مفهوم المعنى.

ويُحوّلون فعلَ الفاعل كأنّه للمفعول، كقولهم[2]:

ومثلكِ بيضاءَ العوارضِ طَفْلَةٍ لعوبٍ تانساني إذا قُمْتُ سِربالي[3]

فتحَ أولّها، وهو يريد: تُنسّيني.

كما نقلوا لفظَ المفعول إلى لفظِ الفاعل، قال[4]:

إنّ البغيض لَمنْ تملُّ حديثه فأفْسَحْ فؤادَك من حديث الوامق[5]

أي: الموموق. أي: ليكن فُؤادك في فُسحةٍ لسماعهِ. ويُروى:

(فانقعْ فؤادك)[6]، أي: اروهِ من حديث الموموق.

---

(1) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 72 ط. دار القلم – الكويت. والبيت في كتاب سيبويه 1/ 197 مع بيت آخر

(2) القائل امرؤ القيس.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه 30 بتحقيق أبي الفضل وغير موجود في ديوانه بتحقيق الأيوبي، وانظر البيت في مجاز القرآن 2/ 6.

(4) جرير بن عطية.

(5) البيت من البحر الكامل وهو في ديوانه 330 بتحقيق الطبّاع، بلفظ: إن البليّة مَن يُملُّ....فأنْشَحْ... وقد ورد البيت ضمن مقطوعة منسوبة إلى البحر الطويل، وهو وَهْمٌ من الشارح.

(6) انظر: الكامل في اللفظ والأدب 2/ 261، والصاحبي 366 واللسان (نقع).

وذكر الأصمعي أنّه قال لحّماد بن سلَمة[1] في مجلسه للحديث: إنّكَ لموموق. فقال له حمّاد: لا تعُدْ لمثلها، فأنّ هؤلاء لا يفرّقون بين مائقٍ وموموق[2].

وهذا (72/ و) مَثلُ لكتابنا هذا ينبسطُ لعلمهِ و يرتاح لفهمهِ من أعانته قريحتُه على قَبول ما أمَرَ به تنزيلُ الرحمن، ويقصُر عن بلوغه مَنْ رضيَ بدراسةِ القرآن عن تدبّر البرهان و الفرقان، كما قال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص/ 29).

ومن هذه الاتساعات قول العرب:

* أناشرَ لا زالتْ يمينُك ناشرَهْ *[3]

---

(1) ابن دينار، من متقدمي النحويين، أخذ عنه يونس بن حبيب البصري، وكان فصيحاً يقول: مَن لحن في حديثي فقد كذب عليّ، وقصته مع سيبويه مشهورة، حيث روي "إنّ سيبويه كان يستملي على حماد يوماً: قال رسول الله (ﷺ): (ما مِن أحد من أصحابي إلّا مَن لو شئت لأخذتُ عنه علماً ليس أبا الدرداء)، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال له حّماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء، فقال سيبويه: لا جرم لأطلبنّ علماً لا يلحنني معه أحد، فطلب النحو ولزم الخليل". توفي حّماد سنة 169هـ.

انظر: نُزهة الألباء في طبقات الأدباء 42، أخبار النحويين البصريين 42 ، وبغية الوعاة 40، ومراتب النحويين 66.

(2) المائق: السيئ الخلق، وهو فاعل من: ماقَ يموقُ. والموموق :المحبوب من: وَمَقَ يَمِقُ. فهو وامِقٌ، ولا يُقال: وَمِقٌ. انظر تاج العروس: (وَمَقَ).

(3) عجز بيت من البحر الطويل تمامه في تهذيب إصلاح المنطق بلفظ:

لَقَد عَيّلَ الأيتامَ طَعْنةُ ناشِرَهْ أناشِرَ لا زالت يَمينُك آشِرهْ

=

أراد (ب) ناشرة: مقطوعةً بالميشار[1] - بالياء- لا يجوز غيره.

وقول الآخر:

* يُدرْنَ طَرْفاً في عيونٍ جُيّبِ *

جُبْتُ الشيء: قطعتُه. ووحَّد الطرفَ لأنهُ اسم واحد للجمع، والجيَّب: جمع جائب.

وفي اللغة يقولون: هذه زرّاعةُ[2] بني فلان، وأنّما هي تُزرع، ومن طعنَ على هذه الاتساعات في اللغات فقد طعَنَ على القرآن إذ كانَ قد جاء بمثله، وقد وصَفه الله تعالى بأنه ﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل/ 103).

وفي القرآن:﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة/ 21)[3]. مثلُه: قولهم: تطليقةٌ بائنة.

وهي من قولهم:أبَنْتُها فهي مُبانة، وكذا: عبدٌ سائبة. وهو من: سيّبْتُه. وعطاءٌ تافهٌ، أي: مَتْفوه. وكذا قال أفّار الأعرابي:

قد أتْفَهْتَ لنا العطاء.

وفي القرآن: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة/ 1-2) أي: تكذيب.

=

والبيت غير منسوب في الصحاح واللسان/ عيل/ و الخصائص 1/ 152، و إصلاح المنطق 1/ 138، والمعاني الكبير 2/ 836، و الأضداد لابن الانباري 228، والبيت لامرأة ترثي همّام بن مرة الشيباني وتدعو على قاتله ناشرة.

(1) وفيه ثلاث لغات: المنشار والمئشار والميشار. اللسان(أشر).

(2) أي: الأرض التي تُزرع كما في اللسان (زرعَ).

(3) (الحاقة/ 21) وراضيةً بمعنى مرضيّة.

وكان أبو يزيد الأعرابي يقول: أخطأتُ خاطئةً بعيدةً. اي: خَطَأً بعيداً. وفي القرآن: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (الغاشية/ 11) (72/ ظ) أي: لغواً.

تقول العرب: ما لَنا عندَهُ دالّةٌ. أي: ما يُدّلُّ به عليه.

ومّما جعلوا الفعل مصدراً، كما في القرآن: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ (محمد/ 4).

(قوله):

وأنــيّ وإيّــاهُ كرجلــيْ نَعامــةٍ علــى كــلِّ حــال مِــنْ غِنــىً و فقــيرِ[1]

أراد: وفقر، وأنشدَ أفّار بن لقيط:

* كلُّ مُجْرٍ في خَلاءٍ مُسَرٌّ *[2]

فقيل له: ما هذا؟ قال: مسرور، وأنشد مكورةُ و أبو اسلم[3]:

---

(1) البيت من البحر الطويل وهو في البرصان والعرجان 365 منسوب إلى ابن الإعرابي أو بعض النحويين الثقات، أو لبعض الأعراب يخاطبُ امرأةً في جفائها بأخيه. والبيت جاء ثالث ثلاثة أبيات، وهو موجود في عيون الأخبار 1/ 85، ومجالس العلماء 98، وآمالي القالي2/ 188.

(2) شطر بيت من البحر المديد، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين 1/ 203 أنّه مثل مضروب وقالوا: مُسَرٌّ ولم يقولوا مسرور، وكّل صواب، وكذا ذكر الزّبيدي في تاج العروس/ سرر/ ونقل قول ابن سيده الأندلسي، ما حكاه أفّار بن لقيط، إنّما جاء على توهّم أسَرَّ.
وانظر: الحيوان 1/ 88، 4/ 207، وآمالي القالي 2/ 89، مقاييس اللغة 3/ 267. ويضرب هذا المثل للرجل تكون فيه الخلّة يحمدها من نفسه، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل.

(3) ابن بشير روى عنه أبو عبيدة في مواضع من كتابه النقائض، وفي هامش النقائض 1/ 5، انه أحد أحفاد حكيم بن معاوية.

وبَلَـدٍ يعـصى علـى النعـوتِ يغُـضي كأغـضاءِ الـدَّوى المثبـوتِ[1]

قيلَ: ما هو؟ قالا: المُثبَت.

وفي القـرآن: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجـر/ 22) أي: ملاقـح تَلقـحُ السحاب. قال أبو عامر[2]: بل ذواتُ لقاح، كقولهم: لابن و تامر، ومثله:

*..... مِمَّنْ تَطيحُ الطوائحُ *[3]

أي: المطاوح. وقوله[4]:

* يَخْرجْنَ من أثباجِ ليلٍ غاضِ*[5]

قيل لرؤبة: ما هو؟ قال: المُغضي، المُطرِق. ومثله:

* يكشفُ عن جُمّاتهِ دلوُ الدَّالْ *[6]

---

(1) البيت من بحر الرجز، وهو في لسان العرب/ سرر/ وفي هامش البيان والتبيين 1/ 204.

(2) لعله: أبو عمرو الشيباني كما ذكر ابن خالويه في كتاب أسماء الريح 31.

(3) عجز بيت من البحر الطويل منسوب إلى الحارث بن نَهيكٍ في كتاب سيبويه 1/ 288 وتمامه:

لِيُبـكَ يَزيـدُ ضـارعٌ لخُـصومةٍ و مُختـبط ممّـا تَطـيح الطّـوائحُ

وقيل انّه لنهشل بن حرى، أو للحارث بن ضرار النهشلي، وقيل هو للبيد، والبيت في ديوانه بطبعته دار صادر 232، وشرح الطبّاع/ 190، انظر خزانة الأدب 8/ 139، ومجاز القرآن 1/ 349.

(4) يقصد: رؤبة.

(5) شطر بيت من الرجز وهو في ديوانه 82.

(6) شطر بيت من الرجز للعجّاج في ديوانه 86.

أي: المُدلي: وقوله[1]:

* كليني لِهمٍّ يا اميمةَ ناصبِ*[2]

ولم يقل: مُنصْب. وهو من: أنصَبَني ألمُّ. وقال ابن أبي إسحاق[3] لاتساعهم في اللغة أعادوه إلى أصله، لأنّ ألف (أفْعل) زائدة. وانشد بعضُ الفصحاء:

وانكرْتُ مِن زَبّان خَضرةَ لونهِ و أنفالَهُ مثلَ الثويليل قاعيا[4]

قيل: ما هو؟ قال: المُقْعى: الأخثم. وقال الآخر:

(73/ و) تَندى أكفُّهمُ بخيرِ فاضلٍ قِدْماً إذا يَبستْ أكفُّ الخيَّبِ[5]

أي: امتنعتْ أكفُّ المخيّبين، فجعلها يابسة. والخيَّب جمع: خائب.

فهل ترى في اللغة شيئا إلاّ وفي القرآن ما يشهدُ له انّه عربيٌّ مُبين؟

وفي القرآن: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (الشعراء/ 4).

---

(1) يعني النابغة الذبياني.

(2) صدر بيت عجزه:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

والبيت في ديوانه/ 40، مطلع لقصيدة يمدح فيها عمرو بن الحارث الأعرج.

(3) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

(4) البيت من البحر الطويل، ولم أقف عليه.

(5) البيت من البحر الكامل وهو لجرير في ديوانه بشرح الطبّاع 38، ومعناه: إنّ آباءَهُ ذوو جود وكرم وأكفّهم ندية بالعطاء بكرمهم الأصيل، وأكف سواهم يابسة جافّة لبخلهم وخيبتهم.

ولم يقل: خاضعات، لأنّ (خاضعين) خبرٌ لكنايةِ القوم الذين أضافَ الأعناق إليهم.

وقال القائل من الفصحاء:

وساقان كعباهُما أصْمعان أعاليْهُما لكَّتا بالزُّبْر[1]

ولم يقل: لُكِكْنَ. ذهب بالفعل إلى قوله: هما، وترك أعالي.

ومن كلامهم: هي شرُّ الناس و أخبثهُم. ولم يقل: وأخبثه.

وكذا: هم خير البريّة وأكرمها. ولم يقل: وأكرمهُ. وهو ألصُّ الخَلْقِ وأخونهُم. ومثلُ ذلك قول الشاعر:

إنّ الأرابدَ معشرٌ..... دَنَسِو الثياب و شرُّه لخفيرُ[2]

ولم يقل: وشرُّهم ويقولون: هي أثقلُ بلدة و أوخمُه. وكذا: هي أوخمُ أرضٍ و أوبؤه، ولم يؤبيا.

وهذا التوسع في اللغة يكثر جدا. و مثل ذلك قول رجل وجدَ نساءً منهزمات باليمامة حيثُ غزَتْ حميرُ طَسماً فتمثل بقوله:

شرُّ يوميها و أغواهُ لها ركبتْ عَنزٌ بحَدْج جَملا[3]

---

(1) البيت من البحر المتقارب، ولهذا البيت نظير في ديوان أمريء القيس 163، والبيت:

وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حماميتهِما مُنْبترْ

(2) البيت من البحر الكامل ولم أقف عليه.

(3) البيت من بحر الرَّمل، انظره في الكامل 1/ 200، والعقد الفريد 1/ 486، والصاحبي 442، واللسان/ حدج/ .

(73/ ظ) رّدهُ إلى (شرّ) فجعله واحداً ولم يقل: وأغواهما.

وفي القـــــــرآن: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴾ (فاطر/ 41)؛ لأنّ معنى السموات معنى السماء لاتّصالهنّ، كما قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ (الأنبياء/ 30) فأبانَ، تبارك وتعالى، عن اشْتباكهما قبلَ فَتْقِهما.

وقالت العرب[1] في مثله:

لـو أنَّ عُـصْمَ عمـايتين و يَـذْبل سَـمِعا حـديثكِ أنْـزلا الأ وعـالا [2]

وعمايتانِ اثنان و يذبل الثالث، فجعلوا اللفظَ للاثنين، المُشترك بينَهما كما قال الاخر[3]:

تـذَّكرْتُ نَـسراً والـسّماكين أنَّهـا عليّ مـن الغيـثِ اسْـهلَّتْ مـواطرُهْ [4]

---

(1) القائل جرير.

(2) البيت من البحر الكامل، وهو من قصيدة له يهجو فيها الأخطل. والبيت في ديوانه شرح الطباع 370 بلفظ:.. سَمِعَتْ حديثكِ أنزَل الأزعالا ' وقد ورد في الأصل: (ولو) باقيان الواو وهو خطأ، إذ لا يستقيم الوزن معه. انظر: مجالس العلماء/ ط الخانجي/ 212.

(3) يعني الفرزدق.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو في ديوانه شرح الطبّاع 288. بلفظ:

* تنظّرتُ نَصْراً والسماكين..أيْهُما... *

ونصر: هو نصر بن سيّار والبيت من قصيدة في مدحه. وقد سكّن الباء من (أنهما) ضرورة. وانظر البيت في مجالس العلماء/ مكتبة الخانجي 213، والمحتسب 1/ 41،108.

جعل السماكين واحداً، وأنْ شئتَ قلت: حملوهُ على الموضع (كما) ردّوا السمواتِ إلى السماء، وعمايتينِ إلى عماية اتّساعاً، كما قال:

تَبْسِمُ عَنْ مُخْتلفاتِ ثُغْل أكسٌ لا حَدْبٌ ولا بِرثْلِ[1]

عنى الأسنان ثُمّ رَدّ إلى الفم، إلى موضع الأسنان، وكذا قول الآخر:

فماحَتْ بِه غُرَّ الثنايا مُفلَّجاً وَسيماً جلا عنه الطَّلالُ موشَّما[2]

طلَّ المطرُ: إذا كثُر. ذهبَ بهِ الى الفم فذكّر، أي: جَلا عن الفم، ولم يرجعْ إلى الثنايا فيقولَ: جلا عنها. وقال لبيد:

(74/ و) فَعلا فروعَ الأيْهقانِ بالجهلتينِ ظباؤها ونَعامُها[3]

ولا يُقال: أطْفلَت النعامةُ.

ولكنْ حَسُنَ بما قبله، لأنّه كالشّريك نحو قولهم: تَقلَّدَ سيفَه ورمْحَه[4]. والرمحُ لا يُتقلّدُ، ولكنّه حُمِلَ على ما قبله فحسُنَ. وقول الشاعر[5]:

---

(1) البيت من الرجز، وهو غير منسوب في مجالس العلماء/ ط الخانجي/ 213، وعزاه الأصمعي إلى رجل من بني عباد يهجو امرأته.

(2) البيت من البحر الطويل، وهو غير منسوب في مجالس العلماء/ 213، وهذا الشاهد والشواهد التي قبله وردت كلها في المجالس وهي منقولة مع شرحها.

(3) البيت من البحر الكامل وهو في ديوانه شرح الطبّاع 136، وديوانه/ دار صادر 164.

(4) أصل هذا القول بيت شعر من مجزوء الكامل لعبد الله بن الزّبجرى يقول فيه :

يا ليت زوجك قد غدا مُتقلِّداً سيفًا ورمُحا

(5) مسكين الدارمي.

ونابغـة الجَعْـديّ بالرمْـلِ بيتُـهُ عليـه الـصفيحُ مـن تُـرابٍ وجَنْـدَلِ[1]

ولا يكون الصفيحُ من تراب. ورويَ عن أبي مسلم[2]:

مـا غَـركْم بـضيغم هِزبْـرِ عُـصَلِ النـابِ حديـدِ الظّفْـرِ[3]

فقال: عُصَّلٍ، ولم يقل أعصل، جعلَ الجمعْ للواحد للمبالغـة، كمـا يُقـال: رقباني [للغليظ] غليظ الرقبَة، ولحياني للكبير اللحية.

وفي القـرآن قولـه تعـالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ (المدثر/ 54-55) لأنَّ القرآن تذكرةٌ للعالم وذِكْرٌ، وقالت العرب[4] تعني إبلاً:

فـصبَّحَتْ جابيـةً صُـهارجا كأنَّـهُ جِلْـدُ الـسماءِ خارجـا[5]

فذكَّر، ذهَبَ إلى الماء، ولم يقل: كأنها، ومثله:

* ولَّت ودعواها كثيرٌ صَخَبُهْ *[6]

ذهب إلى الدعاء، وكذا

---

(1) البيت من البحر الطويل من قصيدة عينية مرفوعة، يرثي بها النابغة الجعدي، ورواية العجز في الديوان 49 (عليه الصفيحُ من رخامٍ مُرصَّعُ) وعلى ذلك يكون في البيت إقواء، وهو عيب من عيوب القافية عند العروضيين.

(2) العاصي من الأعراب الفصحاء الذين أُخذت عنهم اللغة، روى عنه أبو عمرو الشيباني في نوادره، انظر الفهرست/ دار المعرفة 71، وكتاب الجيم2/ 102 و129 و3/ 31.

(3) البيت من بحر الرجز.

(4) القائل هيمان بن قحافة، من الرّجاز الأمويين.

(5) البيت من بحر الرجز.

(6) شطر بيت من الرجز منسوب إلى بشير بن النّكْثِ في كتاب سيبويه4/ 41، وغير منسوب في تهذيب اللغة 3/ 120، والمخصص14/ 155، والمؤتلف والمختلف 61.

* ولا أرْضَ أبْقلَ إبْقالَها *[1]

لأنّ الأرضَ: مكان، وكذا قوله[2]:

* والعينُ بالأثمدِ الحاريّ مكحولُ *[3]

ذَهَب إلى البَصر، لأنَّ العينَ بَصَر، وفي القرآن: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ (الشعراء/ 105) (74/ ظ) ذَهَب إلى الأمّة أو العشيرة، كما ذهب إليه الشاعر[4] في قوله:

فما تَرَكَتْ قومي لقومِكِ حيَّةً بأرضِ فضاءٍ في البلاد ولا بَحْرِ[5]

---

(1) عجز بيت من البحر المتقارب منسوب إلى عامر بن الجوين الطّائي كما في سيبويه2/ 42، صدره:

فلاً مُزنَةٌ ودَقَتْ ودقها .

انظر: الخصائص 2/ 411، وشرح المفصل5/ 94، والمقرب1/ 303، والمخصص6/ 80، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه 307 -308، والتوسُّع في كتاب سيبويه/ 202.

(2) يعني قول طُفيل الغنوي.

(3) هذا عجز بيت من البحر البسيط، صدره :

إذ هِيَّ أحْوى مِنَ الرِّبعيِّ حاجِبُهُ .

انظر: البيت في الانصاف في مسائل الخلاف 775، والشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه 307-308، والتوسُّع في كتاب سيبويه/ 202.

والعين بمعنى الطّرف ؛ لذلك جاز تذكيرها وهذا ضرب من ضروب التوسّع في العربية يُسمى الحمل على المعنى.

(4) الأخطل التغلبي.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في شعره الذي جمعه (فخر الدين قباوة) 1/ 188.

كما يقولون: هذه قومُك، وجاءَت قومك، فيؤنّثون على معنى قبيلةٍ وعشيرةٍ. ومن الاتساع قولهم:

مرَّت بنا خولةُ في نسوةٍ والمسكُ مِنْ أردانها فائِحه[1]

ذهب بفعل المسْك إلى الريح، لأنَّ الريحَ هي الفاعلةُ، ومثله:

يَحْمِلْنَ أترجَّةً نضخُ العبيرِ بها كأنَّ تَطْيابَها في الأنفِ مشمومُ[2]

فكنى عن المرأة، يُريد: كأنَّ تَطْيابَ هذه المعشوقةِ مشمومٌ من هذه الأترجّة يدُلُّ ما حضرَ على ما غاب.

وزعَم مَعْمر[3]: أنّه سألَ أبا الجّراح[4] وأبا زيد[5] وأبا أدهم[6].

وغيرَهم من الفصحاء، فكُلهم يقول: ثلاثةُ شخوصٍ، للنسوةِ، فذكَّروا الجميع على تذكير الأصل، لأنَّكَ تقول: هذا شخصٌ قد أقْبلَ، وأمَّا قولُ عمر بن أبي ربيعه:

فكانَ مِجنّي دونَ مَنْ كنتُ أتّقي ثلاثُ شخوص كاعبانِ ومُعْصِرُ[7]

---

(1) البيت من البحر السريع.

(2) البيت من البحر البسيط وهو لعلقمة الفحل في ديوانه 51.

(3) ابن المثنى، أبو عبيدة صاحب مجاز القرآن.

(4) العقيلي من فصحاء الأعراب وشعرائهم المغمورين، كان عالما بلغات العرب، وكان يقول: ما من قومٍ إلّا وقد سمعنا لغائهم – بفتح التاء – راجع تفصيل هذا الكلام في معاني الفراء 2/ 93.

(5) الأنصاري صاحب النوادر في اللغة.

(6) أبو أدهم الكلابي من فصحاء الأعراب الذين سمع منهم علماء اللغة. الفهرست 71.

(7) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 100، والبيت من شواهد سيبويه 3/ 566.

وَإنّما أنّثَ العدَد على المعنى، وقد بيّنَهُ بقولـه: كاعبـانِ، أنّـهُ يُريـد المؤنـث والعرب تقول: ما بقَي فيها غيرُ ثلاثةِ أنفُسٍ، فيُذكّرونَ العدَد كلهم على المعنـى، وأنْ كانَ أصْلهُ مؤنثاً، إذا عنوا الرجال، كما قال الشاعر[1]:

ثلاثـــةُ أنفـــس وثـــلاثُ ذودٍ لقـــد عـــالَ الزمـــانُ علـــى عيـــالي[2]

أي: جـــارَ، وفي القـــرآن: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (الأعراف/ 189). الفصحاء يقولون: بَقيتْ نفسٌ واحدةٌ، وأنْ عنوا الذكَرَ يحملونـهُ على اللفظ، وما هيَ إلاّ نُفيسةٌ واحدة.

وسمعتُ محمد بن يزيد النحوي يقول: لقيَ أبو عبيـدة سـيبويه فقـال لـه: كيف تُصغّرُ خَمْس؟ فقال: خُميس، فأجابه سيبويه بالخطأ[3] لأنّهُ كانَ عندهُ مِمّنْ لا يفهمُ حقيقَةَ الأعراب.

ولا أظنّه إلاّ غلطاً من المبرد، لأنّ كلامَ أبي عُبيدة يدلُّ على أنّه سـألَه عـن (نَفْس) لا عن (خَمْس).

قال أبو عبيدة: زعَمَ سيبويه أنّه إذا أراد ب(الـنفْس) الرجُـلَ صـغّره بغـيرِ الهاء، قال: ولم أسمعْه من العرب.

---

(1) الحطيأة.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه/ 395 وفي طبعة دار الكتب العلمية 165 بلفظ: ... ونحن ثلاثة..... لقد جار. والبيت من شواهد سيبويه3/ 565.

(3) انظر مسائل التحقير في كتاب الانتصار لسيبويه على المبرّد، لابن ولاّد النحوي مسألة 98 وما بعدها.

فأمّا قولهم: أبن عُيينة، فلو كانَ اسْمه(عيناً) لم يكُنْ تصغيرُه إلاّ عُيين، كما قال[1]:

* ألكني يا عُيينَ إليك قولاً *

وإنّما صُغّرت العينُ التي هي جارحة ثُمَّ سُمّيَ بها فقيل: عُيينة.

كما يقولون: جاءتْ البلجاء أي الرجلُ الأبلجُ الشّفة[2]، لأنّه سُمّيَ بذلك.

ومثلهُ قولُهم: أصابتْنا سماءُ جودٍ، ولا يقولون: جودهِ، فإذا صغّروا قالوا: سُميّ، يُذكّرونه (75/ ظ) على معنى المطر، وكذا أرادوا بقولهم: جود. قالَ مكورةْ وكان عالِماً باللغة: صُمْتُ عَشراً من رمضان، فأنّث، وكذلك قالَ جابر وابن مِسْمع و رُعيب، وكانوا على طبائعهم في الفصاحة.

ومثله في القرآن: ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا ﴾ (البقرة/ 234) على الليالي.

قال محمد بن يزيد، المعنى: أربعة أشهر ومدّة عَشْر ليالٍ، وأنْشَد غيره[3]:

قبائلُنا سَبْعٌ وأنْتُمْ ثلاثةٌ ولَلسَّبْعُ خيرٌ من ثلاثٍ وأكثر[4]

---

(1) النابغة الذبياني.

(2) هذا وهم من المؤلف، فالبَلَج لا يأتي بهذا المعنى، وإنما يقال: بَلَحَ الصُّبحُ - وأبْلَحَ وتَبلَّحَ: أضاءَ وأشرَقَ. وكلُّ متّضِحٍ أبْلَجُ: الضوء، وهو أبلَجُ: بيّنَ اللَج ورجلٌ بَلْجٌ: طَلْقُ الوجْهِ.

... أمّا الفَلَحُ فهو: شقٌّ في الشّفَةِ السفلى. فالمراد هنا الفَلَح لا البلج والله اعلم.

انظر: مختار القاموس: بلج/ و/ فَلَح/ .

(3) انشده سيبويه في كتابه 3/ 565 منسوباً للقتال الكلابي.

(4) بيت من البحر الطويل في ديوان القتّال 50.

فذَهبَ مرَّةً إلى الحيّ فذكَّرَ، فقال: ثلاثة، وأعاَده بعدُ إلى القبيلةِ فقالَ: من ثلاثٍ، فأنَّثَ.

فأما قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾، فتقديرهُ: الذينَ يَحْلِفون ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾(البقرة/ 226) مِنْ نِسائهم، على التقديم والتأخير، ولا يُقال: الذين مِنْك، إنَّما يُقال: عليك.

وقال قوم[1] المعنى: للذين يَحْلِفون أنْ يبعدوا من نسائهم ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ لا أكثر من ذلك فحذَفَ (أنْ يبعدوا) لأنّها أُنزِلَتْ على سَببٍ مُتقدّم.

والطَّلاق مصدرٌ من: طلَّقْت، فصارَ مثل(الكلام) من كلَّمت فهو موحَّدٌ في اللفظ، كما قال:

* المالُ هَدْيٌ والنساءُ طالقٌ *[2]

ولم يقل: طوالق.

وفي القرآن: (76/ و) ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ (يونس/ 22) معناه: وجرتْ بكم، وعلى مثال ذلك قول بعض العرب:

رحلْتُ وودَّعتُ الخليطَ اليمانيا سُهيلا وآذنَّاهُ الاّتلاقيا[3]

وكان وجه الكلام: وآذنتُه، لأنَّه قال: رحلتُ وودَّعْتُ، ولم يقل: رحلْنا.

ومثلُ قوله: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ قول الآخر[4]:

---

(1) القول للطبري في تفسيره بتحقيق محمد شاكر 4/ 456.

(2) شطر بيت من الرجز غير منسوب في معاني القرآن للفرّاء 2/ 1-3، والخصائص 2/ 62، 478، وتأويل مشكل القرآن220 وفيه: طوالق، ولا شاهد فيه حينئذٍ.

(3) البيت من البحر الطويل.

(4) لبيد بن أبي ربيعة العامري.

باتتْ تَشكّى إليَّ النفسُ مُجهشةً وقد حملتُكِ سبعاً بعدَ سبعينا[1]

والوجه: وقد حملتُها، فتحوَّلَ عن الأخبارِ عنها إلى مُخاطبتها، وقد يُحدّثُ الرجلُ عن نفسهِ فيدَعُها ويُخاطبُ غيرَه في اللفظ، لأنَّ المعنى إنَّما يقع عليه، كما تمثَّلَ علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه:

أريدُ حياتَه ويُريدُ قتلي عذيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ[2]

ولم يقلْ: عذيري، وقالَ الآخر في مثله، فكأنَّه خاطبَ غيَره، والمعنى إنّما يقَعُ عليه:

عذيُركَ من مولىً إذا نِمْتَ لم يَنَمْ يقولُ الخنا أو تَعْتريكَ زنابِرُهْ[3]

والمولى: الولىّ، فأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد/ 11).

فقد بيَّنَه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/ 68).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ (البقرة/ 143).

فطعنَ فيها أهل الزيْغ، فقالوا: جعلَها لِيعْلَم، فيكون ذلك سَبباً لعِلْمه فالجواب: (76/ ظ) أي: ليَظْهرَ فِعْلُ من يّتبعُ مِمّنْ ينْقلِبُ على عَقِبيهِ، فيكونَ فاعلاً أو غيرَ فاعل- وذلك لِما رَجاه من ثوابه، وخوفِه مِن عقابه، واللهُ عالِمُ الغيب - وإنّما تَقعُ المجازاةُ بعد إظهار الفِعْل من فاعله.

---

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ملحق ديوانه بشرح الطبّاع185، وفي ذيل ديوانه طبعة صادر ص225.

(2) البيت من البحر الوافر، وهو لعمر بن معد يكربَ الزُّبيدي في ديوانه 65.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو الكتاب 1/ 313، والمخصص12/ 184، والبيت مجهول القائل. انظر: أسطورة الأبيات الخمسين في مجلة المجمع العلمي العراقي 238.

وقد يجيءُ الأتساعُ لفظةً لها ثلاثةُ معانٍ كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ (البقرة/ 66) أي: ما كانَ بحضرتِها، كقولك: كانَ الأمْرُ بينَ يدي، أي بحضرتي.

ومجازُ آخرُ (مابينَ يديها) أي: ما كانَ قَبْلَها، كقوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (المائدة/ 48) وقولُهم: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (سبأ/ 31).

ومجازٌ ثالث: ما يكون بعْدَه، كما تقول للظالم: القيامةُ بينَ يديك، أي: تأتي بعد موتك.

وقالَ ناسٌ من أهل الزّيغ: كيفَ تكون نكالاً لِما هو قبلها وَإنّما بعدَ ذلك؟ قيل لهُم من حيثُ جهلتم: إنَّ الله جعل ذلك نكالاً لِمَنْ دانَ به قبل إهلاكها، كما عاتب قوماً بفعال غيرهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ (البقرة/ 55) و ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ (البقرة/ 61) و ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ (البقرة/ 72) وليس منهم أحَدٌ أدْرَكَ موسى: ولكنّهم لَما دانوا بدينهم عوتِبوا على أفعالِهم كقوله تعالى: (77/ و) ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة/ 91) أي: صادقين- وغيُرهم القاتل.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة/ 66) فأنَّ العرب تُسمّي الخلفَ والوراءَ في بعض المعاني ما كان: أماماً، كقوله: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ (الكهف/ 79) أي: أمامَهم، لأنَّ ما توارى عن العينِ فهو غائبٌ، مِن أمامٍ كانَ أو غيرِ ذلك ولذلك قيل: إيّاكم والتُّهْمَةَ لمعاني القرآن وتأويل ألفاظه، فأنْ يكن عِوَجٌ فَمِن قلوبكم.

وكلُّ معنى في النفس فهو يحتاجُ إلى تَرْجُمانٍ يبُينْ عنه ما هو؛ فإذا لم يُذْكَرْ ظاهراً أسْتُدِلَّ عليه باطنا، كما قرأ يعقوب[1] الحضرميّ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا ﴾ (الإسراء/ 13) يُريد: ويَخرُجُ له الطائر كتاباً منشورا، فلولا دليلُ الأعراب لبعُدَ عن الصواب، ومثله قول الشاعر[2]:

فلقد عَلِمتِ إذا العشارُ تروَّحَتْ هَدَجَ الرئال تكبُّهنَّ شَمالا[3]

أي: تكبُّهنّ الريحُ شمالا[4]، فنَصبَ (شَمالا) على الحال.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم/ 25) نَصَبَ (رُطباً) على الحال، التقدير: يسّاقط عليك رُطبُ في حالِ ما هو رُطَبٌ جنيٌّ.

---

(1) ابن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي البصري، مقرئ البصرة في عصره قال عنه أبو حاتم السجستاني: هو أعلم مَن رأيت بالحروف، والخلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو. وقال عنه أحمد بن حنبل: هو صدوق وفي قراءة يعقوب اختلاف نشأ بين المتأخرين، والصحيح أنّ قراءتهُ ثابتة مقبولة غير شاذّة لصحة أسانيدها، ولفصاحتها، ولموافقتها رسم المصحف.

انظر: معرفة القرّاء الكبار، بتحقيق د. طيّار آلتي 1/ 328 وما بعدها، وغاية النهاية في طبقات القرّاء (دار الكتب العلمية) 2/ 336 وما بعدها.

(2) الأخطل التغلبي.

(3) البيت من البحر الكامل وهو في شعره الذي جمعه قباوة 1/ 107 باختلاف.

(4) انظر: معاني الأخفش 2/ 393.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقال سويدُ بن أبي كاهل في مثل هذا الإضْمار:

(77/ ظ) وإذا هَبَّتْ شَمالاً في قُدورٌ مُشْجهاتٍ لم تُجَعْ[1]

أي: مملوءةً لحْماً، فإذا لم تكن مملوءة فهي جائعة، يُريد: وإذا هبّت الريحُ شَمالاً، نصبَ على الحال، كما قال سلامةُ بن جندل[2]:

وقدْ نحلّ إذا هبّتْ شآميةً بكلّ وادٍ حطيبِ البطْنِ مجدوبِ[3]

أراد: إذا هبّتْ الريحُ شآميةً، ولو لم يُضْمرِ الريحَ لرفعَ.

ويجيء في القرآن (ما) بمعنى (الذي) كثيراً، وكذا في اللغة كما قال الشاعر:

* يا هندُ ما أبْتغي لقاؤكمُ *[4]

ولو كانت (ما) نفياً لنصبْتَ (لقاءكم)، فقوله: لقاؤكم: خبرُ الابتداء و (ما أبتغي) مبتدأ.

فهذه الاتساعات تدُلُّ بأعرابها ذوي الأفهام على الفِطَن لمعانيها، كذا اعتراضُ كلامٍ بينَ كلامين في مواضع من القرآن قد ذكرناها، منها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ والاعتراض: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل/ 34) تصْويباً لقولها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، قال لوط لجبرائيل عليه السلام: بلِ الساعةَ، فقال: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود/ 81).

---

(1) البيت من بحر الرَّمل وهو في ديوانه/ 27.

(2) هو من بني عامر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب جاهليٌّ قديم، من فرسان تميم المعدودين كانَ وصّافاً للخيل. الشعر والشعراء 152 (دار الكتب العلمية).

(3) البيت من البحر البسيط، في ديوانه 119.

(4) هذا شطر بيت من البحر المنسرح.

وقيلَ ليوسفَ: المرأة قد عذرتْكَ بقولها: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُۥ﴾ (يوسف/ 51) فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يوسف/ 52)، ومثلها قول القائل والقرآن افصحُ:

(78/ و) فقدْ والشكُّ، بيّنَ لي، بعاجلِ بَيْنِهم صُرَدٌ يَصيحُ[1]

أراد: بيَّنَ لي بعاجلِ بَيْنِهم صُرَدٌ يصيحُ، وقوله: والشكُّ عناءٌ، اعتراض.

ومن المعاني ذوات الفوائد الصحائح التي تَنقدِحُ بذكيّ القرائح، قول القائل، في جميلٍ من لطيف المدائح، فأخبرَ ثُمَّ خاطبَ، فقال:

ومَنْ يتتابُهُ فنَدىً وبُخلُ فَقَدْ أوسَعْتَ من بُخلٍ وجودِ[2]

ولم يَقُلْ: ومن يتتابكَ، أراد: بُخلاً بدينهِ وجوداً بماله، يقال: أوسَعَ الرجلُ إذا جادَ بسَعةٍ، وفي القرآن: ﴿عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ (البقرة/ 236)، وقد: وسَّعَ فلان بناءه، أي: بناهُ واسعاً.

وقيل في قول يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف/ 55)، أي: عِلْمي يتّسعُ لحفظ خزائن الأرض، أرضِ مصر، ولم يُدِلّ بنفْسِه ولا امْتدحها، ولكنّه ضمانٌ، يقول: طالَبني بالحفْظِ والإقامة فأنّي أقوم بذلك، وهذا مِثلُ قولك: طالَبني بالبناء المُحكم فأني بنَّاء.

وفي القرآن: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ (آل عمران/ 52) أي: مَنْ يَضمُّ نُصرَتَه إلى نُصرةِ الله، وعلى هذا قول أوس بن يعمر:

---

(1) البيت من البحر الوافر، وهو بلا نسبة في الخصاص1/ 330 و2/ 390، و مغني اللبيب 1/ 186، وشرح شواهده للسيوطي 1/ 489، وشرح أبياته للبغدادي4/ 89.

(2) البيت من البحر الوافر.

مَـن ذا يعـاونُني وَيرْفِـدُ منطقـي إلى مَعْـشر أجْـزي بهـم وأُدَافِـعُ[1]

أي: من يضمّ معونتَه إلى معونةِ معشرٍ بتصديقي[2] منطقي في مَدْحي لهم فيشفعَه بمثله.

والعرب قد وضَعَتْ (هل) بمعنى (قد) لأنّ قد عِدَةٌ وتقريب، و(هل) تقرير(78/ ظ) وتذكير، والدّليلُ على أنّه ليس بإسْتفهامٍ قولُ أبي بكر لما نَزَلَتْ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان/ 1) بيَّنَهُ فقال: ليتَه كانَ ثمَّ فلَمْ يكُنْ شيئاً مذكوراً، أي: في طينةِ آدم، والله أعلم، وكذا: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ (الغاشية/ 1) أي: قد أتاك، كما قال قيس بن زهير[3]:

* ألا هَلَ آتاكَ والأنْباءُ تنمي *[4]

---

(1) هذا البيت مُلفّق فصدره من البحر الكامل، وعجزه من البحر الطويل.

(2) هكذا في الأصل ولعلها (تصديق).

(3) أبو هند بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، أدرك الإسلام واسلم ثم ارتدَّ وتنسّك، كان سيد قومه، أمير عبس وداهيتها، يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه، من الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء، خطبه غير قليلة، وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة، وشعره جيد. (مات سنة 10 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 380، الأعلام 5/ 206، وسمط اللألي 583، 823، خزانة الأدب 1/ 288، 405، 8/ 361، 9/ 524.

(4) هذا صدر بيت من البحر الوافر، والبيت فحّل على هذه الرواية والصحيح ما رواه سيبويه في كتابه 2/ 60 (طبقة بولاق) و 3/ 316 (طبعة هارون) وقد نسبه إلى قيس بن حجر، أنشده:

ألَـمْ يأتِيـكَ والأنْبـاءُ تنمـي بمـا لاقَـتْ لَبـونُ بـني زيـادِ

=

أي: قد أتاك.

وكذا جاءت الهمزة التي في لفْظِ الاستفهام، لأنّها أخْتُ (هـل) وقـد تُبْـدَل منها (هاء) فيقولون: هيّاكَ، بمعنى إيّاك، و: هأنْتَ قلت ذاك، وفيها غاية الأفهـام أنّها في معنى المُعاتبة والتنبيهِ، نحو قوله عز وجل للمسيح عليه السلام:

﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ (المائدة/ 116) وهو العليمُ أنّـه لم يَقُلْـه ولكنّـه تـوبيخٌ لِمَنْ حكاه عنه، وقولُه تبارك وتعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (الزمر/ 36) [و] ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ (العنكبوت/ 68) [و] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ (النساء/ 82) [و] ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾ (المائدة/ 74) وقولـه: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (الحجرات/ 12).

=

وانظر: البيت في سر صناعة الإعـراب 1/ 78، وفهـرس شـواهد سـيبويه، لأحمـد راتـب النفّاخ/ 83، والمنـصف 2/ 81، وخزانـة الأدب 8/ 361، 9/ 524، ومـا يجـوز للـشاعر في الضرورة 158، والتوسُّع في كتاب سيبويه 205.

فهذا البيت انشده سيبويه في باب الضرورات وليس يجب أن يكون منها، لأنّـه لـو أنـشد بحذف الياء لم ينكسر الوزن، وإنما موضع الضرورة ما لا يجد الشاعر منه بداً في إثباتـه ولا يقدر على حذفه لئلا ينكسر الوزن، وهذا يـسمّى في عـروض الـوافر: المنقـوص. وهـو الذي يجتمع فيه تفعيلة (مفـاعلتن) عـصب وكـف بالمـصطلح العروضـي مّـسكن لامهـا وتحذف نونها فتكون بالعصب: (مُفَاعلُتْنْ) ثم يدخل عليهـا (الكـف) الـذي هـو حـذف السابع الساكن من التفعيلة فتصير (مفاعلت) وتنقل إلى (مفاعيلُ). ومن هنـا يتـضح أن الشاعر لم يكن مضطراً إلى تشبيه الياء في الجزم بالحرف الصحيح الذي يسكن ولا يحـذف وكان بمقدور الشاعر الوفاء بمعيارية القياس النحوي؛ لأنّ الوزن لم يلح عليه ولم يـضطره إلى ارتكاب ما هو غير مقيس على إن سيبويه قد صرّح بأنّه مضطرٌ إلى ذلك.

ومجازُ ما يقَعُ من هذا تقريراً لا استفهاماً، في مَدْحٍ أ ذَمّ، مجازُ قولِ جرير[1] لبني أمية:

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ[2]

إنّما أذكْرَهم ولم يَسْتَفْهِم، أي: أنتم كذا، فَلَنْ أخيبَ من أفضالكم، وكقول كُثيّر[3]:

أليسَ أبي بالنّضْر أمْ ليسَ والدي لكلّ نجيبٍ من خُزاعة أزهرُ[4]

---

(1) ابن عطية بن حذيفة بن بدر بن سَلَمة أبو حَرْزة، شاعر مشهور بالهجاء لم يثبت أمامه إلّا الأخطل والفرزدق. عاش عمره كلّه يناضل شعراء زمانه ويساجلهم، وكان حليماً عفيفاً، ومن أغزل الناس شعراً مات سنة 100هـ.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 80، رسالة الغفران 313، والموشّح 118– 132، والأعلام 2/ 119.

(2) هذا بيت من البحر الوافر، من قصيدة يمدح بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مطلعها:

أتصْحُو بَلْ فؤادُكَ غيرُ صاحِ عَشيّةَ هَمَّ صحبُكَ بالرّواحِ

والبيت في ديوان جرير/ شرح الطبّاع 102.

(3) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي من أهل المدينة، مشهور (بكثير عزّة) شاعر مشهور وفد على عبد الملك بن مروان فازدراه ؛ لأنّه كان دميماً مفرط القصر، في نفسه شَمَم وترفّع، ولمّا عرف أدبه، رفع مجلسه. مات في خلافة هشام (سنة 105 هـ). معجم الشعراء المخضرمين 388، وحديث الأربعاء 283.

(4) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 233، باختلاف كبير في الألفاظ، إذ رواية البيت:

أليست أبي بالصّلت أم ليس لكل هجانٍ من بني النّضر أزْهَرا

(79/ و) وقول المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة/ 117) قالوا، معناه: رَفعْتَني وهو معنى غريب! كما قالَ الأشْعر[1] الجعفي:

فلمَّا الْتقينا توفَّيْتُهُ على الرّمْح مني غَداةَ النزال[2]

أي: رفعتُه على الرمح.

وأمّا قولُه تبارك وتعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ (المائدة/ 116) فالنفس في كلام العرب تَجري على ضربين، كقولك: خَرَجَتْ نفسُ فلان، للميّت، وتقول في الحيّ: في نَفْسِ فلان أنْ يَفْعلَ كذا، وهي تلك النفس. والضربُ الآخر: معنى النفْس فيه معنى جُمْلةِ الشيءِ وحقيقتُه فالتأويل: إنَّك تَعْلمُ ما في حقيقتي ولا أعلم ما تَعْلَمُ، لأنّكَ علاَّمُ الغيوب فأنْتَ تَعْلمُ ما في غيبي ولا أعْلَمُ ما في غيبكَ، ودَلَّ عليه بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة/ 116).

فأنْ قالَ قائل: متى سَمَّتِ العرب النفسَ غيباً؟ قيلَ له: لمَّا كان الغيبُ في النفس جازَ أنْ يُسمَّى بها لأنَّ الغيبَ في كلامهم: هو كُلُّ ما واراكَ مِن شيءٍ أو تَوارى عنك فهو غيبٌ، حكى ذلك أهْلُ اللغة، والأصمعي وغيرُه: أنَّ النفسَ قد ورَّاها الجوفُ، فجازَ على هذا المعنى أنْ تقولَ: إنَّ النفسَ بمنزلةِ الغيب، لأنَّ الأسماءَ لم توضَعْ في الأصْلِ بِعَلَلٍ، وإنّما وضِعَتْ للفُصولِ بين الأشياء، فالمعاني موجودةٌ بأنفسها والأسماءُ إبانةٌ (79/ ظ) عنها، فإذا قلت: فعلْتُه من تِلْقاء نفسي، فـ (تِلقاء) معناه يقربُ من معنى (عنده) وليسَ به، لأنَ أصلَ (عِنْد): الحضرة

(1) هكذا بالشين والصواب انه بالسين، والأشعر هو مرثد بن أبي حُمْران، وهو من شعراء الجاهلية وفرسانها، وسمّي الأسهر ببيت شعرٍ قاله. انظر: الاشتقاق 408، والمؤتلف 58.

(2) بيت شعر من البحر المتقارب.

كلها لِما في النفس وفي البعد والقرب، و(تِلقاء) لا يكون لِما في النفس، فهو مُلاصِقٌ غيرُ مفارِقٍ.

وكقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ (يونس/ 15)- وليس في كلام العرب: زيدٌ تِلقاء داركِ لأنَّ تلقاء ليس باسم لِما يَنْصرف، إنَّما هو للشيء الثابت، كقولك للرجل: إنَّما فَعلْتَ هذا من تِلقاء نفسك، لأنَّ نفسَه لا تُفارقُه.

وتقول: دارُك تِلقاءَ دار زيدٍ، ودارُك تلقاءَ الشّمال، لأنَّ جهةَ الشمال ثابتة، ولو قالَ قائلٌ: تِلقاءُ الشمال، بالرفع يجعله الشيء بعينه، لجازَ على السعة.

وأصْل تلقاء يشتملُ على هذه الأبواب، كما تشتملُ النفسُ في قولِك: نزلتُ بنفسِ الجبل، ووزنُ تِلقاء: تِفْعال.

ومعنى (دارُك تلقاءَ الشمال): أي تتلقّى الشمال، ومعنى (تِلقاء نفسي) أي: ما يُلقى في نفسي وما يحضُر عندي، كما تقول: ما يخطرُ ببالي، و: ما يقَعُ في خُلْدي.

ولا يكون أنْ تقولَ: زيدٌ تلقاؤك، فتصفَه بذلك، هذا يَفْسُد من جهتين، إحداهُما: إنَّهُ ليسَ المعنى: زيدٌ يلقى في قلبك كما تقول: هذا قلتُه من تِلقاء نفسي، أي مِمّا يقعُ في نفسي، فليس هذا مكان زيدٍ (80/ و).

والجهةُ الأخرى التي هي مثلُ: داري تلقاء داركِ، إنَّ زيداً ليس بشيءٍ ثابتٍ كالدار التي تقابل دارَ زيدٍ.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (آل عمران/ 28) أي: يُحذّرُكم الله تعالى إيّاه، فهو كقول الرجل: جئتني بنفسِكَ، تقولُ: جئتني أنتَ لاغيرُك، هذا قولٌ فصيحٌ في كلامِ العرب من غيرِ تحصيلِ نَفَسٍ من جَسَدٍ.

فسبحان الواحدِ الصّمد، الهادي عبادَه للرّشَد، فقد خَصَّ الله تعالى منهم، بالمُعاتَبة والتّذكار، أولي الأفهام والألباب، لأنّه عليمٌ حكيمٌ، لا يُعاتِبُ مَنْ لا يعي فَهْمُه لِما بهِ يُريد ولا يُلقي السّمْعَ وهو شهيدٌ لِما يأتي به من وَعْدٍ ووعيد، فيذهبَ العتابُ لَغْوا وتطيشُ الحُجَّة صَفْحاً، ونعوذُ بالله من طولِ الغفْلَةِ وكُلُول الفِطْنَةِ، كما قيل:

كَمْ مِن وعيدٍ يخرُقُ الآذانا كأنّما يُعنى به سوانا

* أصمَّنا الأمْهال بَلْ أعْمانا *

ومِمّا يَدْخُل في معنى المُعاتبة قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (التوبة/ 74) أي ليسَ ذلك مِمّا يُنقِم.

وعلى مَذْهب التعجيز لآرائِهم قولُه تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (الأنفال/ 35) - والمُكاءُ: الصفير، والتصْدية (80/ ظ) التصفيق - وليسَ بِصلاةٍ، أي لَمْ يكن لهم صلاةٌ، إنّما كانَ ما وصَفَهُ الله - عز وجل - عنهم جَعلوه موضعَ الصّلاة، فسمَّاهُ صلاةً على دَعْواهم.

وكذلك في قولِ بعضِهم: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة/ 78) أي: يَتمنّونَ في الكتاب الأباطيل.

وقال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة/ 93) أي لو كان لكم إيمانٌ كما تزعمون لحجزَكم عن البُهتان.

ومن اتساع اللغة أنْ (إلاّ) في معنى (لكنْ) منقطعة مِمّا قبلها تقول العرب: إنّ فُلاناً لكثيرُ المال إلاّ أنّه بخيل، أي لكنّه مُمْسِك وفي القرآن: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (يس/ 43-44) فهذا بيّنٌ

الانقطاع مِمّا قبله ؛ لأنّ الله الصادقَ قال: ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ فكيف تكونُ الرحمةُ صريخاً وقد نفاها عن المشيئة؟

وقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ (الأنعام/ 101) على التهجين والتنبيه لِمَنْ ذهَب عن اليقين، وكذا قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ (فاطر/ 37) فقد يكون يعني الرسول[1] فيكون الوَعظُ لِمَنْ تفسَّحَ في عمره، وقد يكون جاءكم المشيبُ لتحقيق احْتناكِ السّنّ والتعمير، والله أعلم.

وأمّا قوله تعالى: (81/ و) ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ (القصص/ 5) فللأرادةِ في اللغة ثلاثةُ معان تقول: أرادَ اللهُ خَلْقَ الخَلْقِ، أي: خلقَهم بأرادتِه عز وجل، وقَدْ يكون: أرادَ أمْراً، كقولك: أرادَني فُلانٌ على كذا وكذا، إذا أمركَ به، والمعنى الثالث أراد: أي هَمَّ بكذا، وهذه كلمة منفيّة عن الله - جلّ ثناؤه- لأنّه إنّما يَخْلُق ويأمُرُ غيرُه بِهَمّ، ولا يعلمُ ما يكونُ حتّى يكونَ، واللهُ تعالى يعلمُ آخِرَ الأمور كعِلْمِهِ بأوّلِها، ويعلمُ باطنَها كعلْمِه بظاهرِها، فتبارك الله العليم القدير الفعّال لِما يُريد.

وفي القرآن آيةٌ يَسْبقُ إلى القلوب غيرُ معناها [هي] قولُه تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي بآرائهم وأهوائهم ﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ﴾ (الزخرف/ 33) مجازُها: إنّ الله أرادَ أنْ يكونَ المؤمِنُ والكافرُ غيرَ مُتباينينِ في أرزاق الدنيا، فجعلَها لهما في العاجلةِ، إذْ لَمْ يرضَ بالدنيا ثواباً لِمَنْ أطاعَ، ولا عذاباً لِمَنْ عصى، ولو جَعَل لِمَنْ كفَر لبيوتِهم ﴿ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾

(1) انظر: معاني القرآن للفرّاء 2/ 370.

(الزخرف/ 33) ذاتَ رِفْعة وزخارفَ لكانَ الناس إلى زخارفِهم ناظرين ولَها بسوءِ الظنّ بربّهم، مُتَّبعينَ حتى يصيروا أُمّةً واحدة فيبطُلُ الامتحان ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (هود/ 118) ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد/ 31) لا على جهةِ هدايةِ الدّلالةِ ولكنْ على إلزامِ الطبيعة (81/ ظ) ولكنّها دارُ أمْتحان.

ويُصدّقُ ذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الأعراف/ 32)

أي وقَع لهم الأيمان في الدنيا خالصةً يومَ القيامة، يخلُصُ لهم دون الكفار، فهذا يُعلِمكَ أنّهم شركاء فيها في الدنيا فابان في هذه الآية ما أجمل في التي قبلَها بقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية/ 21) أي: أنْ يُسوّى بينهم في الآخرة، كما سُوّيَ بينهم في الدنيا.

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ (الأعراف/ 40) ليس على معنى (حتى): وقت ذلك، ولكنْ على التبعيد، وزعم الأصمعي أنَّ السَّمَّ والسُّمَّ لغتان[1] في كُلّ ضيّق المسْلَك.

فأمّا في القرآن فبالفتح - والعرب تقول في مثل معناه: حتى يَبْيَضَّ القارُ و:

(1) جاء في اللسان/ سمم/، عن أبي الهيثم الأعرابي أنهما: لغتان: سَمّ وسُمّ لخرقِ الأبرة.

[حتى] يشيبَ الغراب[1]، تبعّداً للأمر، وهم يعلمون أنَّ ذلك لا يكون، قال الشاعر:

إذا شابَ الغرابُ هجرتُ ليلى وهيهاتَ المشيبُ من الغُرابِ[2]

وأمّا قول شُعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي في الملّة العاصية ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ (الأعراف/ 89) ولا يشاءُ الله أنْ تعودَ الرسُل في شِرْكٍ أبداً ولم يكونوا في (82/ و) شِرْك فيعودوا إليه، ولكنَّ العرب تقول: عادَ فلان في الشرّ، أي: صار إليه، وَأنْ لم يكن كانَ فيه قطّ.

وقال مجاهد[3]: الأنبياء على ثلاث جهات، [فـ] قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى/ 51) فهو داود، أوحى الله تعالى إليه، فزبَرَ الزَّبور في صدره، وكذا شُعيب، وغيره، يُوحى إليه، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ فهو عيسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى/ 51) جبريل إلى محمد عليهما السلام - فلا عودةَ لنبيّ إلى شرْك لم يكن فيه، فالمعنى: ما كان أنْ نصيرَ إلى مِلّتكم إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ أمراً يُحِلّه لنا فنصيرَ إلى هدايته.

---

(1) جمهرة الأمثال 1/ 363، والمستقصى 2/ 59.

(2) البيت من البحر الوافر.

(3) مجاهد بن جبر، الإمام أبو الحجّاج المكي المفسّر المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي قرأ القرآن عل ابن عباس، وحدَث عنه. قرأ عليه ابن كثير، وأبو عمرو. (مات سنة 103) وقد نيّف على الثمانين، رحمه الله.

انظر: معرفة القّراء الكبار/ تح/ طيّار آمني1/ 163--164، طبقات الحفاظ للسيوطي (العلمية) 42، وتذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 92، وتهذيب التهذيب 1/ 42، وشذرات الذهب 1/ 125.

ومن كلام العرب: إني على الحقّ أو إنّكَ لعَليهِ، أي: أحدُنا مُبْطِل وأنْ كان قد يَعلمُ أنّه المُحِقُّ دونَ صاحبه، ويقول الرجلُ لغلامه: أحدُنا مضروب، أي: إنّك أنتَ، وهو دوني، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ/ 24).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ فوحّدَهُ، ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر/ 33) فجمَع، لأنَّ المعنى: والذينَ صدّقوا به، كما جاء في اللغة:

[و] إنَّ الذي حانتْ بفلْج دماؤهم هم القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ [1]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ لأن الأنسانَ واحدٌ في اللفظ، ثم قال: (82/ ظ) ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (الشورى/ 48) لأنّ معنى الأنسان جماعة.

وقال تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة/ 6) ولم يقل: إلى الكعاب، لأنَّ التقدير: كلُّ واحدٍ منكم، وكذلك: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ (النور/ 4) أي: اجْلدوا كلَّ واحدٍ منهم ثمانينَ جَلْدة. فأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون/ 12-13) وكأنّه قال - والله أعلم - ثُمَّ جَعلْنا الآخَر مِن ولَدِ آدم، ولكنّه استغنى عنه بذكْر الأوّل.

وهذا فَسيحٌ في اللغة، لأنّ الأنسانَ يَصْلح للواحد وما فوقه مِن جِنْسه.

قال الاخفش: العرب تقول: أكلتُ تَمْرةً ونصفَها، تُريد: ونصفَ أخرى.

---

(1) البيت من البحر الطويل و هو للأشهَب بن رُمَيْله، ينظر شعره 191، والبيت من شواهد سيبويه 1/ 187، وانظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه 294.

وقال زهير[1] في مثل ذلك:

* وذي نِعْمةٍ يَمّمْتُها وشكرتُها *[2]

إنما يُريد: يمّمْتُ نِعمةً: قصدتُ إليها، ولم ينلْها بعدُ، وشكرتُ نعمة أخرى، هذا قول المازني.

ومن الأمثال: يُضيعُ الناس أصولَ الحكمة، [و] في قلّةِ الشكر زوالُ النعمة، وروي أنّ الله - تبارك وتعالى- قال لموسى عليه السلام، إذ سألَه موسى عن الْشكرِ، فقال: أفْضَلُ الشّكر ذِكرْ الله تعالى، وأغنى الغنِى أنْ يَرْضى العبد بما قُسِمَ له.

ورويَ: إنّما تَهْلكُ الناس في فضول الكلامِ فيما قَسمَ الله تعالى للأنام.

ويقال في الأمثال الموزونة[3]:

(83/ أ) الصمتُ إنْ ضاقَ الكلامْ كـذا قـضى الله فكيـفَ تَـصْنعُ

أصْـل الكـلامِ كلّـهِ أنفـاسُ يُخْرِجُـه الـتفكيرُ و الوسْـواسُ

---

(1) زُهير بن أبي سُلْمى، شاعر جاهلي، أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر، وهم: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة.

انظر: جمهرة أشعار العرب 182، 288، وسمط اللآلي 1/ 261، وحديث الأربعاء 1/ 77.

(2) هذا صدر بيت من البحر الطويل في ديوانه (شرح علي فاعور) ص9 وعجزه :

* وخَصمٍ يكادُ يَغلِبُ الحقَّ باطِلُهْ *.

(3) هذه المقطوعة من أرجوزة لأبي العتاهية في ديوانه، باختلاف في الرواية والترتيب فالأول والثاني في ص450 والأخرى لم ترد في الديوان ويبدو أنّ هذه المقطوعة من الشعر المزدوج.

أفْلحَ مَنْ كانَ له تَفكّر ... ما كلّ ذي عين يرى ماتُبْصِرُ
تَعْمى القلوبُ و الوجوه حاضِرهْ ... تعمى القلوبُ و العيونُ ناظِرهْ

ومِمّا جاءَ في القرآن من لفظةٍ واحدةٍ تَحْتمِل ثلاثةَ معانٍ، قوله، عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (الأحزاب/ 56) فصلاتُه - جل جلاله - رَحْمةٌ و تفضُّلٌ.

وكذلك ذَكَر العلماء: أنَّ رَجُلاً قال لموسى عليه السلام: يا نبيَّ الله، أيُصلّي ربُّنَا تبارك وتعالى؟ فَغضِبَ موسى، فأوحى اللهُ تعالى إليه: (إنَّ صلاتي على خَلْقي رحمةٌ مني لَهُم وتفضّلٌ).

والصلاةُ من المخلوقينَ على معنيينِ، أحُدهما: الصلاة بالركوعِ والسجودِ، والآخَر: الدعاء، كما قال الأعشى، أنْشَدْناه أحمد بن يحيى وفسَّره هو وغيرُه:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليكِ مثلُ الذي صلّيت ... نوماً فأنّ لجنب المرءِ مُضْطَجعا[1]

أي: عليكِ مثل الذي دعوت به.

فهذه الألفاظ ملتحِفةٌ على المعاني المفهومةِ عند أهلها، المشتبهة على من جهل تفسُّح اللغة، فسألَ عنها كالشاكّ فيها مُكايداً للقرآن، دافعاً للبرهان، أو تكلَّفَ القول فيها جاهلاً بمعرفة حقائقها، وقد قال الناهي عن ذلك:

---

(1) البيتان من البحر البسيط وهما في ديوانه 101، وديوانه (ط. دار الكتب العلمية 104-105)، وانظر: جمهرة أشعار العرب 1/ 321، 121، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 4/ 83، 84، ومجاز القرآن 1/ 62.

(83/ ظ) ولا تقولنَّ بما لا تعقل عليكَ في المعنى بما لا تجهلُ[1]

وفي كلّ ألفاظ القرآن الحججُ القائمة، والسبل الواضحة، والحِكَم البالغة، قال القائل:

الحمدُ لله بما شاءَ حكمْ أحكامُه في الخلْقِ جودٌ وكَرمْ[2]

وقد جاء في القرآن ما لفظتْ به العرب مِمّا ليس له إلاّ وجهٌ واحدٌ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/ 5)، والفلاح: الظَّفَر، فلا فلاح ولا ظفرَ لِمَنْ عَنَدَ عن آيات ربه فكفر.

وكذا: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة/87): الطَّهارة، ولا طهارة لَمن جهل فركب الخسارة، كما قال رؤبة:

دعوتُ ربَّ العزّةِ القُدُّوسا دعاءَ مَنْ لا يقرعُ الناقوسا[3]

وكذلك: الرِّيبة، كلمة واحدة بمعنى الارتياب، كما قال الأسدي[4]:

إذا انْتَضَلَ القومُ الأحاديثَ لم يكُنْ عَيّياً ولا ريباً على مَن يُقاعِدُ[5]

---

(1) هذا بيت من الرّجز.

(2) بيت من الرّجز.

(3) البيت من الرجز في ديوانه/ 68.

(4) أهبان بن خالد بن نضلة الأسدي كما في المؤتلف والمختلف 34.

(5) البيت من البحر الطويل،وقد اختلفوا في روايته ونسبته كما في كتاب الجيم3/ 199، وديوان الحماسة278.

وكذلك (إذ) لِما مضى من الزمان لا غير، فأنْ قال قائل: فقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (غافر/ 70-71) و (سوف) لِما لمْ يقع فكيف اقْترَنا؟ قيل له: هذا الكلام ذروةُ الحقّ ومحضُ اليقين ؛ لأنَ الله تبارك وتعالى العليمَ بما يكونُ أخبرَنا أنّ علمَهم وقع منهم بعدَ أنَ وقعت الأغلالُ في أعناقهم فصارت (إذ) مُضيّاً لوقوع العلم، فإنما تقديرها حكاية (84/ أ) ما يكون، وهو عَلام الغيوب.

فأنْ قال: فقوله، عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ (غافر/ 47) وتحاجُّهم لم يقعْ فكيف وقعتْ (إذْ) ها هنا؟

فهذا أيضا، إنّما وقعتْ (إذ) بعدَ أنْ تحاجّوا، فأخْبرَنا الله، عز وجل، بذلك إذ كان لا خُلْفَ لوقوعه وثبات يقينه، وكذا بيت أبي ذؤيب:

فسوفَ تقولُ إذْ هيَ لم تجدْني أخانَ العهدَ أو أثِمَ الحليفُ[1]

فهذا مِثْلُ الآية، لأنَّ القول إنّما كانَ بعدَ فقدِها له، فـ (إذْ) ماضٍ للقول.

وقال علي بن أبي طالب، رحمة الله عليه: لطيفٌ بعبادِه إذْ نَزَّلَ إليهم من رزقه كَقطْر المطر، إلى كُلّ نفسٍ بما قسَم، فخيرُ العيش مالا يُطغيكَ ولا يُلهيكَ.

(1) البيت من البحر الوافر، وهو لأبي ذؤيب الهذلي كما في أشعار الهذليين (دار الكتب العلمية) 1/ 128.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وقال بعضُهم:

ولستُ بخابئ أبداً طعاماً حذارَ غدٍ لكلّ غدٍ طَعامُ[1]

والله لطيفٌ بالبَرّ والفاجر، يرزقُهم إلى آجالهم، وقال آخَرُ[2]:

إنْ يَفْنَ ما عندنا فاللهُ يرزقُنا ومَنْ سوانا، ولّسنا نحنُ نَرْتزقُ[3]

وفي كتاب الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ (المؤمنون/ 99) ولم يقل: ربّ أرجعني، لأنّ الله العظيمَ بأمْرِهِ تتصرَّف الأمور، فلذلك قال[4] الخليل، معناه: ربِّ لأرْجِعْ، أي: يأمرُ بذلك، لأنّه عز وجل، مالكُ الملكِ وله الخَلق والأمر، كما قال عبد المطلب[5] يدعو للبيت المعمور:

يا ربِّ لا تجعلْ لهُمْ سبيلا إلى الذي جَعَلْتَه مأهولا

وكانَ بانيهِ لكُم رسولا[6]

---

(1) البيت من البحر الوافر وهو لأوس بن حجر في ديوانه 115، وورد كذلك في ديوان النابغة في قسم الشعر المنحول 32، مع بيت آخر يقول:

تمخَّضت المنونُ له بيومٍ أتى ولكلِّ حاملةٍ تَمَامُ

(2) هو كعب بن زهير.

(3) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 228.

(4) لم يرد هذا التفسير في كتاب العين ولا في بواكير التفسير القرآني عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(5) جدّ النبي (ﷺ).

(6) البيتان من بحر الرجز، والرجز منسوب إلى أبي طالب في كتاب الأضداد لابن الأنباري 183.

(84/ ظ) قال أبو الخير[1]: ولم يقل: وكانَ بانيهِ لك خليلاً، ولكنَّه تعظيمٌ لِمَنْ له العظَمةُ والكبرياء في السماوات والأرض، وهو الله الواحدُ القهّار الباقي الذي لا يزول ولا يحول.

و: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن/ 26) ولمّا ذكَر الفناء أخْبَر عن بقائِه، عز وجل فقال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ (الرحمن/ 27) ووجّه الله هو الله، كذا تَستعمِلُه العرب لأنَّ القصْدَ إلى معنى واحدٍ، ولاشِيَةَ للهِ، عز وجل.

ومثلُه قول القائل:

وكم قَطَعتْ غِبَّ السّرى من ... إلى وجْهِ عبد الله ترجو نوافِلَه[2]

أي: إلى عبدِ الله.

والله تعالى الأوّلُ قبل خَلْقه، والآخِر بعد إفنائهم، ظاهرٌ فلا يُعْجِزهُ شيء، باطنٌ فلا يَخفى عليه شيء، وهو على كل شيء قدير، لا يفوتُه أوّلُ، ولا يُعجزه آخر، وهو بكلّ ما يُريد آمر، فمُسارعٌ إلى طاعته صابرٌ ومُعْرِضٌ عن الطاعةِ خاسرٌ، وقد أحصى اللهُ كُلَّ شيء عدَداً وأحاطَ به خُبْراً.

ولكن جرت لغة العرب على التعظيم للملوك ومَنْ قاربَهم، وكانت الفرسُ أقْوَلَ شيء لهذا، يقولون للملك: أنتم تفعلون كذا، ولا يقولون: أنتَ، ويقول الملك: نَحْنُ أمرْنا[3].

---

(1) لم اهتد إليه.

(2) البيت من البحر الطويل.

(3) قال ابن قتيبة: وأكثر مَن يخاطب بهذا الملوك ؛ لأنّ من مذاهبهم أنْ يقولوا: نحنُ فعلنا والمراد من ذلك التعظيم، ولعل العرب أولى بذلك من الفرس في مخاطبة المفرد بلفظ الجمع. انظر: تأويل مشكل القرآن 226.

وفي كتاب الله تعالى اسمهُ، قال: ﴿ خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ ﴾ (يوسف/ 51) وإنّما امرأة العزيز (85/ و) وحدها راودته.

والعرب تقول: المسامعة[1] والمهالبة، وَإنّما هو (مَسْمع) واحدٌ و (مهلب) واحدٌ؛ ولكنّه جرى على التعظيم، ويقول الرجل لصاحبه: عذّبتنا وغممْتَنا، وإنّما يعني نفسه، والعرب تقول: أخذتُ من بني فُلان كذا، وإنّما أخذ من بعضهم.

وقال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن/ 22) إنّما يخرُجان من أحدِهما[2] ويقول الرجل لصاحبه: سَلِ الناس إنْ كنتَ لا تدري، وإنّما يعني خاصَّة العلماء، فَيُطْلِقُ نحو هذا القول لتقييدِ العقل خصوصيَّةً في المعنى مفهومة كما يقول لك القائل: كُلْ فعندي كلُّ شيءٌ تشتهي، وإنّما يعني بعض ما تشتهي.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (الأحقاف/ 25) أي: كلّ شيء أُمِرتْ بتدميره.

وكذلك: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النمل/ 23) أنما هو خاص، وكذلك: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام/ 44) أي: مِمّا أوتوا، وما فتحَ عليهم، فإنّما أطلقَ هذا كله استغناء بعِلْم المُخاطَب، واتساعاً في الخطاب.

---

(1) واحدها: مسمع، والمسامعة: بيت ربيعة بالبصرة كما قال ابن دريد في الاشتقاق 2/ 355.

(2) قال أبو عبيدة في المجاز 1/ 15: وإنّما يخرجُ اللؤلؤ من البحر دون الفرات العذب.

وقال الراعي[1]:

أخليدَ إنَّ أباكِ ضافَ وسادَه ... هَمّانِ باتا جَنْبةً ودخيلا

طرقاً فتلكَ هَما هِمي أقريهِما ... قُلُصاً لواقحَ كالقسيِّ وَحُولا[2]

فقال: هَما همي، وهي جميع، فجعلَها اثنين فقال: أقريهما.

وفي القرآن: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ (ق/ 24) قالوا: يعني واحداً قال (85/ ظ) المازني قولاً يُرتَضى، وهو: إنَّه أمرَ الواحدَ فأراد: ألْقِ ألْقِ، فلمَّا لم يُثَنّ الفعلَ ثنى الفاعل[3]، كما قال سويد بن كراع العكلي[4]:

فأنْ تزُجراني يا ابْنَ عفَّان أنْزجِرْ ... وأنْ تتركاني أحْمِ عِرْضاً مُمنَّعا[5]

أضربا عنقَه، أي: أضربْ أضربْ.

---

(1) النميري، أبو جندل عُبيد بن حُصين بن معاوية، ولُقّب بالرّاعي لكثرة وصفه الإبل والرّعاة في شعره، كان من رؤساء نُمير، شاعر فحل من شعراء الإسلام، عدّه ابن سلاّم الجُمحي في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين (مات سنة 90 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 153، وخزانة الأدب 1/ 504، وجمهرة أشعار العرب 921، وشعر الراعي النميري 17.

(2) البيتان من البحر الكامل، وهما في ديوانه 47.

(3) انظر: إعراب القرآن 3/ 222، 4/ 228.

(4) من بني الحارث بن عوف، شاعر فارس مقدّم، كان صاحب الرأي والتقدّم في بني عكل في العصر الأموي، هجا سعيد بن عفّان، فلاحقه، فاختفى زمناً طويلاً (مات نحو 105 هـ).

معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 201، والأعلام 3/ 146، سمط اللآلي 446.

(5) البيت من البحر الطويل وهو في شعره/ 156.

والألفاظ تختلف، لا لاختلافِ معنىً، ولكن لانفساحِ لغةٍ، فلا يُقال: اختلاف، ولكن اتساع.

وقال الشاعر في الردّ إلى أحد ما يُثنّى:

أمَّا الوسامةُ أو حُسْنُ النساءُ فقَدْ أوتيتَ منهُ لوانَّ العقلَ مُجْتمعُ[1]

فَحملَ الكلام على الآخر، على قوله: حُسْن، فقال: منه، ولم يردّه الى تأنيث الوسامة، وقال نابغة [2] بني جعْدة:

غَداً فتَيا دهْر وراحا عليهمُ نهارٌ وليلٌ يَلْحقانِ التواليا[3]

أراد: الليلَ والنهار، فجعلَ الفِعْل لهما، والغدوّ إنّما هو للنهار دونَ الليل، وكذلك الرواح للعشّي دون الغداة، قال: وراحاً عليهم.

---

(1) البيت من البحر البسيط، غير معزو في معاني الأخفش 1/ 81.

(2) النابغة الجعدي، أبو ليلى حسّان بن قيس، لُقّب بالنابغة ؛ لأنّه قال الشعر في الجاهلية وأبطله مدّة ثم عاد إليه في الإسلام فنبغ فيه، شاعر مخضرم، أسلم (سنة 9هـ)، وهو ممن تركوا شرب الخمر في الجاهلية، كان وصّافاً للخيل، أنشد النبيّ (ﷺ) قصيدته الرّائية المشهورة، فلما بلغ إلى قوله:

بَلَغْنا السَّماءَ مَجْدنا وجدودنا وإنّا لنرجو فَوقَ ذلكَ مَظْهَرا

قال له النبي (ﷺ): إلى أينَ يا أبا ليلى ؟ فقال: إلى الجنّة، قال: أجل إن شاء الله.

قيل انّه عمّر مائة وعشرين سنة ولم تسقط له سنّ، (مات سنة 65 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 486-487، والبيان والتبيين 1/ 206، وسمط اللآلي 101، الأعلام 5/ 207.

(3) البيت من البحر الطويل وهو في ديوانه 169.

وفي القرآن: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ (الذاريات/ 5) أي: لصِدْق، وتقول العرب: خابَ سَعْيُكَ، وأنّما الخائبُ الساعي.

وقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات/ 50).

أي: إلى أمْرِ الله، ومثلُه ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (الصافات/ 99) و: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ (العنكبوت/ 26) وإنّما هاجرَ إلى الشام، والله تعالى غيرُ غائبٍ عن مكان.

وكذلك: (86/ و) ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ ﴾ (الفرقان/ 23).

قال الحسن، رحمه الله أي: قَدِمَ أمْرُ الله، ويُقال معناه: وعَمدْنا.

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر/ 42) وإنّما المتوفّي هو مَلَكُ الموت،ويأبى هذا بعضُ أهلِ الكلام، فِمنْ جَهلِ اللغة وهو يَسْمعُ قولَ العامّةِ: قَتَلهُ الخليفة، وجَلَدَه الأميرُ، وإنّما فَعَلَ ذلكَ السيَّاف والجلاّد، ولكنَّ الجلاّدَ بأمر الخليفة[جَلَد]، وإنّما مَلَكُ الموت يتوفّى الناس عدَداً، والله الآمِرُ الآذِنُ، كما قال منظور الوبْري - وبْر[1] من كلاب -:

إنَّ بنى الأدْرَم ليسوا من أسَدْ ... ولا توفَّاهُم قُريشٌ في العدَدْ[2]

(1) وبر بن الأضبط بن كلاب من بني عامر بن صعصعة، انظر: نسب عدنان وقحطان 14.

(2) البيت من الرجز وهو منسوب إلى منظور الزُّبيريّ في مجاز القرآن 2/ 132.
وبلا عزو في تفسير الطبري (تح شاكر) 11/ 405، وتاج العروس/ وفى/ .

ومن هذه المجازات قوله، تبارك وتعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ (الأعراف/ 120) وهم يوم أُنزلَ القرآن لم يكونوا سَحَرةً، إلاّ أنّهُ نسبَهم إلى ما به يُعرَفون.

ويقول قائل: كان آدمُ من الأنس ولم يكنْ إنسٌ قلبَه فيكون منهم ؛ وإنّما يقول: كان منهم لأنّه أصلُهم، والناس أكثرُ من بني آدم، لأنّه في الناس، وأولادُه خارجون عنه، وفي كتاب الله تبرك وتعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة/ 34) ولم يكنْ قبله كافر.

وقال تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ (الكهف/ 50) والله لم يأمُرْه بفُسْقٍ، وإنّما المعنى: أصابَهُ الفُسْقُ عن ردّ أمْرِ ربّه (86/ ظ) كما يقول الرجل: أثخَمْتُ عن أكْلِ كذا.

وقال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ ﴾ أي: في الجنّة، الموت: أي كالذي تقدم ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ (الدخان/ 56)، وليس هذه أولى تقتضي ثانيةً؛لأنّه لو قال: ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ﴾ فأبهمَ لم يُدْرَ أيّ موتٍ هو، والموت هو أوّلُ أحكام الآخرة فهي أولى لهذه الأحكام، لأنَّ ضروبَ النعيم أحكام، والموت حُكْم: فالمعنى: لا ينالهم من أحكام الآخرة ومكروهها إلا هذا الذي وقعَ في السبب إلى النعيم المقيم، ولا موتَ بعد ذلك، ألا تراهُ قال: ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الدخان/ 57) كقوله تعالى: ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ (لقمان/ 9) أي: وعدَ اللهُ وعداً، وتفضَّل تفضُّلاً، لأنَّ ما قبْلَه في معنى التفضُّل الذي وصَلوا به إلى الجنَّة، كما قالَ النابغة:

جوانحَ قد أيقنَّ أنَّ قبيلَه ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ[1]

(1) البيت من البحر الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه/ 43.

فقال: أوّلُ، وإنما هما أثنان مختلفان، غالبٌ أو مغلوب.

وتقول: أخرجني فلانٌ من الكتَبَةِ ؛ أي: لم يُدْخِلْني فيها، وفي كتاب الله جلَّ وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ (البقرة/ 257) ومن الكفّار من لم يكنْ في نورٍ قطّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾[1] (الأنعام/ 105) وإنما صرفها (87/ و) الله تعالى ليفقهوا لا ليقولوا ولكنّهُ مِثل قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (القصص/ 8) وإنّما الْتقطوه ليكونَ لهم قرّة عين.ولكنّ الله - جل و عز - وصَفَ أمرَهُ بتصييرهِ إلى ذلك[2] كما قال الشاعر[3]:

---

(1) (الأنعام/ 105)، (ودَارَسْتَ) بالألف: قرأ بها من القراء السبعة ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء البصري.

و(دَرَسْتَ) بسكون السين من غير ألف: قرأ بها نافع وعاصم وحمزة والكسائي.

انظر: السبعة في القراءات 264، والمحتسب (العلمية) 1/ 334، ومعاني الفرّاء 1/ 349، ومعاني الاخفش 1/ 285، والإتحاف 214.

(2) فاللام في قوله تعالى (ليكونَ) تسمى "لام العاقبة" عند البصريين ويسمّيها الكوفيون "لام الصّيرورة" ومنهم من يسمّيها "لام المآل" وهي الدالة على أنّ ما بعدها نتيجة غير مقصودة لِما قبلها. وهذه اللام عند أكثر البصريين حرف جر، وهي قسم من أقسام لام "كي" وهي عند الكوفيين ناصبة بنفسها، ويجوز في هذه اللام إظهار "أن" بعدها. إلّا إذا قُرن الفعل بعدها بـ (لا) النافية أو الزائدة، فأنّ إظهارها يصبح واجباً.

(3) سِماك بن عمرو الباهلي، شاعر جاهلي، وهو أول من قال: "لا أطلبُ أثراً بعدَ عَيْن".

انظر: خزانة الأدب 9/ 534.

فـأمَّ سَـماكٍ فـلا تَجزعـي فللمـوتِ مـا تَلِـدُ الوالـدةْ [1]

فهذا على الإخبار بالصيرورة. وقال سابقُ البربري[2]:

وللموتِ تغذو الوالداتُ سِخالَها كمـا لخـرابِ الـدارِ تُبنـى المـساكنُ[3]

وإنّما ابْتنوا دورَهم للعمران و غذّوا أولادهم للبقاء لا للفناء، فلّما عَلِموا أنّ المصير إلى الموت و الخراب، تَركوا الشيءَ الذي غذوْا لـه أولادهـم و ابتنـوا دورهم، وأُخبِروا بمصير[4] الأمر اعتبارًا. وقال قائلهم:

ألمْ تـرَ أنَّ المـوتَ لابُـدَّ نـازلٌ ولاشـكَّ في بَعْـث الألى في المقـابر

عُـراةً حُفـاةً و الثـوابُ أمـامَهم فمـن بـينَ ذي ربـح و أخـر خاسـر[5]

---

(1) البيت من البحر المتقارب وهو مع أبيات أُخر له قالها عندما خيّروه بين أن يُقتل هو أو أخوه مالك، فقتلوه دون أخيه.
انظر: خزانة الأدب 9/ 534. وقد أورد البغدادي مقطوعةً أخرى نسبها لعَبيد بن الأبرص على نفس الوزن والرّوي وهي ديوانه (تح حسين نصار) 62، وكان قد طلب منه المنذر بن السماء أن ينشده أن يقتله. فأنشدها إيّاه .

(2) أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري، له أشعار حسنة في الزّهد، وهو من موالي بني أميّة، سكنَ الرّقّة، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وله معه حكايات لطيفة، روى عنه مكحول وموسى بن أعيْن، والمعافى بن عمِران، وغيرهم.
والبربري: نسبة إلى البربر، وهي بلاد كثيرة في المغرب، قال ابن الأثير (في الأنساب): ليس سابق منسوباً إلى البربر؛ وإنما هو لقب له.

(3) البيت من البحر الطويل. وهو في خزانة الأدب 9/ 529، حيث علّق البغدادي يقول: " وكذا نسبه إلى سابق البربري (صاحب كتاب التفسُّح في اللغة) ". الخزانة 9/ 532.

(4) انظر الكلام كلّه في خزانة الأدب عن التفسّح 9/ 532.

(5) البيتان من البحر الطويل.

ومن هذا الاتّساع في اللغة قولـهُ تعـالى: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ (الكهف/ 77) ولا إرادة له، إلا مَجازاً. كما قال الشاعر:

يُريـدُ الـرّمحُ صـدْرَ أبـي بَـراءٍ ويـأبى مِـنْ دمـاء بـنى عقيـل[1]

وإنّما ذلك استغناء بعلم المخاطِب. وليس أنَّ للرمحِ إرادة [أو] ضميراً.

وأما قولهُ: (87/ ب) ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (طه/ 15) أي: فلولا الاحتجاج و الاحتيال للخلْق بالتصديق بها نظراً لهم و تحذيراً و إنذاراً لأخفيتها حتى ابعثَ بها المكذّبين،مع أنّها لا تأتي بَغْتةً و البغتَةُ: المفاجأة.

وأما قولـه تعـالى:﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ (الكهف/ 80)أي: فكرهْنا.

كقول الرجل للمتنازعينِ: إنّي أخشى أنْ يصيرَ أمركُما إلى كـذا. وذلـك لا يضرُهُ و لا يخشاه، وإنّما يريدُ: أكرهُ لكُما أنْ تصيرا إلى ذلك.

وأمّا قوله تعالى:﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ (الأنعام/ 36) فأمّا معنـاه: الذين يقبلونَ. كما قال الشاعر[2]:

---

(1) البيت من البحر الوافر وقد نـسبه أبـو عبيـدة في المجـاز 1/ 410 إلى الحـارثيّ، والبيـت في أضداد ابن الأنباري 172، وتفسير البيضاوي 3/ 149.

(2) شمير بن الحارث الضّبّي كما في كتاب النـوادر في اللغـة لأبـي زيـد الأنـصاري 381 و الفائق 2/ 197.

دعــوتُ اللهَ حتــى خِفــتُ ألا يكــون الله يَــسْمَعُ مــا أقــولُ[1]

أي: لا يستجيبُ دعائي ويقبلهُ مني. ومثله: "سَمِعَ الله لِمن حَمِدَهُ" وأمّا قولــه تعــالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (الحديد/ 11) أو قبيحــا. هــذا معروف عند العرب العاربة، قالَ أميّة بن أبي الصلت:

لا تخْلِطَــنَّ خبيثــاتٍ بطيّبــةٍ واخلــعْ ثيابَــك منهــا وانْــجُ عريانــا

كــلّ امْــرئٍ ســوف يلقــى قرضَــه أو ســيئاً ومَــديناً بالــذي دانــا[2]

وأنْشَدَ أبو الخطّاب الأخفش[3]، وكانَ عالماً وصاحبَ غريبٍ وعربيّة:

* قَدْني من قَرْضِ الخُبيبَيْنِ قدي *[4]

---

(1) البيت من البحر الوافر، غير منسوب في الزاهر 1/ 154، و الأضداد لابن الانباري 137، و تفسير القرطبي 2/ 31، و اللسان/ سمع/.

(2) البيتان من البحر البسيط وهما في شعره/ 305.

(3) الكبير، ؟ عبد الحميد بن عبد المجيد، المعروف بالأخفش الكبير، من أكابر علماء العربية ومتقدميهم، وأول الأخافش الثلاثة المشهورين، الإمام الحجة في النحو واللغة أخذ عنه سيبويه، وأبو عبيد معمر بن المثنى وغيرُهما، وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، ولقي الأعراب فأخذ عنهم (مات سنة 177 هـ).

انظر: نزهة الالباء في طبقات الأدباء 44، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة 119 ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة لمحمد الطنطاوي 77.

(4) هذا صدر بيت من الرجز عجزه :

ليسَ الإمامُ بالشّحيحِ المُلْحِدِ .

والبيت في الكتاب 2/ 371 -372، منسوب إلى أبي نخيلة السعدي.

=

أثبتَ النون في (قدني) ونزَعها من (قدي) وهما (88/ و) لغتان. وقال: معنى (قَدْكم) من القرض أي: حسبكم.

قال[1] أبو محمد التوزي: الخُبيبينِ اثنان، يعُنى بهما عبدُ الله ومصعُب ابنا الزبير، ومن انْشَدهُ: "الخُبيبْينَ" فهم الجماعة، يَريد:أصحاب ابنِ الزبير، كما يقال: المهالبة، وحقه: الخُبيْتينَ، بالتشديد، ولكنه حذَف ياءً واحدة[2]، فجاءَ على لغة من قال: إني، يريد: إنني.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ (الرحمن/ 31) فأنّ الله تعالى لا يشْغلُه شيء عن شيءٍ ولكنّه وعَداً على التقوى، وأوْعَد وعيداً على الرفّه بالطغوى فقال تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ مِمّا وعدْناكم، إنّا فاعلوه بكم من ثوابٍ أو عقاب.

وفي القران: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا ﴾(الزخرف/ 23) قال الأصمعي: المترفون: أهل الغضارة والنعمِة، المخُلّون، وما يُريدونَ لا يُحالُ بينهم وبينه، وقال معمر[3]: المترفون: الذين أنسَتهم النَّعَم والطمأنينة إليها أنْ يُفكّروا فيما لله، تعالى، عليهم. وأنشد الأصمعي لرؤبة:

=

انظر كتاب سيبويه (ط بولاق) 1/ 387، والكتاب.(ط عبد السلام هارون) 2/ 371-372، وشرح السيرافي 2/ 97، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري 1/ 386، وخزانة الأدب: 2/ 446، والتّوسُّع في كتاب سيبويه 189.

(1) انظر: القول كاملا في خزانة الأدب 5/ 391، نقلاً عن كتاب (التفسُّح في اللغة) للخزّاز النحوي البغدادي. وهو كتابنا هذا.

(2) أي ياء النِّسبة.

(3) ابن المثنى، أبو عبيدة، وانظر كلامه في المجاز 2/ 136.

* أُتْرِفْنَ يَشْدَخْنَ العِدى بالخَبْزِ *[1]

أي: يَشْد خنَ الناس بالضرب.

[وفي القران]: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (الزخرف/ 55) والأسف عند العرب أشدُّ الغضب. قال بعض العلماء: إنّ الغضبَ والحزن والأسف (88/ ظ) مُخْرجُه من بني آدمَ مُخْرجٌ واحد، فإذا هاجَ ذلك المعنى بخلاف ما يهوى هاجَ غضَباً أو حُزْناً، وذلك لعجزهم عن الانتقام مِمنَّ خالفَهم. والله تعالى لا يَدْخُلُ عليه الأسف الذي هو حُزْنٌ، أنّما هو الغضبُ الشديد على من استوجبَ ذلك.

ولله تعالى أنْ يقسِم بما شاء من خلْقهِ على ما شاء من امْره، فقوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ (الطور/ 1-2) وقع القَسمُ بذلك على قوله تبارك اسمه: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور/ 7-8) أي: عن المغضوب عليهم - وقيل: الطور: اسم الجبل في البلد، كما قال العجاج:

* حدْواء جاءَتْ من بِلاد الطورِ *[2]

قال التَّوَّزي: الحدواء: الريح، تحْدُوهُ: أي تطرده، ومنه سُمّيَ الحادي لأنّه يطرُدُ الإبل، يتبعُها - ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (طه/ 81).

وأمّا قولُه تعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة/ 67) أي: تركوا أمْرَ الله تعالى فتركَهم أنْ يذكرهم بخير. كقول الرجل لصاحبه: واللهِ ما تَقسمُ إلا كنتُ عندكَ منسيّاً. أي: متروكاً من ذلك القَسَم، مثله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾ (طه/ 115) أي ترك عَهْدَنا.

---

(1) شطر بيت من الرجز لرؤبة في ديوانه/ 64.

(2) شطر بيت من بحر الرجز للعجّاج في ديوانه 229.

فأماّ قولُ عمر: نِعمَ المرء صهيب[1] (89/ و) لو لم يخفِ اللهَ لم يعصِه[2]. ولم يقل: لو لم يخف الله عصاه، لأنّ المعنى: لو لم يكن عتابٌ يخافُه ما عصاه لمحبته لربِّه تعالى. فالتقدير: إنّما يطيعَ الله تعالى حُبّاً لهُ لا مخافةَ عقابهِ وذلك الحظ والجد والتوفيق. وقال الهلالي[3]:

الجَدَّ أنهضُ بالفتى مِن عقْلهِ ... فأنهضْ بجَدٍّ في الحوادثِ أودَرِ[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ (الأعراف/ 179) لُم يردْ أنّه جبَلهم في بطون أمّهاتِهم كفّارا، ولكْن على العاقبة. كما قالت الشعراء:

وللمنايا تُربّي كلُّ مرضِعَةٍ ... وللخرابِ يُجدّ الناسُ بُنْيانا[5]

---

(1) صُهيب بن سِنان عبد عمرو، صاحب رسول الله (ﷺ)، ويعرف بصهيب الرُّومي وكانت له قدَمٌ في الإسلام، أمره عُمر رضي الله عنه أن يصلّي بالناس في أيّام الشُّورى حتّى يجتمعوا على رجلٍ. و (صُهيب) تصغير: أصهب، والصُّهبة من ألوان الإبل: بَياضٌ يعلوه شبيهٌ بالصُّفرة وبذلك سمّيت الخمرَ صهباء.

انظر: الاشتقاق لابن دريد 335.

(2) انظر هذا القول في مغني اللبيب 1/ 285.

(3) عبد الله بن يزيد الهلالي كما في حماسة البحتري 158.

(4) البيت من البحر الكامل، وهو في ديوان المعاني 2/ 247، ولباب الألباب 361، وبهجة المجالس 1/ 186، ونور القبس 200.

(5) البيت من البحر البسيط وهو في زاد المسير 4/ 56، ولسابق البربري في شعره (132) بيتان في هذا المعنى، قال :

أموالُنا لذوى الميراثِ نجمعُها ... ودُورُنا لخرابِ الدّهرِ نَبْنِيهَا

وللحتوفِ تُربّي كلُّ مُرضعةٍ ... وللحسابِ بسرى الأرواحَ باريها

وقد مرّ مثلهُ [1]

وفي القرآن: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان/ 11-12) فأنث السعير، وقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ (النساء/ 55) ولم يقل: سعيرة. المعنى، والله أعلم: وكفى بسعيرِ جهنمَ سعيراً. فإذا أنّث ذهبَ إلى الدار والى جهّنم، وإذا ذكّرَ ذهبَ إلى سعيرها، لِسعةِ اللغة.

وقد ذكرَ ما نالَه المُترفون، فقال تعالى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (الدخان/ 26) قيل: المَقامُ الكريم: المنابر، والمَقام والمَقامة: المجلس. كما قال عباس بن مرحاس:

فأبّيْ ما وأيُّكَ شرّاً فقيدَ إلى المُقامةِ لا يراها [2]

يعني: المجلس. فأضافَ "أيّ" إلى "ما"، فتقدير لفظه فأيّاما وأويُّكَ، وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ (النمل/ 10) قيل: اهتزّت (89/ ب) وهي عصا كما يهتزُّ الجانُّ، ثُمّ قلبتْ ثعباناً. وليس اهتزاز العصا، وهي مَوات، بأقلّ في الآية مِن قلبها ثعباناً. وقد قيل: اهتزّت وهي ثعبان كاهتزاز الجانّ. وكذا قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ (النمل/ 18) وهو منطقُها، وليسَ على معنى قول الآدميين، ولكنْ حكايةً لتفهيم العالمين أنّ الله تعالى فهّم سليمانَ معنى منطقها، كقول العرب:

---

(1) بيت سابق البربري الذي تقدّم.

(2) البيت من البحر الوافر وهو في ديوانه 148. والبيت من شواهد سيبويه في الكتاب 2/ 402، والمُقامة - بالضم -: المجلس، وجماعة الناس، والمراد: أعماه الله حتى صار يُقاد إلى مجلسه.

* والطيرُ في أوكارها لم تَنْطِقِ *[1]

لأنَّ نطقَها بالأسحار.

وكذا يُبيِّنُ الله تعالى بفضلهِ على بني أسرائيلَ بقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ (البقرة/ 57). كما تمثّل القائل:

إنَّ أبا حسَّان عرشٌ هوى مِمَّا بنى الدهرُ كريْمٌ ظليلُ[2]

لأنَّ ما ظَلَّلَ وستَر فهو كالعرش.

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (البقرة/ 57) أي من العَسل والطيرِ. يخاطبُ بذلك يهودَ أهْلِ المدينة، وإنّما فَعَل ذلَك بآبائِهم.

وقد يقولُ العربيّ: لقدْ أحْسَنا إليكم يا بني تميم يومَ كذا. وإنّما يعني الآباء، كما قال النابغة:

لعمرو علينا نعمةٌ بعدَ نِعمْةٍ لوالدهِ ليستْ بذاتِ عَقاربِ[3]

فأضافَ إليه النعمة إذ كانت لوالدهِ، ثم بيَّن بأيّ سَببٍ صارت النعمةُ فقال: لوالدهِ، والعرب تفخرُ بالنّجابة، قال أحدُهم:

---

(1) بيت من بحر الرجز وهو من أرجوزة من المزدوج لابن المعتز في شعره 4/ 75 ولكن القافية مرفوعة.

(2) البيت من البحر السريع، وهو للشاعرة الخنساء في ديوانها 115، طبعة دار صادر 1960 وبرواية العجز:

..... ممّا بنى اللهُ بكِنّ ظَلِيلُ.

(3) البيت من البحر الطويل وهو للنابغة الذبياني في ديوانه/ 41.

(90/ و) آخِ الكرامَ بنى الكرامِ يلدُ الكرامُ بنو الكرام كراما
ودَعِ اللئام بنى اللئام فإنّما يلدُ اللئامُ بنو اللئام لِئاماً[1]

ومثله:

أبي يزيدُ وابوكَ جُنْدبُ فبعضُنا يرضى وبعضٌ يَغْضَبُ
ومالَنا عن أبوينا مذْهبُ[2]

ومِمّا تكنّي بهِ العرب عن أنفسها بما هو من سببها. قول الشاعر:

قضيتُ الهوى إلاّ من البيضِ بهنّ بقياتُ الجنونِ وغابرُهْ
فأن يكُ لي ذنْبٌ فهنّ جنينَهُ عليّ وأولى الناس بالأثمِ وازرُهْ
فأن تتقسَّمْهُ سهاماً فإنّما عليهنّ عالي وزرنا وكبائِرُهْ[3]

ولم يقل: فإنّما علينا. كنى عن نفسهِ تطيّرا، وألزمه غيره تحبيًا. وقول الشاعر[4]:

* صَحا قلْبُه يا عَزُّ..... *[5]

---

(1) البيتان من البحر الكامل، وهما منسوبان في البصائر والذخائر 2/ 1/ 1918، إلى أعرابي.

(2) الأبيات من الرّجز.

(3) الأبيات من البحر الطويل.

(4) كثيرّ عزّة.

(5) صدر بيت من الطويل والبيت في ديوانه 254 :

صحا قلبُهُ ياعز أو كادَ يذهلُ واضْحى يَريد الصَّرمَ أو يتَبَّدلُ

إنما هو: صحا قلبي. ومثلُهُ:

.....ولَـــو أنَّـــه صـدىً بـينَ أحجـار لظَـلَّ يُجيبُهـا[1]

أي: لو أنيَّ بينَ الأحجار لظَللتُ أجيبُها.

ومِّما جاء في القران من الاتساع في الأعراب الدّالَّ على الصواب قولـــه تعـــالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (مريم/ 97).

فلـو كان الأعراب يُستغنى عنه بالألفاظ، ولم يكن الرسول الذي اختـارهُ الله تعالى للبشائر والإنـذار يُفصِحُ بـالأعراب فيفهَمـهُ مَـنْ لـيسَ في معرفـةِ الأعـراب بمرتابٍ، لـمْ تَقَعْ البشارة للمّتقين. وهم لا يقفـونَ على فضيلةِ الكلام اليقين، ولا البرهان بـالأعراب المُبين، ولاَ يقْتـدون بالذّرّيـة الطيـبين، كمـا قـال الشاعر[2]:

(90/ ظ) ومـا زلـتُ في التـسيار إلى ابْـنِ رسـولِ الامّـةِ المُتخيَّـرِ

إلى ابْـن رسـولِ الله يـأمرُ بالتقـى وبالـدين يتلـى والكتـاب المُطهّـرِ[3]

---

(1) عجز بيت من البحر الطويل للمجنون في ديوانه 70، وتمام صدرِهِ :

فلبّيكَ مِن داعٍ لَها وَلو آنَّهُ.....

(2) عُتَيبة بن مرداس التميمي، يُعرف بابن فسوة، شاعر مقلّ مخضرم، شهد (حنين) مع المشركين ثم أسلم، هجّاء، خبيث اللسان، انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 278-279.

(3) البيتان من البحر الطويل، وقد قالهما الشاعر بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما لقي الحسن وعبد الله بن جعفر، فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرهما، فوصلاه بما أرضاه، فنظم قصيدة طويلة يمدحهما فيها: ومنها:

=

فهل يُتلى القرآن إلّا مُتعرّباً؟ وكذا قولُ حسّان، في أنَّ الله تعالى اختار رسوله للبشارةِ والإنذار:

بها ليلُ منهم جَعْفَر وابنُ أمّهِ علـيٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ[1]

وإنّما أخّره في اللفظ، لأنَّ الواو تُدخِلُ الثاني فيما دخلَ فيه الأولِ شِرْكةً واتساعاً.

فهل في هؤلاء من زالَ لسانهُ عَنْ إعرابِ وصواب؟ وهل احْتاجَتْ أفهامُهم إلي قَدْحٍ وأتعاب، كما احْتاجت طبائعُنا إلى إلحاقها بذوي الفصاحة والآداب؟ وكيف تقعُ النِّذارةُ من قلبِ الألدّ؟ وهو مجَادل يتمّثلُ بقوله:

جوقْعُ سان ذكَر حُسام أحَدّ من مهنَّدٍ هُذام

ويقرع الجامحَ باللجام حتى يؤوبَ خاسيءَ الكلام[2]

يريد: إلى أنْ يؤوب، فهل يكونُ على لدَدِه بعلمِ اللغةَ جاهلاً وعن إعراب القرآن ذاهلاً؟ وقد دلّته اللغة بألفاظها المعُربات على سلوك الطرقات إلى العلوم الجليّات والخفّيات، فقال الشاعر :

= فَلَيْتَ قلوصي عُرّيت أو رحلتها إلى حَسَنٍ في دارهِ وابن جعفرِ

إلى ابن رسول الله..... .....

انظر: معجم الشعراء المخضرمين 279، والاختيارين 376. وخزانة الأدب 8/ 246.

(1) البيت من البحر الطويل وهو من قصيدة يرثى بها أهل مؤتة والبيت في ديوانه (طبعة دار الكتب العلمية) 109.

(2) البيتان من الرّجز.

إشـــكرْ وأحمِـــدْ نعمـــةَ الغفّـــارِ قـــد بـــيَّنَ الـــشكُ فـــلا ثمـــارِ[1]

فَمـــنْ رأى في القـــرآن قـــوله: (91/ و) ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ (التوبـــة/ 109) - وهـــذا مثلٌ مضـــروب - فلمْ يعرفْ قولهَ: "هـــارٍ" وليسَ بعـــربيّ الطبـــع، فَيْعَلمْ علّـــةَ "هـــار" أنـــهُ مُؤَخَّـــرُ الهمـــزة مِن "هـــائر"[2] لاتّساع ألسنةِ العـــرب أُخِّرتْ هـــذه الهمـــزةُ إذْ لم تكنْ أصليةٍ

فجعلْتَها بعد الراء فرجعت إلى أصـــلها، وجعلـــوا التنـــوينَ للدلالـــة عليهـــا مكسوراً.

وكان الله على المّنةِ بذلك مشكورا، إذْ رضيَ به في كتابهِ مـــسطوراً، فعرّبْتـــه

---

(1) البيت من الرّجز.

(2) إنّ لفظة (هارٍ) صفة مشتقّة، اختلفوا في تعريفها على أربعة أقوال:

أ. ذهب الخليل في الكتاب 4/ 379 إلى أنّه على وزن (فالٍ)، أصله هـــائِر اســـم فاعـــل مـــن هارَ يَهُور، أُعِلّ بقلب عينهِ همزةً، ثم حذفوا العين على غير قياس.

ب. وذهب الزجّاج في معاني القرآن 2/ 470 إلى أنّ الأصل هاير أو هاوِر، ثم أصابه قلبٌ مكانيّ، فقدّمت اللام - وهي الراء - على العـــين - وهـــي الـــواو أو اليـــاء - فـــصار "هاري" ثمّ أُعِلّ كأعِلال "قاضٍ" فوزنه بعد القلب فالع ثـــم فـــالٍ. قـــال أبـــو حيـــان في الارتشاف 1/ 120 "ولا ينقاس".

ج. وذهب ابن مالـــك ورأيـــه في ارتـــشاف الـــضرب 1/ 120 إلى أنّ المحـــذوف ألـــف فاعـــل الزائدة والموجودة عينُ الكلمة، أصله "هَوِر" بعدد الحذف تحركـــت الـــواو وانفـــتح مـــا قبلها فقلبت ألفاً.

د. وأجاز البكري في الإملاء 2/ 22، وأبـــو حيّـــان في الارتـــشاف 1/ 120، أن يكـــون مبنيـــاً على فَعِل من غير حذف شيء، تحركت لواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً.

العرب بطبائعها، وعبّرتْ عنه بألسنتها، وفَهِمَهُ المقتدرون بمذاهبها فقال الحسنُ[1]، كرمّ الله وجهه، وغيرُه، في قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (البقرة/ 17) أي: ولا عائد ومثله في اللغة قول الشاعر[2]:

فأني لو رميتُكَ من بعيدٍ لعاقكَ عن دعاءِ الذيبِ عاق[3]

أي: عائق. ومثله:

فتعرّفوني إنني أنا ذاكُم شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمُ[4]

أراد: شائك[5]. ومثله:

* ضُرِبتْ على شُزُنٍ فهُنَّ شواعي *[6]

---

(1) البصري.

(2) ذو الخرق الطُّهوي، شاعر جاهلي اسمه: قُرْط.

(3) البيت من البحر الوافر. وهو له في النوادر في اللغة 116، وفي مجالس ثعلب 1/ 154، يصف ذئباً وجاء مع أبيات أخرى، وغير معزو في معاني الفرّاء 2/ 314، والمخصص 12/ 15.

(4) البيت من البحر الكامل وهو في كتاب سيبويه 3/ 466 منسوب إلى طريف بن تميم بن عمرو بن عبد الله بن جندي بن العنبر، شاعر فارس جاهلي. وانظر: المنصف 2/ 53، 3/ 66، والمحتسب 2/ 253، والبيان و التبيين 3/ 101.

(5) فَقَلَبَ.

(6) عجز بيت من البحر الكامل، للأجدع بن مالك الهمداني، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وكان فارساً مشهوراً، مات في خلافة عمر بن الخطاب. كما في الاختيارين 466. وصدرهُ:

* فكأنَّ عَقراها كِعابُ مُقامِرٍ *

=

يعني كِعاباً. يُريد: شوائع.

وكذا قولُهم[1] في الفعل المُستقْبل:

خيلانِ من قومي ومن أعدائِهم خفضَوا أستَّهُم وكلٌّ ناعِ[2]

أي: نائع. فصار أصلاً في الأعراب، وأنزلَ الله تعالى به الكتاب، و النائع: الجائع من الغرَث والعطَش إلى دَم عدوّه.

فلا امتناع لهذا الاتساع. وأذا لم (91/ ظ) يفهم الألدُّ معنى لغته فكيف يتصرّفُ في حُجَّته؟ والعربُ أمراءُ الألفاظ فهم الفُصَّحُ الأيقاظ، قال المنقري:

* حُييتَ من زَوْرٍ سرى مُعْتافِ *[3]

أي: مُتعفى. أراد: متفعل، فالاصلُ. فأخَّر الياء طلباً للخفّةِ على اللسان بذلك. والعرب قد تبتغي بألسنتِها الأخفَّ عليها، فيقرأ الفصيحُ منهم: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الإسراء/ 111) و:﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾ (المزمل/ 2) ولهذا بابٌ يطول شرحهُ هاهنا، وإنّما يعتمدُ الإيجاز.

وأتباعُ الضمِّ الضمَّ يدلُّكَ على حقيقةِ قولهم في الأمر: أُدْخُلْ. والأصل من: دخَل يدخُل، فكرهوا ثقلَ الكسرِ مع ضمِّ الخاء، ولم يكنْ سكونُ الدَّالِ

=

والبيت كاملاً في كتاب الاختيارين 471 جاء مع قصيدة له. والبيت في سمط اللآلي 1/ 109، والمنصف 2/ 57، والمقرّب 2/ 117، والمعاني الكبير 1/ 54.

(1) القائل الأجدع بن مالك الهمداني أيضاً .

(2) البيت من البحر الكامل وهو من القصيدة نفسها التي منها البيت السابق، في الاختيارين 470.

(3) شطر بيت من الرجز للمنقري.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بحاجزٍ بينَ الضمَّين، فهذه حكمةٌ وقُدرةٌ على الاتساعِ في الأعراب. ومع ذلكَ أنَّ العنبريّ[1] والعَدويّ[2] يضمّانِ آخرَ الأمْر الموصولِ بالألف بضمّةٍ ما قلبه في الوصل، فيقولون: صُغُ الخاتَمَ ويقولون: أكلوني البراغيث. وفي القرآن: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (الأنبياء/ 3).

وكذا قوله تعالى في إيجاز التقديم: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص/ 4) أخّرَ الاسمَ وقدّمَ ضميرَ الخبر اتساعاً.

وسبيل مثلِه، ممّا جاءَ في القرآن وغيره، أنَّ يبُدأ بالاسم ثم يُخبَرَ عنه لأنّه إذا بُديءَ بالاسم عَرفَ المستمعُ أنّكَ ألْقَيتَ إليه ذِكْرَ (92/ و) من تُخبره عن حاله وإذا بُديَ بالخبر لم يَعرف عمَّن تُحدّثه حتى تجيءَ بالاسم بعدما يمضي خبرُه وأنْ طالَ وزاد. كما قال الشاعر[3] على الاتساع في تأخير الاسم:

قلى دِينَهُ واهْتاجَ للشوقِ إنهّا ... على الشوق إخوانُ العزاءِ هيوجُ[4]

يُريد: إنها هيوج، فأخّره.

---

(1) أي إنّ من بني العنبر، وهم ولد العنبر بن عمرو بن تميم يتكلمون بهذا – انظر: الاشتقاق 211.

(2) نسبة إلى بني عدي بن عبد مناة بن أد/ انظر جمهرة ابن حزم 1/ 200.

(3) الراعي النميري.

(4) البيت من البحر الطويل وهو له في ديوانه 125، والبيت من شواهد سيبويه في الكتاب 1/ 56، منسوباً لأبي ذؤيب الهذلي، والبيت ليس في ديوان الهذليين ولا في شرح أشعارهم. والبيت في شرح أبيات سيبويه للسيرافي 1/ 14.

وفي القرآن: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ فعّم، ثم قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ (المائدة/ 71) فخصّ الأكثر. وقالت[1] العرب:

ولكنْ دِيافيٌّ أبوهُ وأمُّهُ بحورانَ يَعْصُرْنَ السليطَ[2] أقاربهُ[3]

أي: قرابته يعصرون.

وينشدون:

إنّ النبيَّ وكانَ اللهُ ناصَرهُ لم يتركِ الحزمَ في رأي وأهمالِ[4].

ويُروى: وإمهالِ. والتقدير: إنّ النبيَّ لم يترك الحزمَ، وما بيَنهما اعتراض.

والعرب قد تؤكِّدُ ما يُقْصَد إلى تعظيمه بحروفٍ يجوز أنْ تسقُطَ والكلام تامّ، اتساعا "وانتفاعاً" بتشديد ما وكِّد بهن، منها: ما، ولا، ومن، وأنْ الخفيفة، وأمْ، والباء، والكاف. والله أنزلَ بهنّ كتابهُ. فمن ذلك قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

(1) القائل الفرزدق.

(2) البيت من البحر الطويل من قصيدة يهجو بها عمرو بن عفراء الضّبّيّ والبيت في ديوانه 69 شرح الطبّاع ورواية البيت في الديوان:... السليط. والسليط والصليط بمعنىً، ومعناها: الزّيت، أو دهن السمسم.

(3) البيت من البحر الطويل من قصيدة يهجو بها عمرو بن عفراء الضّبّيّ والبيت في ديوانه69 شرح الطبّاع. ورواية البيت في الديوان:... السليط. والسليط والصليط بمعنىً، ومعناها: الزّيت، أو دهن السمسم.

(4) البيت من البحر البسيط.

لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران/ 159)، وقال مُهلهل[1]:

لـــو بأبـــانيْن جـــاءَ يخطبهـــا زمّـــلَ مـــا أنـــفُ خاطـــبٍ بـــدَم[2]

ويروى: ضُـرّجَ ما أنفُ. فقوله: (ما) إنّما وكّدَ بها لتعظيم ما ذكـره، وكـذا رحمة الله جليلةٌ عظيمة.

وقالَ قُبيصة بن ضرار[3] في زيادة لا للتوكيد:

(92/ ظ) تـذكرت ليلـى فـاعترتنى وكـــاد ضـــميرُ القلـــبِ لا يتقطـــع[4]

أي: كـاد يتقطّع.

---

(1) المُهلْهِل بن زيد الخليل الطائي، وفد أبوه على النبيّ (ﷺ)، فسمّاه زيد الخير وسُمّي زيد الخليل لكثرة الخيول التي كان يملكها، كان المُهلْهِل يعيش في أسرة كلّ أفرادها شعراء، أخواه عُروة وحريث شاعران، وأخته منفوسة شاعرة.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 480، والبصائر والذخائر 4/ 58، والنوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري 92.

(2) البيت من البحر المنسرح وهو في شعره 30، وأبان: جبلان.

(3) في الاشتقاق 194 "ومن رجالهم - يعني رجال بني ضبّة - ضِرار بن عمرُ وهو بيتُ ضَبّة..... كان يكنى بأبي قَبيصة قال الفرزدق :

زيدُ الفوارس وابنُ زيدٍ منهمُ وأبو قَبيصةَ والرئيس الأوّلُ

واشتقاق (قَبيصة) من قولهم: قبصتُ قَبصةً، أي أخذتُ بثلاثِ أصابعي شيئاً وقد قرئ: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (طه/ 96)، وقبضتُ قبضةً بالصاد والضاد. وبها قرأ عاصم الجحدري البصري، انظر: الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري 49.

(4) البيت من البحر الطويل، وهو بلا نسبة في تفسير القرطبي 19/ 91 و 20/ 59.

وفي القرآن: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ (الأعراف/ 12) وقوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ ﴾ (القيامة/ 1) وقوله عز وجل: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ (الحاقة/ 47) مِنْ: توكيد. وكذا في القرآن: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ (العنكبوت/ 33) أنْ: مؤكّدة، وقال أبو ذؤيب، فؤكّده بـ (إنْ) و (مِنْ) في بيتٍ واحد:

جزيتُكِ ضعفَ الودِّ لّما استثبْتهِ ... وما إنْ جزاكِ الضّعفَ مِنْ أحدٍ قبلي[1]

ولو أسْقطهُما لكانَ الكلامُ تامّاً مفيداً.

وكما زادوا هذه الحروف للتوكيد حذفوا في الاضمارات، وهم فرسانُ البلاغات. كما قال كعب[2] يصف السيوف:

خُبِّرها ولو نطقَتْ [لقالت] ... نقواطعُهُنَّ دوساً أو ثقيفاً[3]

---

(1) البيت من البحر الطويل وهو لأبي ذؤيب الهذلي في أشعار الهذليين 1/ 88 .

(2) كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، شاعر الرسول (ﷺ) وأحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، شهد العَقَبَة وأُحدًا، وتخلّف عن غزوة تبوك، جَرح في معركة أحد سبعة عشر جريحاً. وقد أسلمت (دَوْس) فَرَقاً من بيت قاله كعب:

نخَيِّرٌ ولَو نَطَقَتْ لقالتْ ... قَواطِعُهنّ دَوْساً أو ثقيفا

وعن ابن المنكدر عن جابر أنّ رسول الله (ﷺ)، قال لكعب بن مالك: "ما نسيَ ربُّكَ – وما كان نسيًا – بيتاً قلتَهُ" قال: وما هو؟ قال: أنشدهُ يا أبا بكر، فقال:

زعمتْ سخينةُ أن ستغلب ربَّها ... وليُغلَبَنَّ مغالبُ الغلابِ

(مات كعب سنة 50 هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 396، الأعلام 5/ 228، خزانة الأدب 1/ 416، 2/ 79، وسمط اللآلي 482، 668.

(3) البيت من البحر الوافر، وهو في ديوانه/ 234، والبيت في معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 396، وقد ذكرتهُ في موضعه.

أي: لقالت: نقطعُ دوساً أو ثقيفاً. ولو كان على القول لكان: دوسٌ أو ثقيفٌ، بالرفع. فالنصب دلَّ على المعنى. لأنَّ العرب لا تضمِرُ شيئاً إلا فيما يُستَغنى عن إظهاره لمعرفة السامع به، كقوله: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ (النجم/ 54).

أي: مِما رأيتموه، أو بلغكم فعرفتموه. ولم يذكرُ ما هو. فأما قوله تعالى في جنود فرعون: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه/ 78) فقد عُلِمَ أنَّ البحر: اليمّ. فغشيَهم بالغرق.

ومن ذلك ما يُضمرونَ خبَره مّما هو مبدأ، أو يضمرون الاسم، وذلك أنْ يذوقَ أحدهم الشيء (93/ و) فيقول: حلوٌ طيّب. أي: هذا حلو طيبٌ أو يَمسُّه، فيقول: لّينٌ. أي: هذا ليّن: ويقولون: لولا اللهُ. أي: لهلكنا. ويقول الرجل: أما والله لو أتيتَني. أي: لكانَ خيراً لكَ. ويقولون: بأبي وأمي: يريدون أفديكَ. ويقولون: هل لك في كذا، ولا يقولون: في حاجةٍ. ويقول الرجل: لا عليكَ. يُريد:لا بأسَ عليك.ومِمّا جاء في القرآن: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ﴾ (الأنعام/ 128) أي: يُقال لهم.

وقال تعالى: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة/ 185) أي: فعليةٍ عِدّةَ. وكذلك قوله عز وجل: ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ (البقرة/ 237) أي: فعليكم نصفُ ما فرضتُم ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ (النساء/ 81) أي: أمرُنا طاعةٌ.

وقال تعالى: ﴿ لَا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ النور/ 53) أي: ليكُنْ منكم طاعةٌ معروفةٌ. كقوله: سمعُك إليّ، أي: ليكنْ سمعُكْ إليّ.

وكذلك: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۢ ﴾ (الأحقاف/ 35) أي: لهم بلاغٌ، أو ذلك بلاغ[1]. وقوله تعالى: ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ (يونس/ 69-70) أي: لهم متاعٌ قليل. وكل هذا يوضحهُ المعنى والأعراب، فيستنير بهما الصواب.

ومن الاتساع في الحذف، قول إبراهيم. عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ (إبراهيم/ 37) ولم يقل: ناساً.

وفي القرآن: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (إبراهيم/ 34) (93/ ظ)، وأضْمَرَ: شيئاً كقولك: عندي مِن كلّ شيء.

وقوله عز وجل: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم ﴾ (النساء/ 62) أي: فكيف يصنعون. وقال تعالى: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ (ص/ 56-57) أي:هذا لهم ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾. وقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور/ 20) أي لعذّبكم.

وقال[2] الأخفش [في قوله تعالى][3]: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ (النساء/ 26).

أي: يريد هذا التبيينَ لكم. كما قال كثيّر:

أريدُ لأنسى ذكرَها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيل[4]

---

(1) جاء في الكتاب 1/ 382، ومعاني الأخفش 2/ 479: ذاكَ بلاغ.

(2) القول في معاني القرآن 1/ 159.

(3) يقتضيها السياق.

(4) البيت من البحر الطويل وهو لكثير عزّة في ديوانه 108.

معناه: أريدُ هذا لأنسى ذكرَها. أي: هذا الفعلَ والتصبّر.

وقال الاخفش وغيرهُ[1]: إنَّ أكثرَ الحذفِ في الكلام إذا طال. وربما حذفوا الخبرَ كلّـه استغناءً بعلمِ المخاطَب، كما قال الأخطل[2]:

خَلا أنّ حيّا من قـريش تفـضّـلوا علـى النـاس أو أنَّ الأكـارمَ نَهْـشلا[3]

ولم يقلْ: تفضّلوا أو فعلوا كذا وكذا. ولم يأتِ لـ (أنَّ) بخبر، وكـذا قـال[4] معمـر، والبيت آخر القصيدة.

وفي كتاب الله سبحانه، في إيجاز البلاغـة، قولُـه، عـز وجـل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ (الأنعـام/ 93) وذكَر القـصّة. وقـال تعـالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ (البقرة/ 165) قـال الأخفـش: فلـيس لهـاتين الآيـتين

(1) كسيبويه في الكتاب 2/ 38، والمبرّد في المقتضب 2/ 337.

(2) غياث بن غوث، أبـو مالـك مـن بـني تغلـب، شـاعر مبـدع، مـصقول الألفـاظ، حـسن الديباجة، أكثر من مدح الخلفاء بني أميّة، أحد الـشعراء الثلاثـة المشهورين بـأنّهم اشـعر أهل عصرهم والآخران هما: جرير والفـرزدق. ولـد في الحـيرة أو الرّصـافة ونـشأ علـى المسيحية، تهاجى مع جرير والفرزدق، فكان معجباً بأدبـه، كـثير العنايـة بـشعره، يـنظم القصيدة ويسقط ثلثها ثم يظهر ما اختار منها.(مات سنة 90هـ).

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 13-14، الأعلام 5/ 923، والبيـان والتبـيين 1/ 63-70، وسمط اللالي 44.

(3) البيت من البحر الطويل، وهو في شعره (الذي نشره انطوان الصالحاني) 392.

(4) انظر: مجاز القرآن 1/ 331.

جوابٌ إلاّ في المعنى وهو أبلغُ من إظهاره، وأقرعُ للقلب من أذكارهِ والتقدير، (94/ و) والله أعلم لرأيتَ عظيماً[1].

وكذلك: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/ 188) قال[2]: فلم يذكرْ للحُسْبان الأولى جواباً، استغناء بالجواب الثاني ودلالةً على المعاني.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ (آل عمران/ 180) أي: لا تحسبنَّ البخلَ خيراً لهم. فحذفَ البخلَ لأنّ في الكلام الذي بقيَ دليلاً على المعنى في قوله: يبخلون.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (البقرة/ 89) فلم يأتِ للمجيء الأولّ بجوابٍ، واستغنى بالجواب في الثاني.

وليس من هذا شيءٌ يستعجمُ على أفهام العرب، ولا على مَنْ دنا منهم وأقترب.

وقد يجيء في التنزيل ما يدُلّ بلا تصريحٍ يذكُر المقصود، كقوله تعالى: ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/ 90) ولم يقلْ: فأنّ الله لا يُضيع أجرهَ، لأنهُ داخلٌ في المحسنين. ففي هذا الكلام دليلٌ على المعنى. ومثلهُ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى/ 43) قالوا[1]:

---

(1) انظر: معاني القرآن 1/ 138.

(2) يعني الاخفش والقول في معاني القرآن 1/ 222.

جوابٌ إلاّ في المعنى وهو أبلغُ من إظهاره، وأقرعُ للقلب من أذكارهِ والتقدير، (94/ و) والله أعلم لرأيتَ عظيماً[1].

وكذلك: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/ 188) قال[2]: فلم يذكرْ للحُسْبان الأولى جواباً، استغناءً بالجواب الثاني ودلالةً على المعاني.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ (آل عمران/ 180) أي: لا تحسبنَّ البخلَ خيراً لهم. فحذفَ البخلَ لأنّ في الكلام الذي بقيَ دليلاً على المعنى في قوله: يبخلون.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (البقرة/ 89) فلم يأتِ للمجيء الأولّ بجوابٍ، واستغنى بالجواب في الثاني.

وليس من هذا شيءٌ يستعجمُ على أفهام العرب، ولا على مَنْ دنا منهم وأقترب.

وقد يجيء في التنزيل ما يدُلّ بلا تصريحٍ يذكُر المقصود، كقوله تعالى: ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف/ 90) ولم يقلْ: فأنّ الله لا يُضيع أجرهَ، لأنّهُ داخلٌ في المحسنين. ففي هذا الكلام دليلٌ على المعنى. ومثلهُ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى/ 43)

(1) انظر: معاني القرآن 1/ 138.

(2) يعني الاخفش والقول في معاني القرآن 1/ 222.

وسُئِل الأخفش وكان قد برَعَ في القياس على كثيرٍ من الناس، فسئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ ثمَّ قال، ولم يذكُرْ المباراة بين الفريقين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾ (الحديد/ 10) وقال إنَّ المعنى: لا يستوي منْ أنفق من قبلِ الفتح وقاتل ومن أنفق من بعدِ الفتح وقاتل(95/ و) ولكنهّ حذفَه، لأنّ فيما بقيَ دليلاً على ما ألقي.ألا تراه يقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ ولم يقل: هؤلاء لانّه رجعَ بالقول إلى المبتدأ بهم.

وسَئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (يس/ 45) أين الجواب؟ قال: في معنى الآية الأخرى التي تتلوها في قوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (يس/ 46) قال فالمعنى: إذا قيل لهم: اتقوا أعرضَوا، فاستغنى بذلك عمَّا حذف من (أعرضوا) لدلالة قوله: معرضين.

ومثل هذا1 يجيء في القرآن كثيراً لانتظام الفواصل التي بها يسُهل حفظه، وتحسن ديباجة لفظه، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (الأنبياء/ 12) المعنى: ركضوا. فاستغنى عنه بدلالةِ قوله: يركضون. بمعنى راكضين، على الحال. وكذا: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر/ 68) أي: نظروا. والله أعلم.

فالألفاظ والإعراب يشتركان في أقامة المعاني،فمن قصّر بأحد هما فقد قصّر بهما.

وسُئِلَ عن قوله: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر/ 22): أين الجواب؟ قال: المعنى أفمَن شَرح الله صدَره كالقاسيةِ قلوبُهم من ذكر الله؟.

وكـذلك (95/ ظ) قولـه تعـالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ثـمّ قـال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ (هود/ 17) فالمعنى أفمَن كان على بيّنةٍ من ربّه ومَن كفرَ من الأحزاب واحد؟ أنّهما لا يستويان فالإيجازُ بيانٌ، الأعراب ترجمان. والله تعالى بتعريفها المنّان، أمّا الطائع فيرشدهُ بهما ويهديه، وأمّا الطاغي فيُضلّه ويعميه ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأعراف/ 186).

وسئلُ عن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الزمر/ 24) أينَ جوابهُ؟ فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر/ 33) يُريد: أفمن كان كذا جاء بالصدق؟

ومثلهُ مِمّا حذِفَ جوابهُ وتبيّن صوابهُ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ (آل عمران/ 26) الآية، وحذف: فأعزّنا ولا تذلّنا، وملّكنا ولا تنزعْ المُلكَ منّا. وكانَ في نفس هذا1 الدعاءُ دليلٌ على المسألةِ بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾أنتَ تؤتي المُلكَ، فافعلْ بنا ذلك.

وأنَّ منْ حُرِمَ فَهْمَ القرآن وتنزيل الرحمن لقد عدَلَ عن خطّ البرهان والله ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (الرحمن/ 3-4).

وسُئِلَ الاخفش عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة/ 30) وأشباهِ ذلك: أينَ البيان عن الجوابِ؟ فقال: أنَّ القرآن إنما هو تنبيهٌ، يُريد: اذكرْ إذْ قال ربّك للملائكةِ. يعلمهُ ذلكَ واذكروا إذْ كانَ كذا.

والأخفش أعرفُ بالمعاني من مَعْمر. فأنَّ معمراً قال[1]: (96/ و) (أذ) ها هنا زائدة، والمعنى: قال ربّك للملائكةِ، لأنهُ إخبار. واحتجّ بقول سالم بن دارة [2]:

إذ لا يزالُ قائلاً: أبنْ أبنْ هوذلةَ المشآةِ عن ضِرْسِ اللّبِنْ[3]

وزعَم أنّ هذا أول القصيدة، فـ (إذا) زائدة. وقالَ: الهوذلةُ: تحريك الزّبيل، والمشاة: الزبيل، واللبن: الحجارة والضرس اختلاف وضعها واحدةً مخالفةً للأخرى، ثم قال[4]: ويجوز عندي أن يكونَ معناه: إذ قال ربّك، أي: خَبرٌ بقوله للملائكة: أني جاعلٌ خليفةً قالوا: أتجْعَل؟ أي خبّرَ، قالَ لهم: كذا، قالوا: كذا، وكذلك أشباه ذلك.

---

(1) في مجاز القرآن 1/ 11، أورد آيات أخر مع هذه الآية وتكلم عن مجازها.

(2) هو سالم بن مُسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب بن عديّ، ودارة: لقب أمِّهِ واسمها: سيقاء، وسالم شاعر مخضرم. قد أدرك الجاهلية والإسلام، وكان رجلاً هجّاءً وبسببه قُتِل. وهو القائل:

أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نسبي وهل بدارة يا للناس، من عارِ!

قال التبريزي في شرح الحماسة: ودارة هو يربوع.

انظر: خزانة الأدب 2/ 144-145، ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين 178، وسمط اللآلي 228، 862، الأعلام 3/ 73.

(3) البيت من بحر الرجز، و الرجز له في تهذيب المنطق 1/ 416، وخزانة الأدب 2/ 141، والبيت لابن هرمة في ديوانه 282، ولابن ميادة في اللسان/ ضرس/.

(4) أبو عبيدة في مجاز القرآن 1/ 56.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إلاّ أنهُ قد يجيء محمولاً. على ما قبله، مثل قولـه: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ (البقرة/ 50) و ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ ﴾ (البقرة/ 51) كلّهُ معطوفٌ على قولـه: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة/ 47) وإذْ فعلتُ بكم كذا، وفعلتُ.

وسئِلَ[1] عن جوابِ قولـه تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ (الزمر/ 73) فزعَم أيضاً أنَّ العربَ تزيدُ (إذا) في كلامها، وأنشدَ:

* حتى إذا أسلكوهم .... *[2]

قال[3]: معناه: حتى أسلكوهم. وقال: هذا آخرُ القصيدة. وقال مرة: وهو محذوفُ الخبر، وقد أبعدَ فيما تأوّلهُ وادّعاه، وأنْ كان ملتسماً الصوابَ في مذاهب اللغة.

قال مرّة: (إذا) زائدة[4]. وقال مّرة ليس لـ (أذا) جواب[5]. فأثبتَ ما نفاه.

---

(1) يعني أبا عبيدة.

(2) جزء من بيت من البحر البسيط، لعبد مَناف بن ربع الجُربيّ، تتمّتُهُ في شرح أشعار الهذليين 2/ 675، وشرح أشعار الهذليين/ ط دار الكتب العلمية 2/ 138:

حتى إذا أسلكُوهم في قُتَائِدةٍ شَلاً كما تَطْرُدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدَا

وقُتائِدَهُ: مكانٌ أو ثنيَّةٌ، والشَّلُّ: الطرد، والجمّالةُ: أصحاب الجِمال، كما تقول البَغّالة، والحَمّارة.

(3) أبو عبيدة في المجاز 1/ 37.

(4) انظر: مجاز القرآن / 11، 35، 36، 41، 183، 335.

(5) لم ينص أبو عبيدة على هذا في المجاز.

وسُئِلَ عنها قُطرب[1] وغيره، ممن تُرضى عربيتُه، فقالوا: المعنى: حتى إذا أسلكوهم شلاً. فـ (شلّوهم) و(طردوهم) واحد، مثل قول القائل: حتى إذا لقيناهم (96/ ظ) ضرباً وقتلاً. أي: ضربناهم ضرباً وقتلناهم قتلاً.

وفي القرآن: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ (محمد/ 4) كما قال: ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال/ 12) يعني قريشاً، والله أعلم، ولقد كانت الأوثان عليهم والعُزَّى من أعظم البلوى، حتى بعثَ الله محمداً (ﷺ)، مبشّراً ونذيراً وسراجاً منيراً بلسان قومه عربياً غيرَ ذي عوجٍ، فما قَصَرَ علُم القرآن عن العرب الذين بلسانهم نزل ثمَّ خالطتْهم العجم، فما يقصُر في بيان العربية إلا أفهام منهم بطيئة أو قلوب عميّة، وألسنٌ عييّة من طائفةٍ شعوبية سيصلونَ بجسدهم ناراً حميّة عاجلةً غيرَ بطيئةٍ، فهم تلك المشيئة فأنّهم أعداء الحنيفية.

فأما التقديُم والتأخيرُ فكثير في كلام العرب، نحو قولهم: زيداً ضربتُ، وماءً شربتُ ودابةً ركبتُ، ومالي ألاّ العسَلَ شرابٌ. كل

(1) أبو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب، كان عالماً باللغة والنحو، أخذ النحو عن سيبويه، وعن جماعة من علماء البصرة، وسمّاه سيبويه قطرباً لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له: "إنّما أنت قطرب ليل" والقطرب دويبة تدبّ ولا تفتر.

كان عالماً ثقةً، روى عنه الجلّةُ، وكان معلماً لولَديْ أبي دُلف العجِلي. صنف كثيراً، منها: الاشتقاق، والأضداد، ومعاني القرآن (مات سنة 206 هـ).

انظر: كتاب أخبار النحويين البصريين 49، نزهة الألباء في طبقة الأدباء 76، البلغة في تاريخ أئمة اللغة 247، ومعجم المؤلفين 12/ 15.

هـذا مُقـدّم ومـؤخّرٌ اتـساعاً[1] فيمـا لا يُـشكلِ مـن اللغـة، كمـا قـال ذو الرّمـة[2]: كـأن أصـواتَ - مِـنْ إيغـالِهِنّ بنـا - أواخـر المَـيْسِ أنقـاضُ

(1) يحتل التقديم والتأخير مكانة عالية في الكلام العربي، فعلى حين ترى النحويين يهتمون به انطلاقاً من مبدأ(الرتبة) أو مراعاة الأصل، نجد البلاغيين يتناولونه انطلاقاً من مبدأ العدول عن الأصل الذي أقرّه النحاة ووضعوا ضوابطه وحدوده.

فالعربي إذا عناه ذكر المفعول قدّمه على الفاعل فيقول: "ضَرَبَ عَمْراً زيدٌ"

وإذا ازدادت عنايته به قدّمه على الفعل الناصب، فيقول: "عَمْراً ضَرَبَ زيدٌ"

فإذا تظاهرت العناية به عقدوه على أنّه (ربُّ الجملة) وركنها المتين، وتجاوزوا به حَد كونه فضله، فقالوا: "عَمْروٌ ضَرَبَهُ زيدٌ" ثمّ زادوه على هذه الرتبة فحذفوا ضميره فقالوا: "عَمْروٌ ضربَ زيدٌ" ثم يَتَوَسَّعُونَ فيه ويصوغون الفعل له ويبنونه عليه ثم يحذفون الفاعل فيقولون: "ضُرِبَ عمروٌ".

وهذه التحولات التي تطرأ على الجملة العربية بالتقديم والتأخير لا تخلو من ظلال معنوية يقصدها المتكلم قصداً، فهي ليست من قبيل التلاعب بالألفاظ من غير جدوى أو معنىً مراد ؛ لأنّ العربي لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلا وبصحبه عدولٌ من معنى إلى معنى، وما يفعل ذلك إلّا توسعاً.

انظر: كتابي/ التّوسُّع في كتاب سيبويه 106-107.

(2) أبو الحارث، غيلان بن عقبة من بني عَدي بن عبد مناة، وذو الرُّمة لقب له اختلفوا في سبب تسميته اختلافاً كبيراً. كان من الشعراء الفحول، عارض الكُميت بقصيدته التي مطلعها :

مـا بـالُ عَيْنيـكَ منهـا المـاءُ يَنْـسَكِبُ كأنّـه مـن كُلـىً مَفْرِيّـةٍ سـربُ

فقال ذو الرُّمة:

هَلْ أنْـتَ عَـن طَلَـبِ الأيْفـاعِ مُنْقَلِـبُ أم كَيْـفَ يُحْـسَنُ مِـنْ ذي الـشَّيْبَةِ اللَّعِـبُ

=

الفـراريج[1]

يَريد: كأنَّ أصواتَ أواخر الميس. وقوله: من إيغالِهنّ بنـا، اعـتراض يـدلّ على علّة ذلك.

وفي القـــــــرآن ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة/ 213) والله عزّ وجل لم يـأذَنْ في الاخـتلاف، وإنّمـا التقـدير، والله أعلـمُ: فهدى الله الذين آمنوا بأذنه لِما اختلفوا فيهِ من الحقّ، فأخرَّ (بأذنه).

ومـــــن ذلـــــك ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ (الروم/ 56) والتقدير: وقال الـذين (97/ و) أوتـوا العلَـم في كتـاب الله والأيمان لقد لبثتمُ. أي: في حُكْمِ الله. وقَدْرُه إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث.

وقالوا في قولـه: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هـود/ 7): هـذا إخبـار. وقوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ (هود/ 7) إنما هو على تقدير ما قَبْله في قوله: ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هـــــود/ 1) ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ لا أنّ العرشَ على الماء علّةٌ للبلوى.

=

وكان من عُشّاق العَرب المشهورين، هام بميّة بِنْتِ مقاتل المِنْقَـريّ، وكانـت جميلـة بارعـة، كان يتمسّكَ بمظاهر الجاهلية، ويستعمل الغريب ويصف الطبيعة.

انظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين 147، الأعـلام 5/ 124، البـصائر والـذخائر 2/ 73، رسالة الغفران 393.

(1) البيت من البحـر البسيط، وهـو في ديوانـه 76، والبيـت مـن شـواهد الكتـاب 2/ 280، وانظره في: 1/ 179 و 2/ 166.

وقوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ (الشورى/ 47).

وقال حسان بن ثابت:

والناسُ ألْبٌ علينا فيكَ ليسَ لنا إلا الرماح وأطراف القنا وَزَرُ [1]

أي ليس لنا وَزرٌ إلا الرمّاح.

وقالوا [2] في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا ﴾ تقديره: (فألقِه إليهم) ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ (النمل/ 28) وقد قيل: المعنى: ثمَّ تولّ عنهم. أي: استتِرْ، حتى تَعْلَم ما يقولون.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ (النمل/ 14) إنها من عند الله، فوقع الجحْدُ منهم عناداً.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (غافر/ 83): إنَّ معناه: فلّما جاءتهم رسلُهم بالبينات من العلم مقّدمٌ

---

(1) البيت من البحر البسيط وهو في ديوانه 256، وفي ديوانه (طبعة دار الكتب العلمية) 120 بلفظ: إلّا السيوفَ وأطرافَ القنا.... والبيت في كتاب سيبويه 2/ 335-336 منسوب لكعب ابن مالك، وهو في ديوانه 209.

وفيكَ: يعني رسول الله (ﷺ)، والألب، بفتح الهمزة وكسرها: القوم يجتمعون على عداوة إنسان، والقنا: الرماح، والوزَر: الملجأ والحصن.

والشاهد فيه: تقديم المستثنى على المستثنى منه، والتقدير: ما لنا وَزَر إلا السيوفُ، برفع السّيوف على البدل أو نصبها على الاستثناء، فلّما قُدّمت على المستثنى منه لم يجز الإبدال فوجب نصبها على الاستثناء.

(2) القول للأخفش في معاني القرآن 2/ 430، قال (ثم تول عنهم) مؤخرة ؛ لأنَّ المعنى: (فألقِهْ إليهم فانظر ماذا يرجِعون ثمَّ تولَّ عنهم).

ومؤخَّر[1] وسألت عنها محمد بن يزيد، وكان عندي أنّ القومّ فرِحوا بما عند الرسل فرحَ استهزاءٍ، فحاق بهم عقوبةَ الاستهزاء، فقال: لا، ولكنَّ القومَ فَرِحوا (97/ ظ) بما اعتقدوا انّه علْمٌ عِندهَم بتكذيب الرّسلِ، وإنّهم مبطلون. قلت فلِمَ سمّاه علّماً وهو جَهْلٌ على الحقيقة؟ قال: ألا ترى قوله: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الشورى/ 16) فسمَّاها حُجَّةً وأنْ كانتْ باطلةً.

وسألت عنها إسماعيل القاضي فقالَ: ظنّوا أنّهم عُلماءُ عند أنفسهم،وكذا قوله: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ ولا حُجّة لهم، ولكنه سمّاها حُجّةً على ادّعائهم ذلك.

وللعلماء في معاني اللغةِ ودلائلِ الأعراب وجوهُ تكثرُ جداً، وقد ذكرنا منها ما فيه كفايةٌ للمنصفين.

انتهى النص المحقق وجاء في آخره:

(تمّ كتاب التفسح في منثور اللغة ومنظومها وأعراب القرآن الشاهد بذلك لها لأربع عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة تسع وثمانين وخمس مائة، والحمد لله رب العالمين والله على نبيه محمد وآله وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

والحمد لله رب العالمين والله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(1) علّقَ الأخفش في معانيه 2/ 301 على هذه الآية فقال: "في كلام العرب وفي الشعر كثير من التقديم والتأخير".

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

روافد البحث

- أبجد العلوم، للسيد صِدّيق بن حسن خان القِنَّوجي (ت 1307 هـ)، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1/ 1999.
- أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، د. رشيد العبيدي، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، 1969م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء (ت1117 هـ) تصحيح الشيخ علي محمد الضّباع.
- أخبار النحويين البصريين، السيرافي (368 هـ) تحقيق محمد الزيني ومحمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة، البابي الحلبي 1955.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة (276 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.مطبعة السعادة، مصر، ط3، 1958.
- أساس البلاغة، الزمخشري (528 هـ) مطبعة الشعب، مصر، د.ت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير (630 هـ) تحقيق محمد إبراهيم ألبنا وآخرون، دار الشعب، مصر، د. ت..
- أسماء المغتالين. محمد بن حبيب (245 هـ) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1954.
- اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (340 هـ) تحقيق د. عبد الحسين المبارك، مطبعة النعمان، النجف 1974.

- أشعار ابي علي البصير، يونس احمد السامرائي، مجلة المورد، المجلد السابع العدد الثالث والرابع 1971.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت (244 هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف 1949.
- الأخبار الطوال، أبو الحنيفة الدينوري (290هـ) تحقيق عبد المنعم عامر، ألبابي الحلبي 1960.
- إعراب القرآن، ابو جعفر بن النحاس (328 هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية ط2/ 1985.
- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق 1971م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (463هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر د. ت..
- الأشباه والنظائر، السيوطي، حيدر آباد – الهند 1360.
- الاشتقاق، ابن دريد (321 هـ) تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي 958.
- الأشهب بن رميلة، شاعر أمية المغمور، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت، المجلد الاول، الجزء الاول مصر 1982.
- الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (852هـ)مطبعة السعادة، مصر، 1328.

- الاصمعيات، الاصمعي (215 هـ) تحقيق احمد محمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف ط 2/ 1964.
- الاصول، دراسة ابستلوجية، د. تمام حسان، بغداد، ط 2/ 1988.
- الأصول في النحو، محمد بن سهل السراج (316 هـ) تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1987.
- الأضداد، أبو بكر الأنباري (328 هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الكويت 1960.
- الاضداد في الكلام العرب، ابو اللغوي (351 هـ) تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1963.
- الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني (356هـ) طبعة مصورة عن طبعه دار الكتب المصرية.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، البطليوسي (521 هـ) تحقيق مصطفى السقا و د. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1983.
- الامالي، ابن الشجري (542هـ) دار المعرفة، بيروت (طبعة مصورة).
- الامالي، ابو علي القالي (356هـ) المكتب التجاري، بيروت.
- الامالي، الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة 1382.
- الامالي، ابن دريد، تحقيق عبد السلام مصطفى السنوسي، الكويت 1984.

- الأنساب، السمعاني (562 هـ) حيدر آباد – الهند 1978.
- الانصاف في مسائل الخلاف، ابو البركات الانباري (577هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط4–1961.
- الأنوار ومحاسن الأشعار، الشمشاطي (380هـ) تحقيق صالح مهدي العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد 1976.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (739هـ) باشراف مجموعة من اساتذة كلية اللغة العربية بالازهر، مطبعة السنة المحمدية.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (754 هـ) دار الفكر، بيروت، ط 2، 1978.
- البداية والنهاية، ابن كثير (774 هـ) مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ (255هـ) تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الرشيد، بغداد 1982.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي (414 هـ) تحقيق د.إبراهيم الكيلاني،مطبعة الانشاء، دمشق 1964.
- البلاغة، المبرد (286هـ) تحقيق د.رمضان عبد التواب، القاهرة 1965.
- البُلغة في أصول اللغة: السيد محمد صديق حسن خان القِنَّوجي، تحقيق نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط1/ 1988م.

- البلغة في تاريخ ائمة اللغة، الفيروزآبادي (817 هـ) تحقيق محمد المصري، دمشق 1972.
- البيان والتبيين، الجاحظ (ت 255 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط 5، 1985.
- التاريخ الكبير، البخاري (256هـ) حيدر آباد، الهند، 1360.
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي (460 هـ) المطبعة العلمية، النجف 1957.
- التبيهات، علي بن حمزة (375هـ) – طبع مع كتاب المقوض والممدود للفراء – تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف،1967.
- التشبيهات، ابن ابي عون (322 هـ) تحقيق محمد عبد المعيد خان كمبردج 1950.
- التعليق المختصر من كتاب أبي سعيد السيرافي في شرح سيبويه، للحسن بن علي الواسطي، مخطوط في خزانة الدكتور عادل هادي حمادي العبيدي.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ابو هلال العسكري (395هـ) تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1969.
- التمثيل والمحاضرة الثعالبي (429هـ) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو البابي الحلبي 1961.
- التوسع في كتاب سيبويه، د. عادل هادي حماد العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004.

- الجامع الصغير، السيوطي (ت911 هـ)، البابي الحلبي، 1954.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (671 هـ) تحقيق إبراهيم اطفيش، دار الكتاب العربي، مصر، ط3، 1967.
- الجرح والتعديل، ابن ابي حاتم الرازي (327هـ) حيد آباد، الهند 1952.
- الجيم، أبو عمر الشيباني (206هـ) تحقيق إبراهيم الابياري وغيره القاهرة 1954.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (370هـ) تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشرق، بيروت ط2، 1977.
- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي (377 هـ) تحقيق علي نجدي ناصف وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2، 1983.
- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليوسي (521 هـ) تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد – بغداد، 1980.
- الحماسة، البحتري (284هـ) تحقيق لويس شيخو، دار الكتاب العربي بيروت ط2 1967.
- الحماسة البصرية، صدر الدين البصري (659هـ) نشر مختار الدين احمد، حيدر أباد، الهند 1964.
- الحماسة الشجرية، ابن الشجري تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء ألحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1970.

- الحيوان. الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، البابي الحلبي 1943.
- الخصائص، ابن جني (392 هـ) تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، ط2، 1952.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع، الشنقيطي، القاهرة 1328هـ.
- الرسالة الشافعية (245هـ) تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، البابي الحلبي، مصر 1940.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، السهيلي (581هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، القاهرة 1967.
- الزاهر، ابو بكر الانباري، تحقيق د. حاتم الضامن، دار الرشيد بغداد 1979.
- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، ابو حاتم الرازي (323هـ) تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، القاهرة ط2-1957.
- السبعة في القراءات، ابو بكر بن مجاهد (324هـ) تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- السيرة النبوية. ابن هشام الكلبي (218هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي مصر.
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، جامعة الكويت، 1974م.

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف مصر ط2، 1982.
- الصاحبي، ابن فارس (ت395هـ) تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2007م.
- الصاحبي، ابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر، ألبابي الحلبي - القاهرة.
- الصحاح الجوهري (398 هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار الكتاب العربي - مصر.
- الصداقة والصديق، ابو حيان التوحيدي، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق 1964.
- الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة عاصم الجحدريّ البصريّ (128 هـ)، تأليف د. عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط 1/ 2005م.
- العقد الثمين، تقي الدين الأوسي المكي تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1966.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (328 هـ) شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940.
- العمدة، ابن رشيق القيرواني (456هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة 1934.

- العين الخليل بن احمد (175هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، ودار الرشيد بغداد 1980-1985.
- الفائق في غريب الحديث، الزمخشري (ت 538 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ألبابي الحلبي، ط2.
- الفاخر، المفضل بن سلمة (291هـ) تحقيق عبد العليم الصحاري، ألبابي الحلبي 1960.
- الفاضل في اللغة والأدب، المبرد (286هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب 1956.
- الفهرست، ابن النديم (285 هـ)مطبعة الأستقامة - مصر.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، نشر دار العلم للملايين، بيروت.
- الكامل في التأريخ، عز الدين بن الأثير (630هـ) دار صادر - بيروت 1966.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد (ت 285هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاته،مطبعة نهضة مصر 1956.
- الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت 1947.
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي، المكتبة الحسينية/ القاهرة.
- اللباب في التهذيب الأنساب، عز الدين الأثير (طبع بالاوفست مكتبة مثنى، بغداد).

- اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقريء بإسناده إلى ابن عباس تحقيق د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ط2، 1972.
- المبدع في التصريف: محمد بن يوسف بن علي المشهور بأبي حيان الاندلسي (ت 745هـ)، تحقيق د. عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة للنشر – الكويت، ط1/ 1982م.
- المتوكلي، السيوطي (النشرة العربية) تحقيق وليم بيل، القاهرة، 1924.
- المجازات النبوية، الشريف الرضي (406 هـ) تحقيق وشرح طه محمد الزيني.
- المجالس ثعلب (291هـ) تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ط2، 1962.
- المُحبَّر، محمد بن حبيب، رواية السكري، تحقيق د. ايلزه ليختن شتيتر المكتب التجاري، بيروت.
- المحتسب، ابن جني، تحقيق على النجدي، ناصف وآخرين، لجنة أحياء التراث، القاهرة 1966-1969.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (458هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج البابي الحلبي، 1958.
- المختصر في أخبار البشر، ابو الفداء (732هـ) المطبعة الحسينية، مصر.
- المخصص، ابن سيده، المكتبة التجارية، بيروت.
- المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية، كوركيس عواد،مطبعة الرابطة – بغداد، 1951.

- المذكر والمؤنث، المبرد، تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب 1970.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين، ألبابي الحلبي، مصر.
- المستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (850 هـ) تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار العلم – بيروت 1981.
- المستقصى في الأمثال، الزمخشري، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان حيدر آباد – الهند 1962.
- المسند، للأمام أحمد ابن حنبل(214هـ) تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف 1375.
- المعارف، ابن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف ط 2 1969.
- المعاني الكبير، ابن قتيبة، حيدر آباد، الهند 1949.
- المعجم الكبير، الطبراني (360هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل ط2. 1984.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. نشر د. أبي، ونسنك ليدن 1936.
- المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب 1364.
- المعجم الوسيط، تأليف لجنة من الأساتذة، مؤسسة دار العودة للتأليف والطباعة والنشر – تركيا، 1989.

- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم: ابو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت 540 هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- المغني، ابن هشام الأنصاري (761هـ) تحقيق د، مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق.
- المقرب، ابن عصفور (669هـ) تحقيق احمد عبد الستار الجوزاري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد 1973.
- الممتع في التصريف: ابن عصفور علي بن مؤمن، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة - بيروت، ط3، 1978م.
- المنتظم، عبد الرحمن بن الجوزي (597 هـ) حيدر آبادي، الهند 1257.
- المنصف، شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازي، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله امين البابي الحلبي 1954-1960.
- المهذب فيما وقع في القران من المعرب، السيوطي، تحقيق عبد الله الجبوري، مجلة المورد، المجلد الأول، العدد الأول 1971.
- المهلهل بن ربيعة، حياته وشعره، دراسة وتحقيق نافع الراجحي رسالة ماجستير (بالاله الطابعة) بغداد 1986.
- النجوم الزاهرة، ابن تغرى بردي (874 هـ) دار الكتب، 1932.
- النشر في الفقرات العشر، شمس الدين بن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية، مصر.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه ,ابو الحجاج يوسف بن سليمان الاعلم الشنتمري (ت 476هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية - الكويت، ط1/ 1987م.
- النوادر في اللغة، ابو زيد الأنصاري (214هـ) تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر احمد، دار الشرق، بيروت - القاهرة 1981.
- الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الانطاكي، منشورات دار الشرق، ط3/ 1969م.
- الوحشيات، ابو تمام، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف المصرية 1963
- الوساطة، القاضي علي الجرجاني (366هـ) تحقيق وشرح محمد ابي الفضل وعلي محمد البجاوي، البابي الحلبي، ط4، 1966.
- امية بن ابي الصلت، حياته وشعره، دراسة وتحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1975.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي (646 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب 1952.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (791هـ) المكتبة التجارية، مصر.
- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي،مطبعة وكالة المعارف، استانبول 1947.
- ايضاح الوقف والابتداء، ابو بكر الانباري، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1971.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد ابي الفضل إبراهيم، ألبابي الحلبي 1965.

- بهجة المجالس وأنس المجالس، أبن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الجيل للطباعة ودار كتاب العربي للطباعة والنشر، مصر 1969.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (1205هـ) تحقيق نخبة من الاساتذة، الكويت 1965-1984.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (462 هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت270 هـ) تحقيق السيد احمد صقر، ألبابي الحلبي 1954.
- تزيين الأسواق بتفصيل اشواق العشاق داود الانطاكي(1008هـ) بيروت 1972.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار المعرفة، بيروت ط2، 1975.
- تهذيب، إصلاح المنطق، التبريزي (502هـ) تحقيق د. فوزي عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا النووي, إدارة الطباعة المنيرة مصر.
- تهذيب الألفاظ، ابن السكيت، تحقيق لويس شيخو، بيروت 1985.
- تهذيب التاريخ ابن عساكر، الشيخ عبد القادر بن احمد، وقف على طبعة احمد عبيد دمشق.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، حيد آباد، الهند 1325.

- تهذيب اللغة، الازهري (370هـ) تحقيق عبد السلام هارون واخرين، الدار العربية للطباعة، مصر 1964.
- ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي (837هـ) تحقيق محمد ابي فضل مكتبة الخانجي 1971.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت 310 هـ) نح محمود محمد شاكر، دار المعارف، ط2 1969.
- جمهرة الاكشال، ابو هلال العسكري، تحقيق محمد ابي الفضل وعبد المجيد قطماش، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1964.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، حيدر اباد - الهند 1345.
- جمهرة انساب العرب، ابن حزم الاندلسي (456هـ) تحقيق عبد السلام هارون، دار المطرف ط3 1971.
- جمهرة نسب القريش واخبارها، الزبير بن بكار (256هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، دار العروبة، مصر 1381.
- جولة في دور الكتب الأمريكية، كوركيس عوادج،مطبعة المعارف - بغداد، 1951.
- حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف - بمصر، ط 12/ 1925م.
- حكمة الأشراف إلى كتاب الأفاق، محمد مرتضى الزبيدي، - سلسلة نوادر المخطوطات الجزء الثاني - تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي 1954.

- حلية الأولياء، الحافظ الاصبهاني (430هـ)، الخانجي، مصر 1932.
- حماسة الخالدين، ابو بكر محمد بن هاشم (380هـ) وأبو عثمان سعيد ابن هاشم (291هـ) تحقيق السيد محمد يوسف القاهرة 1958.
- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي (1039 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي 1986.
- خلق الإنسان، الأصمعي - ضمن كتاب الكنز اللغوي، تحقيق أوغست هنفر بيروت 1903.
- دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج، د. خولة تقي الدين الهلالي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، 1982.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق د. محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب، النجف الاشرف 1969.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1962.
- ديوان ابي تمام شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف مصر 1957-1969.
- ديوان أبي حية النمري ينظر المشترك على المصادر.
- ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت، دراسة وجمع وتحقيق د. حسين محمد باجودة، مطبعة السنة المحمدية، مصر 1973.
- ديوان احيحة بن الجلاح، دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجودة مطبوعات نادي الطائف الادبي، السعودية، 1979.

- ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر 1950.
- ديوان الحطيأة، شرح بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ألبابي الحلبي 1958.
- ديوان الحماسة لأبي تمام (رواية الجو النقي) تحقيق د. عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد، بغداد 1980.
- ديوان الخريمي، جمع وتحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعبيد دار الكتاب الجديد، بيروت 1971.
- ديوان الخنساء، شرح ثعلب، تحقيق د. انور أبي سويلم دار عمان, الأردن 1988.
- ديوان الطرمّاح، تحقيق د. عزة حسن، دمشق 1968 ديوان طفيل الغنوي تحقيق محمد عبد القادر احمد، دار الكتاب الجديد بيروت 1968.
- ديوان العباس بن مرداس مجمع وتحقيق يحيى الجبوري، دار الجمهورية بغداد 1968.
- ديوان العجاج، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق د. عزة حسن مكتبة دار الشرق - بيروت.
- ديوان الفرزدق، مطبعة الصاوي، مصر.
- ديوان الفرزدق، شرحه د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الارقم بن ابي الارقم، ط1/ 1997م.

- ديوان القتال ألكلابي، تحقيق. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1961.
- ديوان القطامي، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د.احمد مطلوب دار الثقافة، بيروت 1961.
- ديوان المتلمس. رواية الاثرم وأبي عبيده عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبوعات مجلة معهد المخطوطات العربية(القاهرة) المجلد الرابع عشر - 1968.
- ديوان المعاني، ابو هلال العسكري، مكتبة القدسي 1352هـ.
- ديوان المفضليات، المفضل الضبي (170هـ)، بشرح ابي محمد القاسم الانباري (304هـ) تحقيق كارلوس يعقوب لايل، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1920.
- ديوان النابغة الذبياني, تحقيق محمد ابي الفضل، دار المعارف مصر.
- ديوان أمريء القيس، تحقيق ابي الفضل، دار المعارف، مصر ط3 1969.
- ديوان اوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر دار بيروت 1960.
- ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق وشرح د. عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة دمشق ط2 1973.
- ديوان جران العود النمري، رواية السكري، دار الكتب، مصر 1931.
- ديوان جرير، يشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، 1969-1970.

- ديوان حاتم الطائي رواية هشان بن محمد اللبي دراسة وتحقيق د. عادل سليمان القاهرة.
- ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965.
- ديوان ذي الأصبع العدواني جمعه وحققه عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي، مطبعة الجمهورية الموصل 1973.
- ديوان رؤية بن العجاج (مجموعة أشعار العرب) تحقيق وليم بن الورد البروسي دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978.
- ديوان سلامة بن جندل، رواية الأصمعي، تحقيق د. فخر الدين القباوة، المكتبة العربية بحلب 1968.
- ديوان سويد بن ابي كاهل، جمع وتحقيق شاكر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1972.
- ديوان شعر ذي الرمه، تصحيح وتنقيح، كارليل هنري هيس مكارنتي كبردج 1919.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق د. علي الجندي، مكتبة الانجلو المصرية.
- ديوان طرقة بن العبيد، تحقيق وتحليل ونقد د. علي الجندي، مكتبة الانجلو المصرية.
- ديوان عبد الله بن رواحة، دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجورة دار التراث، القاهرة 1972.

- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق د. محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية بغداد 1965.
- ديوان عروة بن الورد، بشرح ابن السكيت, تحقيق عبد المعين الملوحي مطابع وزارة الثقافة، دمشق 1966.
- ديوان علقمة الفحل، بشرح الاعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودريه الخطيب، دار الكتاب العربي حلب 1969.
- ديوان عمارة بن عقيل، جمع وتحقيق شاكر العاشور، مطبعة البصرة 1973.
- ديوان عمرو بن قيمئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية (دمشق) المجلد الحادي عشر 1965.
- ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق هاشم الطعان، مطبعة الجمهورية، بغداد 1970.
- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوى، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق.
- ديوان كثير عزة، جمع وشرح د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1971.
- ديوان كعب بن مالك، دراسة وتحقيق د. سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد 1966.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح، عبد الستار احمد فرج مكتبة مصر.
- ديوان مسكين الدرامي. جمع وتحقيق خليل العطية وعبد الله الجبوري مطبعة دار البصري، بغداد 1970.

- ذيل الامالي ال نوادر، أبو علي القالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تحقيق وشرح د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف - بمصر، ط6/ 1977 م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، الحافظ أبو حاتم ابن حيان، تحقيق محمد محي الدين وآخرين، مطبعة السنة المحمدية 1949.
- زاد المسير في العلم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، منشورات المكتب الاسلامي دمشق 1964-1967.
- زهر الاداب وثمر الالباب، الحصري القيرواني (456هـ) تحقيق د. زكي مبارك – المطبعة الرحمانية، مصر ط2-1931.
- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني (456 هـ) تحقيق زكي مبارك -مطبعة الرحمانية، مصر، ط2، 1921.
- سؤالات نافع بن الارزق الى بن عباس، تحقيق د. ابراهيم السامرائي مطبعة المعارف بغداد 1968.
- سمط اللالي، ابو عبيد البكري (487هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني لجنة التأليف والترجمة. والنشر، القاهرة 1936.
- سمط النجوم عبد الملك بن حسين العصامي المكي (111هـ) المطبعة السلفية، القاهرة 1380هـ.
- سنن، ابن ماجة (275هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، مصر 1975.

- سنن النسائي(303هـ) بشرح الاسيوطي , المكتبة التجارية، مصر.
- شرح ابيات اصلاح المنطق، للسيرافي النحوي (ت385 هـ)، تحقيق ياسين محمد النّواس، الدار المتحدة، ط1/ 1992م.
- شرح ابيات المغني، عبد القادر البغدادي (ت1093 هـ) تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، منشورات دار المأمون – دمشق، 1974.
- شرح اشعار الهذليين، صنعة السكري (275هـ) تحقيق عبد الستار احمد فراج. دار العربية، القاهرة 1963.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (328 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار المعارف، ط4، 1980.
- شرح المختار من لزوميات ابي العلاء البلطيوسي، تحقيق د. حامد عبد المجيد، دار الكتب 1970.
- شرح المفصل، ابن يعيش (643هـ) المطبعة المنيرية، مصر شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (655هـ) تحقيق محمد ابي الفضل، البابي الحلبي. 1960.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العلاء المعرّي (ت 449هـ) المعروف بـ(معجز أحْمد)، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف – مصر، سلسلة ذخائر العرب/ 65، 1968 م.
- شرح ديوان الحماسة، التبريزي ط بولاق.

- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (421 هـ) نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة و النشر، القاهرة ط 2 1967.
- شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب، (مصورة عن طبعة دار الكتب 1944) الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1964.
- شرح ديوان عدي بن الرقاع و الامام ثعلب، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1978.
- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين الحميد المكتبة التجارية، مصر ط3، 1965.
- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة السكري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1950.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق د. احسان عباس، وزاره الإرشاد والأنباء، الكويت 1962.
- شرح شواهد المغني السيوطي، بعناية الشنقيطي، لجنة التراث العربي 1966.
- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1945.
- شعر إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الادبية) وخرجه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شعر ابن الطثرية، صنعة د. حاتم الضامن، دار التربية، بغداد 1973.

- شعر ابي زيد الطائي، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيس، مطبعة المعارف، بغداد 1967.
- شعر الاحوص، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، مطبعة النعمان النجف، 1969.
- شعر الاحوص، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970.
- شعر الاخطل، رواية ابن الاعرجي، عني بنشرة الاب انطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ط2، 1969.
- شعر الاخطل صنعة السكري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة، بيروت ط2، 1979.
- شعر الاعور الشني، جمع وتحقيق ضياء الدين الحيدري، مجلة البلاغ، البغدادية، السنة الرابعة _ العدد العاشر والسنة الخامسة العدد 1 و 2.
- شعر الراعي النمري واضبارة، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، وهلال ناجي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1980.
- شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي 1964.
- شعر النمر بن تولب، د، نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد 1969
- شعر أمية = أمية بن ابي الصلت.
- شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق د، عبد الحميد محمود المعيني، مطلب بيع عسير، السعودية 1982.

- شعر دعيل بن علي الخزاعي، صنعة د. عبد الكريم الاشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
- شعر سابق البربري، دراسة وجمع وتحقيق د، بدر احمد ضيف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987.
- شعر سويد بن كراع، صنعة د. حاتم الضامن، مجلة المورد المجلد الثامن، العدد الأول 1979.
- شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة – بيروت 1981.
- شعر عبد الله بن الزبير الاسدى، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري، دار الحرية، بغداد، 1974.
- شعر عبد الله بن المعتز، صنعة ابي بكر الصولي، عني بتصيحيه ب. لوين، مطبعة المعارف، استانبول 1950.
- شعر عبد الله بن معاوية، جمع عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت 1976.
- شعر عمرو بن شأس الاسدي، تحقيق د. يحيى الجبوري، مطبعة الاداب النجف 1976.
- شعر قيس بن زهير، عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب، النجف.
- شعر محمد بن وهيب الحميري, جمع وتحقيق د. محمد جبار المعبيد.
- شعراء اسلاميون، دراسة وتحقيق د. نوري محمود القييسي، عالم الكتب، بيروت ط2، 1984.

- صبح الاعشى، القلقشندي (821هـ) مصورة عن الطبعة الاميرية - القاهرة.
- صبح الأعشى في كتابة الانشا، القلقشندي (821 هـ) مصورة عن الطبعة الاميرية – القاهرة.
- صحيح البخاري، الطبعة المنيرية - بيروت.
- صحيح مسلم (261هـ) بشرح النووي، المطبعة المصرية.
- صفوة الصفوة، جمال الدين بن الجوزي (597هـ), حيد اباد 1355هـ.
- طبقات الحفاظ، للحافظ السيوطي (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2/ 1994 م.
- طبقات المفسرين، الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة – مصر, 1972.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي (379 هـ) تحقيق محمد أبي الفضل، دار المعارف، ط2، 1984.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (231 هـ) تحقيق محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، مكتبة الخانجي القاهرة.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة (ت270 هـ)، دار الكتب، 1928.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين بن الجزري (832 هـ) تحقيق برجتراسر، مكتبة الخانجي، 1932.

- فرصة الأديب الغندجاني (بعد 430هـ) تحقيق د. محمد علي سلطان دمشق 1981.
- فقة اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ألبابي الحلبي 1972.
- فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، منشورات مكتبة المثنى - بغداد ط 5/ 1977 م.
- فهرس شواهد سيبويه، أحمد راتب النفّاخ، دار الارشاد ودار الامانة، ط1/ 1970 م.
- فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي (764 هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت.
- كتاب الاختيارين، المفضليات والاصمعيات، صنعة الاخفش الاصغر (ت315 هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر - بيروت، ط1/ 1999م.
- كتاب تهذيب اصلاح المنطق، للخطيب التبريزي (ت 502 هـ)، تحقيق د. فوزي عبد العزيز مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ 1986 م.
- كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (180 هـ)مطبعة الأميرية ببولاق، ط1، 1921.
- كشف الظنون، حاجي خليفة (1067هـ) وكاله المعارف، استانبول 1941.
- لباب الآداب، أسامة بن منقذ (584هـ) تحقيق احمد محمد شاكر الرحمانية مصر 1935.

- لسان العرب، ابن منظور (711 هـ) بولاق، مصر.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (طبع بالاوفست عن طبعة حيدر آباد 1330 هـ) بيروت 1971.
- متخير الألفاظ، ابن فارس، تحقيق هلال ناجي، مطبعة فضاله, المغرب.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (212 هـ) تحقيق فؤاد سزكين – الخانجي، 1954.
- مجالس العلماء، الزجاجي (ت 337هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1962.
- مجلة الخليج العربي، المجلد السابع عشر، العدد الأول، جامعة البصرة مركز الدراسات الخليج العربي 1985.
- مجمع الأمثال، الميداني (518هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ط2، 1959.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي (807هـ) مكتبة القدسي 1353.
- مجمل اللغة، ابن الفارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة، بيروت 1984.
- محاضرات الأدباء، الراغب الاسبهاني (502هـ) دار مكتبة الحياة بيروت 1961.
- مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (ت 370 هـ)، نشر برجستراسر، دار الهجرة.

- مروج الذهب المسعودي (346 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية، مصر.
- مشاهير الأمصار، محمد بن حيان البستي، تحقيق م. فلايشهمر، لجنة التأليف والترجمة، النشر، مصر 1959.
- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (215 هـ) تحقيق د. فائز فارس – الكويت، ط2، 1981.
- معاني القرآن، الفراء (207هـ) تحقيق محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1955/ 1966.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (626 هـ) عنى بنسخه وتصحيحه، مرجليوث، مطبعة الهندية، مصر 1923.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فيردينار فيستفليد، ليبرخ 1866.
- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر – بيروت ,ط1/ 1998م.
- معجم الشعراء المرزباني (384 هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراجج، ألبابي الحلبي 1960.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم ما استعجم، ابو عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، النشر، مصر 1949.
- معجم مصطلحات العروض والقوافي، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي،مطبعة جامعة بغداد، ط1/ 1986م.

- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، د. أحمد محمد الخرّاط - دار القلم - دمشق، ط1/ 1989م.
- معجما الجموع التي لا مفرد لها والأسماء التي لا أفعال لها:تصنيف د.محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1/ 2001 م.
- معرفة القراء الكبار الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد المولى، مصر.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ألبابي الحلبي 1369.
- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، د. جعفر نايف عباينة، دار الفكر – عمان، ط1/ 1984 م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ألبابي الحلبي 1963.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2، 1968.
- نسب قريش، مصعب الزبيري (230هـ) تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف 1953.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف بمصر، 1973.
- نشأت النحو وتاريخ أشهر النحاة: الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف بمصر، ط5/ 1973 م.
- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين الصفدي (764هـ) تحقيق احمد زكي، المطبعة الجمالية، مصر 1911.

- نهاية الارب، النبري (733هـ) دار الكتب المصرية 1936.
- نور القبس (المختصر من القبس في أخبار النحاة والأدباء للسيوطي) اختصار الحافظ اليغموري (673هـ) تحقيق رودلف زلهايم، فيسهادن 1964.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف، استنبول 1951.
- همع الهوامع، السيوطي، تحقيق عبد السلام هارون و د. عبد العال سالم مكرم - الكويت 1975-1979.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان (681هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

التفسح في اللغة

دار دجلة
ناشرون وموزعون

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص.ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ - الأردن
بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة
تلفاكس: ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com